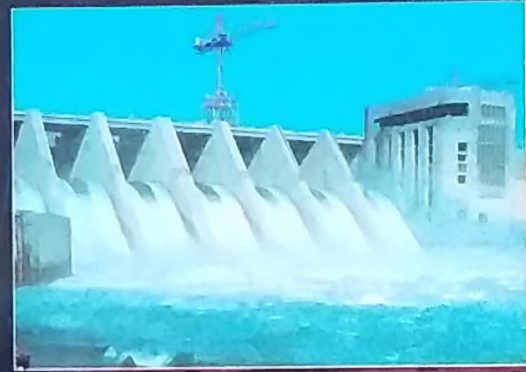


الرقعة



مهرجان الفرات للثقافة والفنون

13- 17 أيلول 1998

تصوير أبو محمد



أبو عبدو البغل

تنسيق جمال حتمل

الدراسات والأبحاث

الفعاليات الثقافية والفنية والرياضية

مهرجان الفرات للثقافة والتراث
الطبعة الأولى ١٩٩٩
إصدار محافظة الرقة
جميع الحقوق محفوظة

(١)

وثائق
مهرجان الفرات للثقافة والتراث
١٣ - ١٧ أيلول ١٩٩٨

- الدراسات والأبحاث
- الفعاليات الثقافية والفنية والرياضية

إصدار محافظة الرقة

تقديم

هذا الكتاب توثيق لفعاليات مهرجان الفرات للثقافة والتراث الذي أقيم في محافظة الرقة ما بين ١٣ و ١٧ أيلول ١٩٩٨ وشملت فعالياته أنشطة ثقافية وتراثية تضمنت الدراسات التاريخية والأثرية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية ذات العلاقة بالمحافظة قديماً وحديثاً، إلى جانب الأنشطة الفنية والفلكلورية والرياضية.

وأردنا أن يكون هذا الكتاب شاملاً لمختلف الفعاليات والأنشطة ، وحاولنا جمع كافة الدراسات والبحوث والقصائد التي قدمت وألقيت في المهرجان من جانب، وفي جانب آخر رصد سريع للأنشطة وسباق للفروسية ومعارض التصوير الضوئي الخاصة باللقى والمواقع الأثرية في منطقة الفرات ومعارض التصوير الضوئي والزهور وسوق المهن اليدوية والصناعات التقليدية وسوق التسوق، وأردنا أن نضمن الكتاب بعضاً من الصور الفوتوغرافية ذات العلاقة بالمواضيع المطروحة ونشاطات وفعاليات المهرجان.

هي محاولة نتمنى أن تحقق الغاية والهدف

لجنة الإنجاز

وقائع حفل افتتاح المهرجان



في صالة دار الأسد للثقافة
بالرقعة افتتح مساء الأحد ١٧
أيلول ١٩٩٨ مهرجان الفرات
الأول للثقافة والتراث برعاية
الدكتورة نجاح العطار وزيرة
الثقافة الذي أقامته محافظة
الرقعة بالتعاون مع وزارة
الثقافة .



وناب عن السيدة الوزيرة في
افتتاح المهرجان السيد محمد
أحمد نفاخ محافظ الرقعة
وحضره الرفاق جاسم الموسى
أمين فرع الحزب بالرقعة وأسعد

العيسى أمين فرع الحزب بدير الزور و ابراهيم هنيدي محافظ السويداء وصلاح
كناج محافظ دير الزور وعلي القيم معاون وزيرة الثقافة ، وحشد كبير اكتظت به
الصالة من المثقفين والكتاب والفنانين وجمهور المحافظة .

وألقيت في حفل الافتتاح كلمتا المحافظة ووزارة الثقافة وقدمت فرقة الرقعة
للفنون الشعبية عدداً من الفقرات الفنية وافتتح السيد المحافظ وصحبه في صالة
المعارض بدار الأسد للثقافة بالرقعة معرضي «الرقعة عبر العصور» و«تطور الكتابة
عند العرب» اللذين اقامتهما وزارة الثقافة ضمن فعاليات المهرجان .

كلمة السيد محافظ الرقة

الدكتور محمد أحمد نفاخ

رئيس اللجنة الفرعية للمهرجان



الدكتور محمد أحمد نفاخ

لئن كان الماضي يحكي قصة الأسلاف ومجيد فعلهم وعظيم ما وصلوا إليه ونحن نراه، نقرأه في كل ما تركوه وكل شبر عاشوا فيه وعمروه، فهو كذلك متكأ ومستند يستند عليه الخلف في ايجاد ذاتهم وتحقيق وجودهم وإثبات هويتهم والبناء عليها.

ولعل الأمم القادرة، الأم الحية، هي التي تستطيع أن تجعل من ماضيها ليس مجالاً للتغني والذكريات الجميلة فحسب. بل هي التي تجيد انجاز الحاضر

وتعليه وتحقق الربط المتين بين حاضرها وماضيها وتستنبط من الماضي حوافز ودوافع تحث خطاها وتجدد مسعاها لكي يكون حاضرها غنياً ثراً كماضيها حيث تجاري القدماء في فعالهم وتفوق، تبني كما بنوا وتعمر كما عمروا. وتنشر حضارة كما هي حضارة الأجداد تأثيراً وفخراً واعتزازاً وهذا تماماً ما تعيشه سورية اليوم: قائد يملك الحس المرهف بالتاريخ ويحسن قراءته ويمتلك إرادة الفعل البناء ويجيد ترجمته وشعب آمن بأمنه وأمن بالقائد الأمين المؤتمن ربانا في مشوار بنائه الحضاري والقومي، ونحن في محافظة الرقة برعاية القائد العظيم السيد رئيس الجمهورية المناضل حافظ الأسد ندرك تماماً أبعاد ذلك ونفهمه ونرى فيه تعزيزاً لمسيرة العمل الدؤوب التي يقودها نحو الانتصار ومحافظة الرقة أيها الاخوة التي يمتزج اسمها مع الفرات، هذا النهر العظيم الذي شهد تواصل البشر وعاش تتالي موجاتهم منذ بدايات الإنسان الأولى على هذه الأرض، يعيش ابنائها عطاءاته فعلى شاطئه كتبت حكاياتهم وأهازيجهم وأغانيهم وقصص عشقهم وآمالهم وآلامهم. امتزجت حياتهم وارتبطت بهذا النهر حتى صارت الرقة فراتاً. والفرات رقة بكل مضامين الكلام، وهذا بعض من أهمية الفرات في حياة شعبنا في هذه المحافظة.

وعندما نبحر في مراكب التاريخ نستنطق الفرات والرقة، الماء والأرض فتعيدنا

للأسفار الأولى في تاريخ البشرية للصوانيات التي ابتكرها الانسان، ادواته للحياة وللقرية الأولى التي انتقاها في تل المريط في العصور الحجرية فسبقت غيرها والى البوابة التي ولج منها في أبو هريرة وتل اسود نحو البداوة والرعي والزراعة لنصل لتوتول الشاهدة على نهضة العصور التاريخية القديمة بعمارتها واقتصادها وقوتها وشريكة ممالك إيبلا وماري وإيمار والى سورا الحصن الحثي والآشوري والرصافة الأولى وطريق الحرير والصفحات الطويلة من الكر والفرين ممالك العصور الوسطى التي طبعت حكاياتها على الألواح والرقم المكتشفة، ويصطفي الفرات من قصص الغابرين المآثر في العصور العربية الإسلامية للرقعة فتفتح وتحتضن صفين وشهداءها وترتكز عليها جيوش الفتح نحو ارمينيا وتقترن رصافتها باسم هشام بن عبد الملك الذي يبعث بيده الحياة الزاهرة فيها ويمد الأخرى الى الرقة فيقيم السوق العتيق في وسطها وحلبات الفروسية في رحابها ويرتقي بها العباسيون الى ماهو مميز فيهبها المنصور الرفافة حاضرة تتندر بطابعها المعماري وتباهي بصالحية المهدي ورياضها لتصل الى ذرى التاريخ وتزدان وتتألق بصدارتها للأقطار والأمصار في كنف هارون الرشيد فيشتد ولعه بها وتطيب له منزلاً وموطناً بين الهني والمرى فيرسم في الرحاب بينهما اشراقها، ويرسي القصور والملاعب والحدائق ويحصنها بسور منيع مميز بنسيجه .

وتتوضع في الناصع من أحداث عصره ومنها دار البوار على الروم وشرع هرقله والمتتالين من بعده من امثال نور الدين وجعبر بن سابق في التراث منارة وفي الثقافة المتكونة من البنية المعرفية الجمالية اشعاعاً حضارياً يبهج نوره الأصقاع وتزدان به متون ابحاث الأثرين والتاريخيين عن اللقى والرقم والتلال الغنية بالارث التليد ودواوين ومخطوطات الأولين فيتلاقى على ثرى الرقة الفرات والثقافة والتراث في صياغة متكاملة قيض الله لها ان تبعث من جديد في ظل القائد التاريخي حافظ الأسد ولتتصل بحاضر مبدع نفخ عنها المعاناة في عصورها اللاحقة وأمدتها بوهج مميز عنوانه النهر والأرض والإنسان فطوع بالإرادة الصلبة ووأد صخب النهر وعنفوانه لينبعث من بين أنامله خيراً وعطاءً وغناءً فيشمخ سده شاهداً على عظمة الانجاز وتحنو شرايينه على البید المقفرة فتورق واحات وجنات خصبة وافرة الظلال والغلال وليقتبس من تاريخها الشر فيعمل تطويراً وتحسيناً ويحمل الانسان الى مصاف العلم

والرقي والتطور ويصبح بناؤه غاية الحياة ومنطلقها .

أيها السيدات ، أيها السادة :

إن في الحاضر المتميز للرقعة اليوم الامتداد للماضي التليد وفي ميادينه تبرز الشواهد على نجاعة مسيرة البناء ونهج التصحيح وعظمة القائد الأمين حافظ الأسد ، وتعانق مدنها وقراها وسهولها الانجازات والمفاخر التي قهرت التحدي نحو نمو متسارع لجميع جوانب الحياة فتنبئ زاهية بها في كل يوم جديد .

ومن وهج الإشعاع الحضاري للتصحيح وبالتلازم مع المآثر في الفرات كانت الثقافة والتراث مقدمات الاهتمام بدلالاتها البديعة التي تقابلنا فيما اتجهنا في التنقيب والترميم للآثار الخالدة الذي يمسح عنها جور الأزمنة ويعيدها لأصلها الناشئ ويستقي منها تاريخ البشرية والأمم والحضارات المتعاقبة فتشمخ اعمدتها تباهي بالتواصل معها وترسخ الثقافة حاجة عليا وتُبرز دورها ومراكزها منارات نحو ذلك .

ونحن في محافظة الرقة كانت الثقافة والتراث الأساسيات في عملنا المستمر واستطعنا بالجهد المحلي وبدعم واهتمام حكومي ان نشارك في ارساء مشروعات كبيرة في مقدمتها دار الأسد للثقافة بالرقعة التي نتلاقى اليوم في رحابها صرحاً حضارياً كبيراً يتكامل انجازه ، وفي اغاثة جعبر حصن الفرات فنلف خصرها بكاسر امواج وطريق يبقياها ويحفظها .

وفي ترميم سور الرقة وما أكملناه في بادرة محلية لبعض من حاجاته وان كان يتطلب المزيد مما نعجز عنه وفي الاعداد لمتحف وطني في الرقة نأمل بأن تتوفر له سبل الانجاز وفي الاهتمام بتراث الرقة الغني ولما يهم الرقة في حاضرها ومستقبلها . وفي مهرجاننا الذي نكرس فيه الفرات كما هو جزء لا يتجزأ منا ماضياً وحاضراً ومستقبلاً نزداد التصاقاً به ينبوع خير وعطاء يحدونا في صون حقنا منه حكمة قائد كبير واقتداره السيد الرئيس حافظ الأسد الذي هو في الصمود رمزاً وفي الشجاعة ماثرة وفي رد غل المتآمرين مدرسة يشهد لها القاصي والداني .

أيها السادة :

لقد طرحت محافظة الرقة مهرجان الفرات للثقافة والتراث فكرة فكانت وزارة الثقافة السبابة في تحويلها الى واقع وللسيدة الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة

ووزارتها بكل كوادرها كان الدور الفاعل والدافع لانجاز ما مستعيشونه معنا في هذا المهرجان الذي نريده جسر تواصل بين الماضي التالد والحاضر الماجد ونجد فيه تأكيداً للوحدة الوطنية والتلاحم الوطني الكبير خلف قيادة الرئيس المناضل حافظ الأسد رئيس الجمهورية الذي أولى هذه المحافظة من وقته وجهده وفكره الكثير، فكانت بحق وجادة محافظة الأسد والحركة التصحيحية المباركة.

وهذا ما انجز طموحها ولبى رغباتها في البناء والتقدم، فله من محافظة الرقة كل الحب والوفاء والولاء عرفاناً لما قدم وأنجز.

وإذ أرحب بضيوفنا الأكارم الذين حضروا لمشاركتنا فإنني استميتهم عذراً عن أي قصور، فما سترونه الآن تجربة، وفي الآراء النيرة التي تسدونها التصويب لنا في المهرجانات القادمة، واستذكر مع كل لجان التحضير التي أحصتها بالشكر على ما بذلته من جهد أن ما نريده من مهرجاننا هذا أن يكون المرأة العاكسة لتراثنا المعاش على حقيقته وإن تكون أيامه بالفرح والفخر بما تحقّق للرقة في ظل القيادة التاريخية للسيد الرئيس حافظ الأسد من مجد وحضارة وتقدم ورقي.

ولتبقى سورية الأسد قلعة منيعة وحصناً يذود عن الأمة حتى تتحقق أهدافها.

كلية وزارة الثقافة

أ.علي القيم

معاون وزيرة الثقافة



أ. علي القيم

يسعدني ويشرفني أن أنوب عن السيدة الدكتورة
نجاح العطار وزيرة الثقافة، بافتتاح هذا المهرجان
الكبير في حاضرة الرشيد وفوق الأرض المعطاء التي
نسج عليها انساننا العربي حضارة سمرمية مازالت
آثارها وشواهدا تردد حكايات وأساطير وإنجازات
عطاء مباركة .

نلتقي اليوم في مهرجان الفرات للثقافة والتراث
لنصل الماضي بالحاضر، ونعيد الحديث عن مجد
الحضارة، وحلم المستقبل في أرض مباركة،

ازدهرت على ضفاف فرائها المزارع والمنشآت العظيمة، وقامت على أرضها منذ
القدم حضارات زاهية، جمعها الفرات لتكون نبأاً لمدينت حقيقيه لم يكن العالم
الحديث ليستطيع الوصول دونها الى ما وصل اليه من تقدم ورقي في عالم اليوم .
الدراسات الكثيرة التي نشرت عن الفرات وحضارة سورية تقول بفخر وقوة ان
سورية اليوم هي مهد الحضارات الأولى . . روت مياها منذ الأزل حب الخير
والسلام في نفوس اهلها، ففتحت عبقرياتهم ليرسخوا جذور الثقافات والفنون،
وتؤكد هذه الدراسات بأن سورية لم تكن عبر تاريخها المومل في القدم نقطة الوصل
بين الحضارات المختلفة فقط، بل كانت أيضاً منبع انطلاق الحضارة بكل شموليتها
ومعانيها النبيلة السامية، وان اول خلية للحضارة والثقافة العالمية قد ولدت على
جوانب هذا النهر العظيم، ولولاه لما التقت القوافل التي تبادلت الثقافات والفنون
والبضائع والأفكار .

إن مكتشفات حوض الفرات الأثرية كانت ثورة على الأعراف التاريخية التي
كانت سائدة قديماً، فقد وجد في مواقعه الكثيرة، آثار منشآت معمارية تعود الى
الألف التاسع ق. م وعثر على تماثيل لآلهة الخصب، تعود الى الفترة ذاتها، وثبت ان
صناعة الطين المشوي كانت موجودة قبل التاريخ المتعارف عليه لدى المؤرخين

والباحثين بأكثر من أربعة آلاف سنة . . وهذا ما أحدث تغييراً واسعاً في ترتيب تطور الحضارة العالمية .

الحديث عن مهرجان الفرات يقودنا الى الحديث عن تاريخ المدينة التي تستضيفه ، فالرقة الزاهية بحضارتها ، يبتدئ التاريخ منها ، ويتطور مع تطور فكرها وثقافتها ، وفنونها وتراثها فموقعها الجغرافي والاستراتيجي والتجاري ، أتاح لها فرصة ذهبية لتبرز وتعطي منذ العصر الحجري القديم ، وتنقيبات تل البيعة «توتول» كشفت عن أول تجمع سكاني في مدينة ينساب الفرات في جنوبها ، والبليخ في شرقها ولتفخر بعد ذلك بأن عظماء كباراً في الفتح والسياسة والإدارة قد اشتركوا في تأسيسها وإبرازها للوجود شامخة ، قوية ، منيعة ، وكان لها دورها الكبير في إنجاب العديد من العلماء والأدباء والمفكرين الذين حفظ لنا التاريخ أشياء كثيرة من انجازاتهم ونتائجهم مثل : البتاني ، وابن مهران ، وابن عمر الجعبري ، وعيسى الرقي ، والتلمحري وغيرهم ويكفي ان نقول في مجال الصناعة والفن بأنه ينسب الى الرقة أجمل أنواع الخزف في التاريخ العربي الإسلامي .

من الثابت تاريخياً أن المجتمعات الانسانية تعمل باستمرار على استخلاص التجارب والعبر من خلال مسيرتها الطويلة ، من أجل التغلب على مصاعب الحياة ، لبناء الكيان الحياتي المناسب لها ، ومن خلال تلك العوامل الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية ، تتوالد قيم وابداعات وانجازات جديدة ، تعبر عن مرحلة ، وتشير الى زمن مضى . . .

وفي مرحلة الصحوة التاريخية لجذورنا الحضارية التي نعيشها في ظل عظيم الأمة السيد الرئيس المناضل حافظ الأسد باتت هذه الصحوة في سورية ذات اهتمام عام ، وشأناً عاماً قومياً ، ليس محصوراً في نطاق الجامعات والدراسات الأكاديمية . . . وأصبحنا ندرك جيداً أن التاريخ هو المحصلة الثقافية والحضارية في تاريخ العالم المتمدن ، وان تعرفنا على هذا التاريخ وأحقابه المديدة ، هو في المحصلة تعرف على حقيقة وجودنا على أرضنا المعطاء التي تفجرت عليها ينابيع المعرفة والفنون والثقافة والعلوم . . . وهذه المهرجانات والندوات والمؤتمرات التي تقام في العديد من محافظاتنا بما فيها من أدب وعلم وثقافة ومعرفة وتراث تجعلنا ندرك جيداً مدى أهمية موروثنا الثقافي والحضاري على أرض عمر الحضارة فيها مليون سنة ، وتتيح لنا

فرصة جيدة للحوار والاطلاع والمعرفة مع نخبة من كبار الباحثين والمؤرخين والأدباء الذين اجتمعوا على اسم الفرات، والتقوا على أرض «الرافقة» السرمدية التي تنتصب امامنا بعظمتها الغابرة وأصالتها التي لاتضاهى، وحاضرها المشرق، وسدها العظيم الذي حولها الى مركز اشعاع وعطاءات ومنجزات نفخر بها في ظل القيادة الحكيمة للسيد الرئيس القائد حافظ الأسد، الذي جعل من الخريف ربيعاً في حياة الوطن والأمة، وأعاد نصاعة التاريخ العربي وجدد أملنا بالمستقبل المشرق الواعد، ورفع رايات المجد سامقة، وصنع ملاحم النصر والبطولة، وحقق الانجازات الكبرى.

أتمنى لمهرجانكم كل النجاح والتوفيق، والشكر لكل من أسهم في تنظيمه، وعمل بجهد متواصل وعمل خلاق، ليكون هذا اللقاء التراثي، الثقافي على مستوى الرجاء والأمل، وأجزل الشكر للرفيق امين فرع الحزب وللرفيق محمد أحمد النفاخ محافظ الرقة، الذي وفر كل الإمكانيات وبذل كل الجهد والعطاء، ولاننسى ماقدمته السيدة الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة من بذل وعطاءات وتوجيهات كريمة ليكون هذا المهرجان اسماً على مسمى، فلها منا جميعاً كل الشكر والتقدير والعرفان.

الرقعة

في ذاكرة الأجيال

الدكتور عبد السلام العجيلي

الرقعة في ذاكرة الأجيال^١

منذ أربعة قرون أو تزيد وعلى التحقيق في عام ١٥٨٤ طبع الدكتور ليونهارت راوفولف كتابه عن رحلته في بلاد المشرق التي بدأها في عام ١٥٧٤ . عندي من هذا الكتاب القديم والنادر الوجود صورة ملزمة يتحدث فيها المؤلف عن مرور سفينته، التي كانت تقله في رحلته النهرية في الفرات ، مرورها بالرقعة ورسوها على شاطئها، وعن المشاكل التي تعرض اليها هو ورفاق سفره في ذلك الرسو، ولا أكتفكم ان هذه الملزمة قد اعتنتني كثيراً في قراءتها وترجمتها الى العربية، ذلك انها مكتوبة باللغة التي كان يتكلمها الالمان منذ اربعمئة سنة . وقد اعتذر العاملون في معهد غوته في دمشق عن عجزهم فهم محتوياتها، فاضطرت الى ان اعهد بقراءتها الى استاذ جامعي متخصص في مدينة فيرزابورغ ليرجمها الى اللغة الالمانية المعاصرة . وقد بدأ بذلك الطبيب الألماني الرحالة، أعني الدكتور راوفولف حديثه عن الرقعة بهذا الوصف لها :

الرقعة مدينة تقع ما بين النهرين ، ميزوبوتاميا وعلى حدود الصحراء العربية، على شاطئ نهر الفرات الكبير وبين هضبتين ولذا يصعب على المرء رؤية المدينة قبل ان يصل اليها، في المدينة قصر كبير ويديرها متصرف وفيها حامية تركية مؤلفة من الف ومائتي جندي سباشي، وقد اوكل القيصر التركي الى هؤلاء ادارة شؤون البلدة والسكان وحمايتهم، المدينة مبنية بناء سيئاً وسورها في حال يرثى لها ذلك ان المدينة الحديثة مبنية على انقاض القديمة التي دمرت وتلاشت . . لا يزال المرء يشاهد الاروقة والاقواس والجدران المتداعية من المدينة القديمة . . بين انقاض المدينتين، القديمة والمستحدثة، قصر شامخ قديم تحتله الحامية التركية . . وفي الواقع فإن المدينة القديمة كانت دمرت تدميراً تاماً مسحت بالأرض وبقيت خالية من السكان، على أرضها تقوم الحامية التركية بالتدريب العسكري والمناورات وهذا ماشاهدته بأعيني عدة

مرات خلال جلوسي على سور المدينة القديمة المتداعي .
هذه رواية شاهد عيان ليس من اهل المكان رسم فيها صورة البلدة التي نعيش فيها
اليوم في فترة كانت حالها فيها وسطاً بين حالين تعتبر كل منهما قمة لمكانة مدينتنا ،
بينما تعتبر الحال التي رآها فيها الدكتور راوفولف وهذه بين القمتين .
أولى القمتين اللتين اعنيهما كانت أياماً دعيت بأيام العروس ، وذلك في زمن
هارون الرشيد حين اثرها على عاصمة بني العباس التقليدية ، الطاغية باتساعها
وثرائها ونفوذها ، بغداد مدينة المنصور ، والقمة الثانية حالها حين نهضت هذه المدينة
فجأة من كبوة ، أو من غفوة ، أو من سبات ، لتصبح ما سميناه اليوم درة الفرات
وهي في الواقع في مطلع عهد نأمل ونعمل ليستمر فتصبح هذه المدينة حقاً درة فراتية
بين درر وطننا .

وهنا لابد لنا أو لابد لغيرنا من التساؤل : اترأها وحدها تلك الوهدة ، او تراهما
وحدهما تلكما القمتان ، من وهداث وقمم في تاريخ مسيرة هذه البلدة في عشرات
القرون التي بلغت علمنا اخبارها خلالها؟ .

الجواب على هذا التساؤل يردنا الى هوية المدينة التي نتكلم عنها ، والى الاسم
الذي حملته هذه الهوية في عصور كثيرة مرت عليها وانتهت بالعصر الذي نعيش فيه
اليوم .

عن اسم الرقة نستطيع القول انه اسم حديث ، حديث نسبياً كذلك عندما نقارنه
بعمر البنى التي عمرت هذا الموقع في العصور الطويلة الفائتة ، عمر هذا الاسم قد
لا يتجاوز الفا وخمسمائة عام ، صحيح ان نزوح القبائل من قلب الجزيرة العربية الى
وادي الفرات يرجع الى آلاف السنين ، ولكنها كانت تقدم اليه وترتد ، في مد وجزر
يتعاقبان بتعاقب فصول القر والحر وتعاقب سني الخصب والجذب ، اما استقرار تلك
القبائل ما بين النهرين ، فيما ندعوه اليوم الجزيرة ، فإنه لم يحدث إلا قبل قرن او قرنين
من البعثة المحمدية على الأكثر .

بهذا الاستقرار اصبحت امد وما حولها في أعلى الجزيرة ديار بكر ، باسم قبائل
بكر العربية والموصل وما حولها ديار ربعة باسم تلك القبائل . أما ادنى الجزيرة
المتاخمة لمجرى الفرات في جنوبها فأصبح ديار مضر وحاضرتها مدينة كانت اسماءها
قد تعددت في القديم ، كانت ليونتوبولس وقبلها قسقنطينوبولس ، وقبلها

كالينيكوس ، وقبلها نيسفوروم ، وقبل كل هذه التسميات كان اسمها تتول ، ولكنها حين استقرت بها قبائل العرب ، بعد ان كانت تنزلها وترحل عنها ، سلخت عنها كل تلك الاسماء الاعجمية المتتابعة لتحمل اسمها العربي الثابت : الرقة . . .

يستبعد عبد القادر عياش في دراسته عن بلدتنا تفسير كلمة الرقة بأنها بطيخة الماء المتبقية على الشاطئ بعد انحسار فيضان الفرات عنه كما ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان ، ويرد التسمية الى كلمة اعجمية وردت في شاهنامه الفردوسي ، ونحن بالعكس نجد ان تفسير ياقوت هو الصحيح يصدق ذلك ما نعرفه من أن رقات كثيرة تنتشر في بلاد العرب ، ينطبق وضعها الجغرافي على وضع بلدتنا بالنسبة لتجمعات المياه بقربها ، سواء كان التجمع نهراً أو بحراً ، هناك رقة في محافظة اسيوط على نهر النيل ، ورقة في العراق على شاطئ دجلة ، وثالثة في الكويت على شاطئ خليج العرب كسبت اسمها من كون موقعها على بطائح ماء تبقى حين يحل الجزر بعد المد على شاطئ الخليج . هذا عدا رقاتنا نحن من بيضاء وحمراء وسوداء وسمراء ، ليس منطقياً إذن ان نرد كل رقة الى ذلك الاسم الاعجمي الذي لم يرد في كتاب علمي بل في ديوان شعر ، إنه الاسم العربي الذي تحمله بلدتنا ، والذي اعطاها هويتها العربية بعد طول تأرجح بين الهويات الاعجمية المختلفة ، كانت اسماء هذه البلدة تتبدل في كل قرنين او ثلاثة بتبدل الغزاة والمحتلين والمتملكين ، اما اسم الرقة فقد ثبت طوال خمسة عشر قرناً ماضية ، متمسكاً بصيغته العربية وبهويته العربية على الرغم من كل ما تعرضت له بلادنا في هذه القرون الخمسة عشر من اجتياحات الغزاة ومن تبدل جنسياتهم ومما انزلوه بها من مظالم وكوارث .

ثبت اسم الرقة بصيغته وهويته العربيتين هو ما ساقني الى أن أبدأ في حديثي بالقيمتين في تاريخ الرقة والوهدة بينهما ، تاريخ البلدة العربية التي نعيش فيها اليوم . عن القمة الأولى قمة ايام العروص حفظت ذاكرة جيلنا والاجيال التي سبقته صنفين من الذكريات : ذكريات اسطورية لعب في نسجها الخيال الموهوم والمشوق وذكريات تاريخية تروي الوقائع موثقة ومدعومة بالاسانيد . الذكريات الاسطورية تكون في العادة ، وهذه طبيعة انسانية عند كل الشعوب وفي كل العصور ، أكثر رسوخاً في الازهان من الحقائق التاريخية ، وتعود الذكريات الاسطورية المتعلقة بالرقة الى فترة قصيرة ، هي الفترة التي يخيم عليها ظل هارون الرشيد ، والتي يستمد

الحيل من حقايقها التاريخية قصصه الغريبة والمحبة، كان هارون الرشيد على ما يروي المؤرخون، مولعاً بالتقصي عن احوال رعيته، سريع التأثر بما يسمعه، مبسوط الكف في عطائه. أوحى هذا الى القصصين برسم صورته كخليفة يتنكر بهيئة صغار التجار ويصطحب وزيره جعفر البرمكي في زيارة عامة الناس في احيائهم المبعثرة، في بغداد والرقه. ليتعرف على احوالهم وليستمع الى اخبارهم، فيعين المحتاج ويشيب المحسن ويعاقب المسيء، وهكذا ملأت حكايات هارون الرشيد المختلفة والمحبة في آن واحد، صفحات الف ليلة وليلة وتناقلتها ذاكرة اجيال القراء والمستمعين في كل زمان ومكان. وهكذا كذلك خلقت الذكريات الاسطورية التي قد تكون اول ما يتبادر الى الذهن عند كثيرين كلما ذكرت الرقة ووصفت بأنها بلد الرشيد، أو مصيف الرشيد، التي كانت مربعاً للمذاقة ومقاصف وقصوراً لمحظياته.

والذكريات الاسطورية كما نعرف غالباً ما تكون صوراً مزينة ومحسنة ومبالغاً فيها من ذكريات التاريخ الواقعية، إلا أن هذا لا ينطبق على ذكريات الاجيال عن مدينتنا، وعن احداثها من سعيده وبائسة، وعن رجالاتها من طيبين واشرار في ماضيها القريب والبعيد، فالحقائق في هذه الذكريات تفوق الواقع بكثير، الاسطورة تستوحي ذكرياتها من فترة زمنية تبلغ ثلاثة عشر عاماً او تنقص بقليل، هي ايام العروس التي جعل فيها هارون الرشيد من مدينتنا مقراً الدائم، اما ذكريات الواقع التاريخي لهذه المدينة واقصد بها المدينة العربية التي احصر كلامي بها الآن، فإنها تمتد الى زمن لا يقاس به زمن ايام العروس في الطول، كما انها تحفظ من جلائل الاعمال ومن غنى الاحداث في النعماء والبأساء ما تتجاوز اهميته وقيمه احاديث المسامرات وطرائف الحكايات.

لنبداً في الكلام، كلاماً مبنياً على ذكريات التاريخ الواقعية، عن هذه المدينة العربية من ايام خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فتحها سهيل بن عدي تحت امرة عياض بن غنم القهري، وقال في ذلك الفتح ابياته التي نحفظها كلنا، منها:

وصادمتنا الفرات غداة سرنا الى أهل الجزيرة بالعوالي
أخذنا الرقة البيضاء لما رأينا الشهر لواح بالهلال
الرقة البيضاء . . هكذا صار اسمها منذ اصبحت منتجعاً ثم مستقراً للقبائل العربية

المضرية ونسي اسمها الروماني كاليينكوم، يذكر المؤرخون ان هذا الاسم الروماني القديم استعاده لها الامبراطور جستنيان في منتصف القرن السادس الميلادي بعد ان كان قد بدل الى قسطنطينوبولس نسبة الى الامبراطور قسطنطين ثم الى ليونتوبولس في عهد ليون الثاني . إلا أن اسم كاليينكوم نفسه انمحي امام الاسم العربي حين استقر في هذا الجزء من الجزيرة عرب الغساسنة ثم قبائل تغلب المتنصرة . وهكذا فإن سهيل بن عدي لم يخترع هذا الاسم، الرقة البيضاء، للمدينة التي افتتحها صلحاً والتي سكنها في أول العهد الراشدي وابصة بن معبد الاسدي، صاحب رسول الله، وتبعه في سكنها من التابعين عدد كبير ترجم لهم القشيري في كتابه المشهور (تاريخ الرقة ومن نزلها من اصحاب رسول الله والتابعين) .

ولا بد لنا من الاعتراف بأن ما حفظه لنا التاريخ من احداث آخر العهد الراشدي جدير بأن يملأ بالأسى ذاكرة الاجيال التي تتالت بعد ذلك العهد الى يومنا هذا . اقصد بذلك ذكريات حرب صفين وانشقاق كلمة المسلمين وتحاربهم على شاطئ نهر الفرات، ومجافاة اهل هذه المدينة لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه، واضطرار الاشتر النخعي الى تهديدهم حتى أقاموا على الفرات جسراً من السفن كانوا قد أبوه على سيدنا علي نفسه، ومع ذلك فإن تلك الاحداث الخطيرة والمحنة زرعت في أرض الرقة عناصر بركة تعزز بها مدينتنا اليوم، ألا وهي مقبرة الشهداء التي ضمت اجساد قتلى حرب صفين، وفي مقدمتهم عمار بن ياسر واويس القرني رضي الله عنهما .

انقضت تلك المحنة وتضاءلت آثارها من النفوس او كادت، على ما خلفته في جسم الوحدة الاسلامية من عقايل خطيرة، وخيم الامن والسلم على هذه البقعة في وادي الفرات فراحت تنسج لسكانها واقعاً جميلاً تعم فيه الخيرات، وتنسج للاجيال القادمة ذكريات القوة والعزة، وذكريات الثراء الفكري والفني، في العصر الأموي أولاً ثم في العصر العباسي تالياً، ولا سيما في ذروة هذا العصر الاخير، تلك التي سمينها ايام العروس .

ذكريات القوة والعزة للرقعة في العصر الاموي تتمثل احسن ما تتمثل في شخص فتى بني امية، فارسهم والقائد العسكري الذي دوخ بيزنطة وسار بجيشه حتى اوصلها الى اسوار القسطنطينية في الغرب والى ارمينية التي وليها في زمن اخيه

يزيد، في الشمال، انه مسلمة بن عبد الملك الذي لم يحل بينه وبين ان يتولى الخلافة الا كون امه ام ولد، في زمن كان التمسك بنقاء دم الخلفاء يفرض على بني امية ان تكون والددة الخليفة عربية خالصة مثل مايكون ابوه عربياً قحاً، حصن مسلمة الذي بناه هذا القائد العظيم على مقربة من مجرى البليخ، بين الرقة وحران، ظل عامراً بأهله حتى أيام الرشيد يثير في خواطر الاجيال المتعاقبة ذكريات السيرة المجيدة لبانيه، ومثل ذلك كانت الذكريات عن هشام بن عبد الملك وعهد خلافته الزاهر في الرقة، اصبح اسمه مقترناً بالرصافة، فهي رصافة هشام بعد ان كان اسمها سرجيوبولس. وبسوق الرقة الضخم والغني فهو سوق هشام وبالهني والمري، وهما النهران اللذان اجراهما من الفرات واحيا بهما الارض الموات وبذلك السباق الذي اجتمع فيه من جياده وجياد غيره اربعة آلاف رأس من الخيول الاصيله، مما لم ير مثلهما لأحد قبله أو بعده.

هذه بعض ذكريات القوة والعزة للرقة في العهد الاموي. أما ذكريات الثراء الفكري والفني فيها في ذلك العهد فهي متمثلة في مدرسة السلف الصالح الذي استقر في هذه المدينة والذي بدأ بوابصة وابنائهم وتبعهم ميمون بن مهران وتلامذته، ممن نقلوا الى الاجيال بعدهم احاديث الرسول (ص)، ورووا لها ما حفظوه من سيرته، نقل ثقة ورواية تحقيق، وتتمثل كذلك بنخبة من الشعراء ورواتهم، ممن كانوا ينزلون مع الخلفاء والامراء في الرقة ويرحلون عنها معهم. جرير والاحطل وعبيد الله بن قيس الرقيات في مقدمة تلك النخبة، وابن قيس الرقيات هو الذي يقول في مدح عبد الله بن جعفر بن ابي طالب، احد اجواد العرب في كل زمان:

أتيناك نشني بالذي أنت أهله	عليك كما أثنى على الروض جارها
تغذي الشهباء نحو ابن جعفر	سواء عليها ليلها ونهارها
تزور فتى قد يعلم الله أنه	تجود له كف بعييد غرارها
ذكرتك إذ فاض الفرات بأرضنا	وفاض بأعلى الرقتين بحارها
وعندي مما حول الله هجمة	عطاؤك منها شولها وعشارها
مباركة كانت، عطاء مبارك	تمانح كبارها وتنمي صغارها

وعلى الرغم مما اشتهر به أهل الرقة في ذلك الزمن من أنهم عثمانيو الهوى، بمعنى

أن ميلهم كان إلى عثمان بن عفان وإلى الأمويين أحفاد أمية بن عبد شمس ، في القطب المناوئ للهاشميين من طالبيين وعباسيين ، فإن قيام الدولة العباسية لم يسلب الرقة مكانتها ولا أضعف اهتمام اقطاب الدولة الجديدة بها ، بل إن هذه العثمانية في النهى تسببت في زيادة عمران الرقة حين عهد المنصور إلى ابنه المهدي ببناء الرافقة ، مدينة عصرية بالنسبة إلى ذلك الزمن ، على بعد ثلاثمائة ذراع من الرقة نفسها ، تكون خالصة لشعبة الهاشميين وبعيدة عن لايزالون على تعلقهم ببني أمية . ومن الرقة والرافقة وقد أصبحتا بتتالي الأيام بلدة واحدة ، تكونت بؤرة أمجاد هذه البقعة ، جعل منها هارون الرشيد مقره وقلب دولته في الأعوام الثلاثة عشر الأخيرة من خلافته ، فتركزت فيها القوة العسكرية كما تركز فيها العلم والأدب والطرب ، تجاوزت أيامها في خلافة هارون الرشيد والعهد التالية لها أيامها السالفة ، على ازدهارها ، عندما كانت مقراً مختاراً لهشام بن عبد الملك منطلقاً لغزوات مسلمة بن عبد الملك .

هارون الرشيد الذي نسجت الأساطير حول أيامه في بغداد والرقة كانت سيرته التاريخية أكثر ثراء واسمى معاني مما ورد في تلك الأساطير ، كان يحج سنة ويغزو سنة ، زبيدة ، زوجته ، ساقى مياه عين زبيدة إلى مكة فسقت الحجيج ولا تزال ، وهو هدم أسوار هرقل ، أمنع حصون البيزنطيين ، وبني لمحضيته ابنة بطريقها هرقل أخرى لا تزال خرائبها جاثمة على بعد بضعة كيلو مترات من ابنة مدينتنا الحالية .

الرقة في عهده وفي عهود خلفائه كانت بين الفرات والنيل . . . نيل الفرات الذي كانت فروع منه تخترق المدينة فتسقي حدائقها وتروي سكانها ، وما حول المدينة كانت الجزيرة مزارع وقرى عامرة وغابات وجنائن تتناثر فيها الأديرة التي خلّد الشعراء في قصائدهم مجالي جمال طبيعتها ولذائذ العيش فيها ، كما تركوا لنا ذكريات أسماهم وحكايات عشقهم في ظلالها ، على باب دير زكي القريب من الرقة قتل العشق سعداً الوراق صاحب البيت المشهور :

رقيب واحد تنقيص عيش فكيف بمن له مائتا رقيب

ذلك أن الفتى الذي تيم سعداً الوراق بجماله في الرها في شمال جزيرتنا هرب به أهله من ملازمة سعد له إلى دير زكي الذي كان رهبانه ، وعددهم مائتان ، يحولون بينه وبين أن يفوز بنظرة من محبوبه يشفي بها غليل اشتياقه إليه ، قال سعد في ذلك :

ألا يا حـمامـة دير زكى
 قفني وتحملني مني سلاما
 عليه مسوحه واضاء فيها
 حماء جماعة الرهبان عني
 وقالوا رابنا المام سـعد
 وقولي سعدك المسكين يشكو
 فصله بنظرة لك من بعيد
 وإن أنا مت فاكتبي فوق قبوري :
 - رقيب واحد تنقيص عيش
 لم يكن هذا العشق الملهم مريياً إذن . . . كان هوى عفيفاً! وفي ذات يوم وجد سعد
 ميتاً الى جانب الدير . رحمه الله ، فلعله ينطبق عليه منطوق الحديث المصنوع الذي
 يردده الصوفيون : من عشق وعفّ ومات ، مات شهيداً ! .

ظل زخم موجة الازدهار العمراني والفكري والأدبي محتفظاً بقوته زمناً طويلاً
 بعد وفاة الرشيد وتحول خلفاء بني العباس عن مدينتنا هذه الى بغداد ، حسبنا ان نقف
 على اسم واحد من سكانها هو اسم البتاني محمد بن جابر بن سنان ، عاش البتاني
 وقدم للبشرية اعماله في الفلك والرياضيات بعد حوالي مائة عام من وفاة الرشيد ،
 في مرصده غير المبعد عن مباني الرقتين ، حساباته كانت اساساً كحسابات كوبرنيك
 التي اثبت بها ان الشمس هي مركز مجرتنا وليس الأرض . وإذا كانت كتب الاخبار
 والتاريخ الأدبي لم تحفظ لنا الكثير عن سيرة البتاني كما حفظت عن سير الكتاب
 والشعراء والملوك والامراء ، فإن اسم هذا العالم العبقرى مكتوب بحروف ذهبية في
 مجلدات تاريخ العلوم ، ومسجل على خريطة سطح القمر على سهل الباتانيوس ،
 الواقع بين بحر السكون وبحر العواصف على تلك الخريطة .

تقول الكلمة القديمة : ما طار طير وارتفع ، إلا كما طار وقع ! وكما تنطبق هذه
 الكلمة على الطير وعلى بني البشر ، تنطبق على الدساكر والمدن والدول ، بدأ وقوع
 الرقة أو تدحرجها ، من قمتها الحضارية مع تهافت الدولة العباسية بانحسار هيمنة
 الجنس العربي عليها وغلبة الأعاجم الذين استخدمتهم مرتزقة فأصبحوا سادتها ، اثر
 الرقة على بغداد بعض الخلفاء المتأخرين مثل المكتفي والمتقي ، ولكنهم كانوا من

الهزال بحيث لاتصح مقارنتهم بالرشيد أو المأمون، وحتى سيف الدولة، الفارس العربي الذي طالما تردد عليها واحبها هو وابن عمه ابو فراس، لم ينس اشتهاها بهواها المرواني، اعني بميل سكانها الاوائل الى بني امية، فأمر ذات يوم باقتلاع الابواب الحديدية لدورها، وكانت الامثال تضرب بجمال تلك الابواب، ليرسلها الى القرمطي الذي اعوزه الحديد في صنع نصال السيوف واسنة الرماح، وجاءت الضربة القاضية في غارات المغول عليها، بدأت تلك الغارات بتدمير هولاكو لها في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، وانتهت بإجهاز تيمورلنك عليها بعد نحو قرن ونصف من الزمن، وأرخ المؤرخون موت المدينة بكلمة (خراب)، وهي بحساب الجمل تساوي ٨٨٣، ففي العام الهجري ثمانمائة وثلاثة وثمانين الموافق للسنة الميلادية ١٤٠٠ بلغت الرقة حضيض الوهدة التي انحدرت اليها من ذراها الشامخة، وبعد مائة وخمسة وسبعين عاماً في سنة ١٥٧٥ يمر بها الدكتور ليونهارت راوفولف ويصفها بما أوردته في مطلع حديثي اليكم، ويضيف قائلاً:

«عندما رست سفيتنا في ميناء الرقة شاهدنا رجل المكوس ممتطياً حصاناً اسيلاً وجاء يطلب من الركاب ان يسلموه اقواسهم ونبالهم والامتعة التي في حوزتهم، لم يقبل الركاب ولا ربان السفينة الطلب فتوجه رجل المكوس اليانا ورفيقي وقال لنا بلهجة حادة اننا اجانب محرم علينا القدوم الى هذه المنطقة وهددنا بإرسالنا مخفورين الى القسطنطينية. ابرزنا له جوازات سفرنا الممنوحة اليانا من والي حلب وقاضيهما الكبير، فتركنا وتوجه الى من معنا في السفينة مطالباً اياهم بمكوس باهظة فرفضوا طلبه، مما أدى الى منعنا من مغادرة الميناء، كما جرد السفينة من مقودها ومن مجاذيفها.

وبينما كنا فوق النهر على متن سفيتنا محجوزين وفي غاية الاعياء، في انتظار الفرج، وإذا بملك العرب، في يوم ٢١ سبتمبر، قد بدأ رحيله الى مناطق الجنوب بحثاً عن المراعي لدوابه، من خيول وجمال وحمير، كان قادماً من مناطق اخرى فهؤلاء العرب ليس لديهم مدن ولا قرى ولا بيوت يسكنونها كما هي الحال عندنا في أوروبا، وخلال هذا الرحيل اقفل الاتراك ابواب اسوار مدينة الرقة لمدة أربعة أيام حتى انتهاء رحيل العرب الذين كانوا يمتطون خيولهم الاصيلة ويحملون رماحهم واقواسهم ونبالهم وبعضهم يركب الجمال... وانا شخصياً شاهدت بأم عيني عدة

مرات اكثر من اربعة آلاف جمل . . . أما النساء فكن يمتطين الحمير ، وبعضهن يركبن الجمال مع ابنائهن الصغار كل ثلاث أو أربع في هودج» .

هذا بعض ما نقله لنا الدكتور راو فولف من ذكرياته في كتابه عن الرقة ، في الفترة التي وصفتها كوهدة بين قمتين ، لم يكن ذلك الطبيب الرحالة وحده الذي اجتاز وادي الفرات وعرف الرقة في تلك الفترة ، قبله اخترق هذه المنطقة السلطان العثماني سليمان القانوني في طريقه الى بغداد التي احتلها في عام ١٥٣٤ ، وكانت له فيها وقفتان ، الأولى في بلدة الرقة ذاتها ، أو بالأحرى في خرائبها ، زار فيها قبر اويس القرني فبنى عليه قبة أو أنه جدد قبة كانت عليه مبنية ، وترك شاهداً على الزيارة لوحة سجل عليها اسمه وتاريخها ، والوقفة الثانية كانت في عودته من معاركه منتصراً فيها ، في هذه المرة نصب خيام معسكره على الفرات ، في منازل عشيرة في نواحي السبخة الحالية كانت ترعى قطعاً من الجواميس ويروي الرواة ان رجلاً من تلك العشيرة اسمه ذيب كان يملك جاموسة سماها غملة ، وانه كان يأتي كل صباح راكباً جاموسته ، وهو يصيح بها ، مستحثاً اياها على المشي : غملة . . غملة ! الى أمام صيوان السلطان ، وهناك يأخذ بحلبها ويتقدم بحلبها الى السلطان في مجلسه الصباحي ، ويروون كذلك ان سليمان القانوني عند عودته الى عاصمة ملكه جعل من مروره بمخيم من تلك العشيرة ومن حليب تلك الجاموسة احجية يلقيها على رجال معيته قائلاً لهم : رأيت غملة يحلبها ذيب ، وشربت منها رائباً وحليباً ! حلّوا هذا اللغز . . .

ويضيف الرواة الى ما ذكرناه قائلين ان رضى السلطان عن عشيرة الجماسه تلك تمثل بفرمان كتبه لها يعفي افرادها من الضرائب التي تطرح على العشائر المماثلة ، وان شيوخ هذه العشيرة احتفظوا بالفرمان الى أيام السلطان عبد الحميد ، ما قبل الحرب العالمية الأولى ، فكانوا يبرزونه كلما جاء الجباة يطالبونهم بالضرائب فيعفون منها . وهكذا نرى أن فترة الوهدة بين قمتين ، على بؤسها تركت اثرها في وقائع وأحداث نقلها الرواة عبر الأجيال لنسجلها ذكريات بحبر على ورق .

وطال زمن تلك الوهدة فامتدت على قرون عديدة ، ستة قرون بين وصول جحافل المغول بقيادة هولاكو الى الرقة سنة ١٢٥٩ ، حاملة الرعب والدمار وبين بناء مخفر جديد فيها في الستينات من القرن التاسع عشر ، كانت الجزيرة الفراتية حول الرقة في تلك الفترة سهوباً مقفرة تجول فيها قبائل البداوة وتتحارب فيما بينها غازياً

بعضها بعضها الآخر ، إنها القبائل التي وصف لنا ليونهارت راوفولف صورة واحدة منها وحدثنا عن شيخها الذي سماه ملك العرب . قرون ستة من التصحر والدمار والتخلف لم تستطع فيها جحافل المجتاحين والمحتلين ، مغولاً وصليبيين وأتراكاً أن تنتزع من هذه الجزيرة هويتها العربية ، ولا أن تغير الاسم العربي لحاضرتها ، كما كان يحدث في الفترات السالفة قبل القرن السادس الميلادي .

كان لابد لفترة الهمود التي طالت تلك القرون الستة من أن تنتهي ، لن أعود إلى التمثيل بالتعبير القديم : ماطر طير وارتفع . . . إلى آخره . . بل اتمثل هنا بكلمة طالما ترددت على ألسنة أهلنا القدامى هي قولهم : واد سالت فيه المياه في يوم مضى ، لابد أن تعود فتسيل فيه في يوم مقبل ! وصدقت الرقة هذا القول . مياه الحضارة والعمران والنشاط الفكري التي نضبت في هذه المدينة خلال القرون الستة الماضية بدأت ترطب تربة الوديان التي سالت فيها قديماً ، ففي الربع الأخير من القرن الفائت اخذت اسر قادمة من انحاء بلاد الشام والعراق المختلفة تتجمع حول مخفر اقامته الحكومة العثمانية في ظل خرائب المدينة القديمة ، في محاولة منها لحماية الطرق الواصلة بين المدن الكبيرة في هذا الجانب من امبراطوريتها . بنت هذه الاسر لنفسها في ظلال الخرائب اكواخاً ثم دوراً بدائية ثم منازل محسنة في الزاوية الجنوبية الغربية من السور القديم الذي كانت ابراجه لاتزال مرتفعة فوق سطح الأرض ، وبني الجامع الحميدي وغرف المدرسة الملحقة به ، وحين جاءت الحرب العالمية الأولى كانت الرقة قد غدت قرية كبيرة بل بلدة صغيرة .

انتهت الحرب العالمية الأولى فأعقبتها في كل ناحية من نواحي بلادنا قضايا ومشاكل واحداث امتلأت بها ذاكرة الأجيال التي تلت جيلها ، هذه القرية الكبيرة ، أو المدينة الصغيرة ، التي اسمها الرقة كان لها نصيبها مما اعقب تلك الحرب من كل ذلك ، فقد غدت والبلاد لاتزال تعيش عقابيل الحرب ، مقرأ لحدث فريد ليس له من مثل الا حدث مشهور جرى في مصر في زمن مقارب وكتبت عنه هناك دراسات وألفت فيه كتب ، وهو الحدث الذي سمي امبراطورية زفتي ، اما عندنا فإن هذا الحدث ظل في ذاكرة اجيالنا باسم «حكومة حاجم» . إنه الدولة المجهولة التي كتبت انا شخصياً تاريخها في بحث رجع اليه مؤرخون كثر في مناسبات متعددة ، وبينت فيه كيف ان آباءنا على ضعف المامهم بالعلوم السياسية وقلة معرفتهم بكيفية بناء

الدول ، استطاعوا في ذات يوم ان ينشئوا حكومة مستقلة سامية الأهداف جيدة التنظيم ، وإن لم تسمح لها امكانياتها المحدودة ، ولا سياسات الدول الكبرى المنتصرة ، بأن تعمرا أكثر من عام ونصف العام . .

لن أطيل عليكم وأعيد على اسماعكم تفصيلاً لتاريخ تلك الدولة المجهولة ، أعود فأقول إن هذه القرية الكبيرة أو البلدة الصغيرة ، التي عادت الى التكون فوق انقاض ماضيها الزاهر ، كانت في الواقع نقطة شبه ضائعة في بادية مترامية الأبعاد ، في هذه البادية المتسعة يتنقل البدو على ظهور جمالهم على هواهم ، وتسكن العشائر الاساس الراسخ لسكان هذه البلدة في حياتهم الاجتماعية : في طراز السكن وفي التزاوج وفي التحالف وفي الثأر والدية ، وفي التمسك او الاعجاب بقيم البادية الاخلاقية من شجاعة وكرم وعفة جنسية ، وبعض ابناء هذه البلدة كانوا حتى زمن قريب يلتحقون بصورة دائمة او في فترات متقطعة ببعض القبائل البدوية ، فيشاركون افرادها في طراز حياتهم ، بل إنهم يرافقونهم في حروبهم ويغزون معهم في غزواتهم .

ذلك ان الوانا من السلوك القبلي مما كانت تمارسه بادية الجزيرة الفراتية في قرون الخراب والتصحر ظلت حية فيها في أول زمن التحضر الجديد . ذكرت الغزوات فيما سبق وأعني بها الهجمات التي تشنها عشيرة على عشيرة ثانية بدافع حب الهيمنة أو لدواعي الثأر أو حتى طمعاً بخيرات العشيرة الأخرى . الغزو ظل لونا سلوكياً لقبائل منطقتنا امتدت ممارسته حتى منتصف العشرينات من هذا القرن المؤذن بالرحيل ، ولا أزال شخصياً أحمل من ذكريات الصبا الباكر ذكرى مرور غزاة عشيرة شمر بالركة ، ومبيت طليعتهم ليلة واحدة فيها موزعين كضيوف على دواوين البلدة ، أعني على مضافات اسرها ، كانوا يتأهبون لمنازلة الفدعان والخرصة من عشيرة عنزة في الصباح المقبل ، وأذكر أن عقيد غزاة شمر الشيخ دهام الهادي ، وهو آنذاك في أوج شبابه ، كان نزيلاً في مضافة اسرتنا ، رأيته فيها يشرب القهوة ويتناول طعام العشاء قبل ان ينصرف الى النوم ، محاطاً ببعض رجاله الذين أحسبهم ظلوا ايقاظاً يحرسونه حتى الفجر ، عندما انطلقوا جميعاً ، مدججين بأسلحتهم الى ساحة المعركة .

حدث هذا في منتصف العشرينيات ومر عقدان من الزمن ، عشرون سنة أو تزيد قليلاً ، وإذا بي في ذات يوم أجد عقيد الغزاة ذاك ، الشيخ دهام الهادي ، زميلاً لي

على مقاعد مجلس النواب السوري في دمشق في الأعوام ١٩٤٧، ١٩٤٨، ١٩٤٩.

أصبح الغزاة البداة إذن في وادينا في هذه الفترة من الزمن، أعضاء برلمان ومشرعين! هذا صحيح، ذلك انه في تلك الاعوام العشرين، او التي تزيد قليلاً، كسرت بلادنا قيود الاحتلال الفرنسي الذي عرقل مسيرتها نحو التقدم والتحضر، في أيام نضالية ملأتها بالانتفاضات والثورات. آخر تلك الأيام كانت أحداث أيار وحزيران عام ١٩٤٥ التي نالت الرقة فيها نصيبها من المآسي ومن المفاخر، وإذا كانت بلادنا السورية، والجزيرة الفراتية جزء منها، قد سارت في دروب التقدم والتحضر بخطا مترددة وبطيئة في ظل الاحتلال الفرنسي، وظل الاحتلال التركي العثماني قبله، فإنها حين تمتعت باستقلالها وأصبح امرها بيد راحته وتعدو وتقفز في تلك الدروب، حتى وصلت الى ما وصلت اليه في الأيام التي تحياها اجيالنا الحاضرة.

تروني قد قصرت كلامي، كما أنبأتكم في مطلع، على الفترة العربية من تاريخ هذه المدينة العربية وهذه البقعة العربية، أرجو ان لا تظنوا هذا جهلاً مني، أو استهانة مني، بما سطرته مؤلفات الأقدمين وما كشفته وتكشفه كل يوم بعثات الآثار والدراسات التاريخية عن غنى ماضي الأرض التي نعيش عليها وعن اهمية الاحداث التي ملأت ذلك الماضي من مجيدة ومأساوية، ولكن حديثي هو عن الرقة في ذاكرة الأجيال. وذاكرة الاجيال المتتابة حتى اليوم قد حفلت بأخبار الفترة العربية لربوعنا هذه بالدرجة الأولى، وأكاد أقول بالحصص التام، كما إن حاضرننا الرقة اليوم هو حاضر تكوينها العربي الذي ماتخلت عنه طيلة خمسة عشر قرناً متتالية، مشاركة، بخصائص طبيعتها وسعة امكانياتها وجهود ابنائها، في تعزيز تكوين امتنا العربية وصموده وبناء قوته.

وإذا كنت توقفت في استعادة ذكريات ماضي مدينتنا عند الاستقلال، فذلك لأن الجيل الحالي من ابناء امتنا يعيش، منذ ذلك الحين الى أيامنا هذه، حياته الناشطة التي ستصبح ذكريات للأجيال القادمة، حفلت هذه الحياة بأحداث كثيرة وخطيرة، منها السعيد والبائس، ومنها المفرح والمحزن، بعد الاستقلال عشنا الوحدة والانفصال، والثورة ونكبة عام ٦٧، وعشنا التصحيح وثمرته انتصار تشرين، وقبل هذا الانتصار بثلاثة شهور شهدنا بأعيننا، في هذه البقعة من أرض الوطن وعلى بعد كيلو مترات

متعددة من المكان التي فجمتمع فيها اليوم ، رئيسنا المناضل ، سيادة الرئيس حافظ الأسد ، يومي بيده فيتحول مجرى نهر الرقة الكبير ، نهر الفرات الى عنفات السد الجبارة ، مفتتحاً بتلك الإيماءة عهداً جديداً من الإنتاج والأزدهار للبرقة المدينة ، وللوادي وللشهب المترامية حوله ، وللسورية الوطن العزيز .

كل هذا ، كما قلت ، حاضر عشائه ولا تزال نعيشه ، حاضر حي نشط ، لم يحوله الزمن بعد الى مخزون في ذاكرة الاجيال ، فلنجهد كفننا ولنعمل كلنا كي يصبح الحاضر اليوم . عندما تستعيد ذاكرة الاجيال المقبلة ، ارضاً ثميناً ومادة غنية وسامية ، يفخر بها ابناءؤنا القادمون مثلما نفخر نحن الآن بالقوي والغني والسامي من إرث آبائنا الماضين .

أحداث

لهاتاريخ

بحث بقلم: ابراهيم الخليل

أحداث لها تاريخ

«وتقع ديار مضر غرب الجزيرة في حوض الفرات الأوسط ورافده البليخ وقاعدتها الرقة ومن أهم حواضرها: الرها، وحرّان، وبالس». يعتبر هذا التحديد الذي أورده الغزي في تاريخه الشهير، أو في تعريفه بمركز الرقة التاريخي وموقعها الذي امتازت به منذ أقدم العصور، فهي عاصمة ديار مضر، ومركز من مراكز العصبية العربية، وواحدة من أهم حواضر الفرات، وما أصابها من إهمال وانزواء في بعض الفترات، إن هو - في الواقع - إلا الوضع الطبيعي لمعظم مدن الشام والجزيرة في أواخر فترة الحكم العثماني الآيل الى الانحطاط والتحدّر إلى السقوط.

والرقة موقع سكن للبشر منذ أقدم العصور، فقد تراكت آثار الإنسان فيها بعضها فوق بعض «وقد أعطانا الأستاذ «دونان» خبير مديرية الآثار العامة مجملًا لهذه الطبقات، نذكره فيمايلي:

- العصر الحجري القديم (يعود الى ما قبل ٦٠٠٠ سنة ق.م) آثاره موجودة في السهل.

- العصر الحجري الحديث (٦٠٠٠-٣٠٠٠ ق.م) آثاره موجودة في تل زيدان على الطرف الأيسر من البليخ.

- عصر البرونز (٣٠٠٠-٢٠٠٠ ق.م) آثاره موجودة في تل البيعة على بعد ٢ كم من البليخ في الضفة اليمنى قرب مدينة الرشيد.

- المدينة الهلينية (٣٠٠٠ ق.م حتى نهاية القرن الأول ق.م) وقد بناها سلوقس الأول وأسمّاها (نيكينور يوم) وهي تحت أنقاض العهدين الروماني والبيزنطي.

- المدينة الرومانية (القرن الأول - الثالث بعد الميلاد) وهي تقع الى شرقي باب بغداد القائم حالياً في الرقة.

- المدينة البيزنطية (القرن الثالث - السابع ب. م) واسمها (كالينيكوم) ثم أطلق عليها «ليونتبوليس» وهي تقع الى شرقي باب بغداد.

- مدينة الرافقة التي بناها أبو جعفر المنصور سنة ١٥٥ هـ - ٧٧٢ م.

- مدينة الرشيد وهي توسع الرافقة نحو الشرق والشمال في القرنين الثاني والثالث الهجريين - الثامن والتاسع الميلاديين^(١)

والتسمية الأخيرة محدثة وقد سماها ياقوت الحموي «الرقعة الوسطى» ودليل ذلك اليوم ما كشفت عنه الحفريات في موقع «قصر البنات» من امتداد للبناء الى خارج السور.

وكانت المنطقة قبل الإسلام مسرحاً للنزاعات بين الروم والفرس، وقد تداول حكمها الاثنان، ثم استقر حكمها للروم بعد انتصارهم على الفرس، وكان أهل المنطقة من العرب الذين يدينون أكثرهم «بالمسيحية» ثم جاء الفتح الإسلامي بين ١٧-١٨ هـ فانتقلت الى حكم المسلمين، وقد وجدت الرقة الأمن والسلام في ظل المسلمين، وفي عهد واليها سعيد بن عامر بن حذريم بدأت حركة إعمار فبنى بها جامعاً من الآجر، ويذكر أبو الفرج العشي «واستعمل في بنائه أنقاض الرخام القديم، ولا زالت آثار مأذنة «المنيطير» في خرائب «الرقعة» شاهداً على المدينة المندثرة شرقي الرقة.^(٢)

أما في العصر الأموي فلقد مرّ على الرقة فترات ذهبية فكانت قصور هشام بن عبد الملك التي نشأ حولها ما يسمى «واسط الرقة» ويذكر الأستاذ هو نغمان في الموسوعة الإسلامية أن هشاماً بنى جسراً على الفرت عند واسط الرقة^(٣) كما ظلت فيها حصون مسلمة زمناً طويلاً وبها بعض أحفاده وهناك عدة بلدات متصلة في العهد الأموي تحمل الاسم نفسه وتتصل ببعضها وهي:

- الرقة البيضاء: وهي الرقة القديمة تقع شرقي الرافقة اليوم على بعد ٢ كم تقريباً.
- رقة واسط أو واسط الرقة ونشأت في الجانب المقابل من الفرات حول قصور هشام.

- الرقة السوداء: وهي قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة وشربها من البليخ وقد يكون اليوم مكانها ما يسمى «الرقعة السمراء».
- الرقة الحمراء: ولا زالت تحمل الاسم نفسه اليوم، وهي موطن عيد الحميد

الكاتب المعروف الذي كتب لمروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، ويذكر الجهشيارى في كتابه «كتاب الوزراء والكتاب» أنه أرسل من فلسطين الى أهله المقيمين في «الحمراء» رسالة يعزيهم عن نفسه^(٤)

بناء الرافقة توعم بغداد :

منذ البدايات اهتم العباسيون بالرقعة نظراً لأهميتها العسكرية كثغر يواجهه الخطر البيزنطي المتربص بالدولة، ولأهميتها الاقتصادية كمركز تجاري وزراعي غني نظراً لانتقال مركز الدولة من الشام الى العراق، ومن هنا حين اختار المنصور مكان بغداد قال : هذا موضع معسكر صالح، هذا دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء، يأتينا فيها كل ما في البحر، وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينيا، وماحول ذلك، وهذا الفرات يجيء فيه كل شيء من الشام والرقعة وماحول ذلك .^(٥)

وبعد بناء بغداد، أرسل المنصور ابنه المهدي سنة ١٥٤هـ الى الرقعة، فبنى الى جانبها مدينة «الرافقة» على بعد ٣٠٠ ذراع شمالي غربي المدينة القديمة، وقد جلب لها - كما يقول كرزويل نقلاً عن ديونيسيوس التل محري - البنائين من جميع بلاد الرافدين، وجعل لها سوراً على شكل نعل الفرس وهذا السور مضاعف لعدم وجود وقاء طبيعي له .

ويذكر أن للرقعة بابان ، ويؤكد ذلك آراء المؤرخين :

* يذكر الطبري والمسعودي في أحداث عام ٣٦ للهجرة أنه عندما أراد الإمام علي بن أبي طالب أن يجتاز الفرات من الجزيرة الى ضفاف الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان انتهى الى الرقعة ومرّ منها جيشه على جسر عقد له من السفن بعد تمنع أهل الرقعة .

* هناك بابان للرقعة لا باب واحد، يقول ابو الفرج العشي في بناء الرافقة «جعل للمدينة بابان، أحدهما في الزاوية الجنوبية الشرقية والآخر في الزاوية الجنوبية الغربية، ولا يزال الباب الشرقي ماثلاً ويسمى «باب بغداد» .

أما الباب الغربي فقد تهدم وقد ذكر ياقوت الحموي اسم (باب الجنان) لعل هذا الاسم للباب الغربي، وجعل الى جانب كل منهما برج مستدير نصف قطره ٨٠، ٧م تقريباً، لا يزال البرج الشرقي موجوداً بارتفاع ٧-٨م، أما البرج الغربي فقد رآه الأستاذ هرتزفيلد عندما زار الرقعة سنة ١٩٠٨م .^(٦)

* يذكر ابن صوقل في كتابه المسالك والممالك عندما يصف مدينة «المهدية» في تونس فيقول: «ولها بابان ليس لهما فيما رأيته من الأرض شبه ولا نظير غير البابين اللذين على سور الرافقة وعلى مثالهما عملا» (٧)

- هناك بابان لا باب واحد ولا مثل لهما في الدنيا سوى بابي المهدية اللذين عملا على طرازهما.

- تسمية «باب بغداد» محدثة برأي العش ومهما كان اسمه فهو «باب» في النهاية وإلى جانب كل منهما برج مما يعني انهما خارج السور.

- لقد ظل البرج الجنوبي الغربي إلى الستينات وكان اسمه الدارج عن الاهالي «القلة» ثم هدم لتقام محله «الساعة» الحالية. أما الباب فقد عدت عليه العوادي قبل ذلك بزمن بعيد.

وقد تضاءلت مكانة الرقة بعد أن كانت عاصمة للرشيد وجنة الشعر، والأدب وبدأت تفقد مكانتها بعد بناء (سامراء) التي جذبت الخلفاء والقواد والأمراء وامتدت هذه الفترة من القرن الثالث إلى القرن السابع، وذلك لأسباب عديدة منها:

١- الكوارث الطبيعية:

ومن هذه الكوارث:

الزلازل: وهذه الزلازل ضربت بلاد الشام والجزيرة فدمرت المدن وصدعت الأبنية ودفعَت السكان إلى التنقل في بيوت الشعر، وأغرتهم بحياة الرعي والانسحاب من الحياة المدنية.

ومن أشهر هذه الزلازل:

١- زلزال ٢٤٥ هـ

٢- زلزال ٥٠٧ هـ

٣- زلزال ٥٥٢ هـ

٤- زلزال ٧٧٤ هـ

٥- زلزال ٧٨٩ هـ

٦- زلزال ٨٠٦ هـ

٧- زلزال ٨٠٧ هـ

٨- زلزال ١١٣٣ هـ

- زلزال ١٢٣٧ هـ

- زلزال ١٢٨٧ هـ

الأمراض :

وكانت تأتي كجائحات ، يصل أرقام ضحاياها حداً يبعث الرعب ، خاصة في فترة لم تتوافر فيها اللقاحات والادوية والوقاية الصحية الواعية . ومن هذه الأمراض :

- الطاعون وهو الأخطر ، والأفتك بالمدن والجيوش ، والجذري ، والحمى .
والهيفة والتيفوس وغير ذلك .

- الثلوج والفيضانات والسيول ، والقحط وكلها أسباب قاهرة .
كل هذه الظروف الطبيعية حولت الزمن الى زمن «ايكولوجي» أو «بنائي» حيث أصبح الناس يقيسون الزمن لأحداث معينة بظروف طبيعية مثل الجفاف ، أو سنة «الوجع» أو سنة «الفيضة» أو سنة «الثلجة الكبيرة» أو سنة «أبو شراشب» وهذا الاتجاه يبرز عند المجتمعات البدوية أو نصف البدوية .

٢- العوامل السياسية :

وتتمثل هذه العوامل في :

الفتن والحروب الداخلية : ومن أهمها ثورة عمرو ونصر بن شبيب على المأمون ١٩٧ هـ - ٨٢١ م وقد احترق بسببها ربض الرافقة ودير العواميد الذي يظن بأنه المسجد المعلق الذي يذكره المقدسي ، ثم الحروب والمشاكل بين عرب الشام من سكان الرقة والخراسانية من سكان الرافقة التي اضطرت المأمون الى بناء جدار بين الرافقة والرقة للعزل بين الاثنين .

أما في العهد العثماني فتمثلت في هجمات الانكشارية على الأهالي وظلمهم ، وفي نظام قرى المقاطعات العسكرية ، وانتشار الرشوة والفساد بين الولاة والحاشية وفي هجمات البدو على الضواحي والمدن ونهبها ، اضافة الى حروب الدولة العثمانية وسوق الشباب الى جبهات القتال ومصادرة الغلال وانتشار الغلاء والجوع والنظام الضريبي السيئ وإعانة التأسيسات العسكرية .

وقد عانى السكان أيضاً من السياسة الزراعية السيئة التي قادت الى هجر القرى والريف وكانت ضريبة الاعشار من أشد الضرائب وطأة على الفلاحين .

الغزوات الخارجية وتتمثل في غارات الفرنجة والصليبيين والتركمان والخوازرية والمغول فتخربت المدينة القديمة منذ القرن الرابع أما المدينة الحديثة «الرافقة» فظلت حتى القرن السابع ثم دمرت مع توءمها بغداد على يد التتر سنة ٦٥٦هـ-١٢٥٨م وجاء خرابها نتيجة لخراب بغداد حتى أصبحت في القرن الثامن يباباً كما يقول أبو الفداء «والرقة في زماننا مدينة خراب ليس بها أنيس» . .

ولابد أن أيدي الأعراب عاثت بما بقي فيها، وأتلفت محتوياتها، ونهبت ما يمكن أن يستفاد منه ثم نامت المدينة نوماً عميقاً.
إعمار الرقة الحديثة:

يشوب قضية إعمار الرقة الحديثة كثير من الغموض واختلاط الروايات والتضارب والأهواء ولجلاء هذا الأمر علينا التعامل بحذر مع هذا الخليط الإخباري، فليس لدينا من مصادر لفهم السياق التاريخي لإعمار المدينة سوى روايات بعض الإخباريين من المعمرين يتداولونها في المضافات والدواوين وهذه الروايات لا تخلو من الهوى والتعصب والاختراع، يرفد ذلك بعض الدراسات المتناثرة في الكتب ومذكرات الرحالة الذين مروا بالمدينة .

ويمكن أن نقسم مرحلة إعمار المدينة الحديثة الى ثلاثة أدوار :

١- إعمار مركز المدينة :

وهو الذي أعطى الرقة نواة الاستقرار، وكان نقلة من حياة الرعي والترحّل الى حياة التحضر، والشروع في استكمال بناء مدينة متوسطة نواتها الأسرة الكبيرة لالعشيرة، وسكانه من «القول» ولفيفهم .

٢- إعمار الضواحي :

وفيه أقدم التجمعات السكانية التي عاشت ومازالت الى جوار المدينة يوم كانت أطلالاً للخراب والوحش لا أنيس فيها، ولكن هذه التجمعات غير ثابتة يدفع بعضهم بعضاً عن موطنه الفصلي حسب القوة والمنعة وقد استقروا أخيراً في القرى المجاورة للمركز وسكانه من البوشعبان ولفيفهم .

٣- البادية أو الحماد :

وسكانها من البدو وأشباههم ممن يطلق عليهم «الكوجر» وقد كان لهم دور خطير في فقدان الأمن، وإشاعة الفوضى وقطع الطريق، وفرض «الخوة» على عباد الله،

حيث الغزو والفتن والمذابح الوحشية، التي امتدت حتى الخمسينات وقد امتصتهم فرص العمل والاستقرار السكاني .

الهجرات الكبرى :

كما أسلفنا ظلت الرقة فترة من الزمن تكاد تخلو من السكان تماماً ثم بدأت الهجرة إليها، وهذه الهجرة شملت الضواحي لا المركز، وقد توالى ولكن هناك ثلاث هجرات كبرى :

١- الهجرة الأولى :

ليس لدينا ما نعوّل عليه في تحديد زمن هذه الهجرة تماماً، ولكن كتاب «سياسة الإسكان العثمانية . . لجنكيز أورھونلو» تناول حركة الإسكان في الرقة في تلك الفترة، وما يهمننا فيه وجود بييلوغرافية للسكان الموجودين حول الرقة، مبنية على الوثائق العثمانية وقد وردت فيه أسماء لعشائر كثيرة مازال معظمها موجوداً حتى اليوم بالاسم نفسه* ويرجح وجود هذه التجمعات السكانية منذ القرن الرابع عشر، وقد وفد معظمها من حويجة العبيد في العراق، ومما يميز هذه التجمعات عروبتهـا ووجود أوامر القربى بين معظمها لانتسابها الى زبيد، وبييلوغرافية أورھونلو تعود الى العام ١٦٩١ م.

٢- الهجرة الثانية :

تكاد تتفق معظم النصوص والروايات حتى الشفهية على زمن هذه الهجرة الذي يقدر في العقد الاخير من القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر فكتاب سياسة الإسكان العثمانية يحدّد مجيء عنزة في العقد الأخير من القرن السابع عشر أما مؤلف «تاريخ شرق الأردن وقبائلها» فذكر قدومهم في بداية القرن الثامن عشر وكتاب تاريخ الأمير فخر الدين المعني فيذكر عنزة في حوادث القرن السابع عشر، كما تذكرهم دائرة المعارف الاسلامية، في الفترة نفسها/ والسائح السويسري «بركهارت» في رحلته الى بلاد الشام وجد عنزة منبسطة في البداية لكنه لم يستطع تحديد تاريخ وصولها .

وقد تفرقت عنزة بعد وصولها الى الشام فزحف ولد علي نحو حوران والجولان، واستقر الحسنة في اطراف حمص وحماة، ثم اشتبكوا مع الموالي المنهكين بعد حروب شمر وطى وبني خالد، وكالنار التي تأكل بعضها جرى قتال بين الحسنة من

جهة والفتحان والسبعة من جهة أخرى ، وقد تابع الفدعان سيرهم الى الرقة . وترتب على مجيء هذه الهجرة كما أسلفنا فقدان الأمن والفوضى وفرض «الخوة» وغياب القانون المدني لتحل محله سلطة العشائر وتقاليدها البدوية .

٣- الهجرة الثالثة :

هذه الهجرة تشكلت من أسر أو أفراد أحياناً ، وعلى العكس من الجوار ليس هناك صلة قرى تجمع بين أفرادها ، جاءت لتستقر في المكان فهي النواة الحضرية الأولى للإعمار الحديث وقد ساعد على ذلك سياسة إسكانية - زراعية نشطة بدأها السلطان عبد المجيد منذ منتصف القرن التاسع عشر حيث يقول الغزي في تاريخه «ولما جلس السلطان عبد المجيد خان / ١٨٣٩ / م على العرش العثماني ، ألقت نظره الى ما في المملكة العثمانية من القفار الواسعة ، والمغاوز الشاسعة خصوصاً ما كان من ذلك في الشام والجزيرة والعراق فاعتبر السلطان هذه البراري مواتاً ، فعزم على إحيائها لتكون ملكاً له بحكم «من أحيأ مواتاً فهي له» فعمل لأجل هذه الغاية ديواناً خاصاً ، جعل وظيفته السعي والاهتمام بإحياء هذه الأراضي ، وأمدّه بشيء من ماله لينفقه في هذا السبيل ، ودعا هذا الديوان : «جفتلك همايون إداره سي» إدارة المزارع السلطانية ، وفوضه ان يشتري له مسقفات وأملاكاً في البلاد العثمانية / فباشر هذا الديوان وظيفته واشترى له عدة املاك وعقارات في حلب وغيرها ، كالحانات والبساتين والحمامات ، ومن جهة أخرى بذل الديوان اهتمامه بإحياء الأراضي واستعان على إعمارها بالولاية والأمراء العسكريين ، وبعد العناية الطويل ، تمكن الديوان من تحضير بعض العشائر البدوية وإسكانها في قرى صغيرة بنيت لهم في تلك البراري ، ومن ذلك اليوم عادت روح العمارة تدبّ رويداً رويداً في جهتي الشرق والجنوب من ولاية حلب وجهة الجزيرة التي عاصمتها «الرقة» (٨)

هذه الأسر كانت قادمة من حواضر من هنا كان الاختراق في العقلية والنظرة الى السلطة ، فالعشائر في الجوار وخاصة البدو تريد لتقاليد العشيرة ان تسود بينما تمت تلك الأسر سيادة القانون ، وهذا ماسنراه واضحاً في النظرة الى نظام تقسيم الملكية للأرض لاحقاً وهذه الأسر هي :

- موسى الذياب وإخوتهم من الشعيب والذيب والقنّاس وهم مايجمعهم اليوم اسم «الشعيب» وأبناء عمومته من المحمد الحسن وفدوا من «أورفه» وتعود اصولهم

الى «البوخليل» في العشارة .

- الحسون : وفدوا من أورفه وتعود أصولهم الى «الويسات» في العشارة .

- الكويدر : من الموالي وفدوا من العشارة وتعود أصولهم الى موالي حماة .

ويذكر أبو الفرج العش انهم من اوائل من سكنوا الرقة على الرغم من معاكسة الفعادلة حيث يقول «أما الرقة نفسها فإنها ظلت خالية حتى نقلت الدولة العثمانية القبائل العربية التي كانت قاطنة في أورفه وهم الذين كان يطلق عليها باللغة التركية (القول) ومعناها : القبائل الموجودة في الخطوط الأمامية ، وهم الشعيب والحسون والموالي وأسكنتهم الرقة بالرغم من معاكسة الفعادلة .

- العجيلي قدموا من أورفه وتعود أصولهم الى «البوبدران» من قرية الجرن في الموصل ويأتي ذكرهم عند العش .

البليل : وفدوا من الموصل ويتنسبون الى «البوبدران» شأن العجيلي .

وسبب هجرتهم كما يرجح العزاوي ووصفي زكريا : يعود الى أنهم عشائر ضعيفة وقعت بين عشائر قوية ، مزقتها وشتتها .

- الرمضان آغا : أسرة جاءت من الجلاب قرب أورفه .

- الحناطة : بو معيش من جوار دير الزور .

- الشبلي سلامة : وفدوا من العراق متأخرين ، ينتسبون الى «الدليم» .

- الحني والجدوع والكاطع والجرف : أسر جاءت من نواحي أورفه .

- الشاهين : قدموا من «كرموش» من نواحي أورفه وينتسبون الى «البوسرايا» .

- البكري : أو «البجري» ينتسبون الى طي ويعود أبو الفرج العش بأصولهم الى الجزيرة العربية وهو موطنهم البعيد ، أما القريب فقد جاؤوا من جوار أورفه .

٣- كيف تم إعمار البلد ؟!

هنا لابد من العودة الى حركتين تعتبران ثورتين في زمنهما وهما :

١- الحركة الأولى :

يروى ان اوصلان باشا والي دير الزور وبناء على توجيهات السلطان عبد المجيد خان استدعى وجوه العشائر في الجزيرة من بوشعبان وعكيدات وفدعان وشمير

وغيرهم وهم :

- عبد الكريم الجربا عن شمير .

- حويش الدندل عن العكيدات .
- شلاش العلي عن البوشعبان (العفادلة)
- حجو الملحم بن ناصر عن الولدة .
- جدعان بن مهيد عن الفدعان .
- عبيد اللطحة عن العكيدات .
- عبدالله السليمان عن العكيدات .

وهم ممن يمثلون عشائر البادية والحماد ، وطلب اليهم ترك حياة الرعي والتنقل ، والاستقرار في المزارع السلطانية لإعمارها ، وحين أبوا ذلك أمر بسجنهم ولما طال سجنهم ، ويئسوا من الخلاص أجابوه الى ما يريد ، وبعد إطلاق سراحهم توجه عبد الكريم الجربا بشمر هرباً الى العراق ، وقام بحركته المشهورة باسم «خراب عبيد الكريم» فأعدم شنقاً عام ١٨٤٥م في الموصل .

واتجه جدعان بن مهيد الى جبل «شبيح» في منطقة حلب ، ثم صالح الحكومة فيما بعد فأعطته أربع قرى عام ١٨٥٥م وبني قصراً هناك له قصة لا مجال لذكرها الآن ، بينما استوطن العكيدات جوار دير الزور وسكن شلاش العلي بالعفادلة حول الرقة ، ثم مالبت الولدة ان اتجهوا الى معرة النعمان مع شيخهم حجو الملحم الذي كانت تربطه مع مفتي المعرة محمد أفندي الجندي صداقة وزمالة دراسية امتدت من المدرسة الخببروفية في حلب الى الأزهر الشريف في القاهرة ، فأعطاه «الخوجة» وهو لقب المفتي آنذاك خمس قرى ، عاش على إيرادها ويوم أراد العودة الى موطنه بعد تبديل الوالي كان مديناً لصديقه بمبلغ جسيم يفوق طاقته فقال قصيدته التي مطلعها :

هات الخطب ياخليف وأوقد النار وأني بكلمي حامي الجمر مدفون
ثم يخلص الى دين صاحبه ولا يذكره بالاسم وإنما يحرف اللقب من «خوجة» الى
خواجة وهو ما يلقب به النصاري قائلاً بذكاء الشاعر وبداهته :

وأنا على دين الخواجات مرهون

ويوم سمع بذلك الجندي ضحك وأعفاه من الدين فعاد إلى وطنه .
تلك هي أول حركة إعمار واسعة ، قصد من ورائها ايجاد نواة سكانية يمكن لها أن
تقيم مجتمعاً مديناً حتى لو كان إقطاعياً ، وهو ما يذكر بإقطاعات وكونتات أوروبا في
العصور الوسطى ، حيث البحث عن اللقب النبيل ، والشخصية القادرة على تأمين

استقرار المكان المنوط به .

الحركة الثانية :

جاءت بعد الحركة الأولى في الإعمار بحوالي نصف قرن، ولكن ثمة اختلافات بين الحركتين :

- فالحركة الأولى نتاج إصلاحية للحكومة العثمانية في السياسة السكانية والزراعية، وكانت فيما بعد سبباً في نشوء «إقطاع القرى وماجر من مظالم على الفلاحين حيث أصبح الشيخ- الإقطاعي الأمر الناهي لأنه القادر على المنع والعطاء وشريك السلطان .

- أما الحركة الثانية فقد نبعت من القاع الشعبي وهي عامية سلمية لاعلاقة لها بالسلطة الحاكمة وتعدّ الشكل المبكر لاشتراكية عملية لا إطار نظري لها، همها المصلحة العامة والبلد .

- وهذا الوعي المبكر انعكس على وضع أسس لشكل أو قانون ملكية الأراضي وترشيد استغلال البيئة، ومن أسماء الذين قاموا بهذا العمل :

- محمد الحاج علي الموسى الذياب .

- ابراهيم الحسون .

- صالح الحميدي .

وهناك اسم رابع لا يحضرني، وقد قسمت الأراضي الى ثلاث فئات :

« الفئة الأولى :

وتشمل الأراضي البعلية أو ما يسمّى «البرية» وتستخدم للانتفاع بها كمراع لأغنام الأهالي، ينتجعون اليها في الربيع مع قطعانهم، يقضون الفصل هناك ثم يعودون في الصيف الى منازلهم، وقد هجروا هذه النجعة منذ زمن طويل .

« الفئة الثانية :

وتشمل ما يسمّى «السيالات» وتروى هذه الأرض من الآبار، وتعد ملكاً شخصياً لصاحبها بالشراء أو وضع اليد، والانتفاع من مياه الآبار مشاع لكل عابر سبيل أو راع مع قطيعه دون مقابل مادي ومازالت السيالات والآبار تحمل اسماء اصحابها .

« الفئة الثالثة :

وتشمل ما يسمّى «جزاوة الوحل» أو «الكرود» ومفردها «الکرد» وتعني في البابلية

الأرض المروية من نهر أو بئر وهذه الفئة هي سرير النهر الطري، وهي موضوع الحركة العامة وتمتد من «صراة عجاج» الى «مستجد نكيب» حيث تم توزيع هذه الأرض على الأهالي بالتساوي دون تمييز بين غني أو فقير وعلى الشيوع ونهاية كل موسم يوزع «الطمّاس» على المالكين حسب اسهمهم، يخرج منه الثلاث، كحصة للديوان أو «المضافة» ومازال هذا التقسيم معمولاً به الى اليوم دون أي تغيير وللأسف لم تجد هذه الحركة من يدرسها دراسة موسّعة ومعمقة حتى الآن.

وتوالى بعد ذلك وتيرة التطور، وبدأت الرقة تأخذ طريقها الى استكمال شروط المدينة، وقد رافق ذلك امور لا بد من الوقوف عندها ومنها:

١- حب الغريب والترحيب بالغرباء وذلك يرجع الى أن أسر الرقة القليلة والضعيفة الحيلة أمام العشائر القوية وخاصة البدوية كانت بحاجة الى تعزيز عددها لذا كانت ترى في زيادة هذا العدد قوة لها للوقوف أمام التعديّات وفرض «الخوة» والاتّوات.

٢- انتشار الرشوة والتزلف الى السلطة، لأن الحماية- آنذاك- تقوم على دفع «الخوة» للبدو أو الرشوة للمخفر، مما جعل سلطة العسكر نصف مقدسة» عند الأهالي وجعل الرشوة سلوكاً مشروعاً، وقد كتب الصحفي المعروف منير الرئيس عن تفشي هذه الظاهرة في الرقة بكتابه «الكتاب الذهبي للثورات السورية» حيث يقول في فصل عنوانه: (اجراً موظف على الرشوة)، قمت في ربيع عام ١٩٢٨ بجولة صحفية الى شمال سورية، بما فيه لواء دير الزور، وكانت الجزيرة اقضة تابعة له، وكان الاستاذ عادل حتاحت من الشباب الوطني عين مستنطقاً، أي قاضي تحقيق، لمحكمة بداية الرقة، وكان قضاء الرقة تابعاً لواء دير الزور أيضاً، واليوم اصبحت الرقة مركزاً لمحافظة الرشيد، والجزيرة اصبحت محافظة مركزها الحسكة، واطلعت اثناء وجودي في الرقة، من الاستاذ حتاحت وزملائه القضاة، ومن التحقيق الذي قمت به شخصياً ان جمال الجابي قائم مقام الرقة يرتشي من اصحاب المصالح بجرأة عجيبة، ودون اي خوف او حذر، لأنه يطعم ضابط المصالح الخاصة حصته من رشواته، ويرسل ائمن الهدايا الى بهيج الخطيب وأمثاله من كبار موظفي الداخلية في دمشق العاصمة، وأرضى من قبل الشيخ تاج الدين الحسني رئيس الدولة بأن هيأ له جميع نواب الرقة وعشائرها ليصوتوا في المجلس التأسيسي على انتخابه رئيس

جمهورية لسورية، لو أن المجلس التأسيسي انتهى مع وضع الدستور وانقلب الى مجلس النواب، وحتى الصحف في دمشق أرضاها كلها بمبالغ من المال يرسلها إليها سنوياً باسم مشتركين أميين من الفلاحين في القرى إذ كان يفرض على القرى بدلات الاشتراك فرضاً ويجبئها منهم، أضعاف أضعاف حقيقتها، ويرسل جزءاً منها للصحف ويسرق معظمها، حتى إذا وردت الى الجريدة شكوى من ضحايا رشواته في قضاء الرقة، خجلت الجريدة ان تنشر الشكوى ضد موظف أحسن اليها تطوعاً دون أن تطلب هي منه العون، وزيادة في التحقيق قابلت نافع مجيب القدسي متصرف دير الزور على انفراد، وهو من خيرة الموظفين الإداريين في ذلك العهد نزاهة ووطنية، يعمل بهدوء ودون ضجة، فأكد لي كل ماوصل الى مسامعي من رشوات قائم مقام الرقة، وقال لي: «إن ماوصل الى سمعك جزء مما عندي في اضبارة الشكاوى ضده، وقمت كمتصرف بنفسي بالتحقيق معه في عدة قضايا رشوة انكرها، ولكنني توصلت الى اثباتها، وبلغت به القحة مرة ان قبض الرشوة امامي، وأنا احقق معه في الشكاوى الواردة ضده، فقد دخل مختار قرية من قرى القضاء مكتبه وأنا جالس عنده، ودفع اليه عدة ليرات ذهبية، مديده اليها وأخذها منه، ووضعها في جيبه، خرج المختار، فقلت له، ماهذه النقود يا جمال بك...؟ قال انني اقرضت المختار راتبي ليرات سورية هو بحاجة اليها كي يسدد ضرائب عن قريته، واليوم جاءني بثمانها ذهباً...! . ولما أرسلت في طلب المختار كان هو ارسل اليه من يعلمه ماقاله لي عن قصة الراتب المزعومة، فجاء المختار وأيد أقوال القائم مقام، ولو لم يؤيدها لعزل المختار من وظيفته، وربما تسلط عليه ضابط المصالح الخاصة أيضاً وسجنه في البئر فلدى الفرنسيين في الرقة سجن اسمه سجن البئر، وهو حقاً بئر محفورة في ثكنة، يلقي السجين في غيابتها، وأعماقها، ويتعرض لضروب من العذاب والقذارة ما لا يستطيع انسان ان يحتمله، وهذا السجن تحت امرة المستشار الذي هو شريك القائم مقام في الرشوة دون ان يتحمل مباشرة مسؤوليتها، ولما حانت زيارة الشيخ تاج الدين الحسني لدير الزور اثر تعيينه رئيساً للدولة، وقيامه بزيارة جميع الألوية، وولاية حلب، خلت ان الفرصة سنحت لي للتخلص من هذا القائم مقام الذي لم يعرف تاريخ الموظفين أجراً منه على الرشوة، وكان برنامج الزيارة ان استقبل الشيخ تاج رئيس الدولة في موقع «التبنة» على طريق دير الزور.

حلب وان انتقل الى سيارته ، ورافقه نحو خمسين كيلو متراً حتى يدخل المدينة ويستقبل شعبياً ورسمياً فيها ، وأخذت بعد تحية المجاملة احدثه عن أحوال اللواء ، وخصصت جمال الجابي ، بأكثر حديثي عن سرقاته وتفننه فيها ، وجرأته الغربية ، وكيف ارتشى أمامي وأنا أحقق معه ، وكيف يبيع ماء نهر البليخ لمن يدفع له الرشوة دون النظر الى اصحاب الحقوق في الماء ، وكيف فرض الرشوة على متعهدي العبور في الفرات ، ولما هددوه بالشكوى قال لهم : «أمامكم دائرة البرق والبريد تستطيعون ان تشكوني الى متصرف دير الزور ، ووالي حلب ، والشيخ تاج رئيس الدولة ، والمفوض السامي الافرنسي في بيروت ، وإذا لم يكفكم كل هذا فبإمكانكم ان ترسلوا برقية أيضاً الى رئيس جمهورية فرنسا في باريس » ، وان متعهدي العبور في الرقة قدموا الي شكاوهم ، وحققت مع القائم بأنه سيحرمهم من عبور عشيرة الفدعان وغيرها بطريق سفنهم الى الجزيرة ، ويقترح عبورها من الشامية الى الجزيرة بسفن متعهدي ناحية «مريبط» : لدواعي الأمن التي هو والمستشار مسؤولان عنها ، أو لدواعي الزروع وخطر العدوان عليها ، وعندئذ تذهب ارباحهم ويخسرون فوقها اكثر رأس مالهم ، فاضطروا لدفع الرشوة ، وافاداتهم مسجلة عندي بأنهم دفعوا له مئتي ليرة ذهبية رغم انوفهم ، أما هو فينكر في التحقيق قبضه الرشوة من أحد مع أن كل من في قضاء الرقة يعرف ان القائم مقام لا يوقع على معاملة الا ولتوقيعه ثمن يقبضه من صاحبها قليل أو كثير .

وحدثته كيف جمع رؤساء العشائر عند الانتهاء من بناء دار الحكومة الجديدة في الرقة ، وقال لهم ان الدولة انفقت كذا ألف ليرة على هذا البناء الجديد الضخم ، وهي تبني دور حكومة في كل مراكز الأولوية والأقضية ، وتنفق على ذلك من ميزانيتها ، وهي مكلفة لأن تفرشها بعدئذ ، ولكن ميزانيتها تضيق بكل هذا ، ولن تستطيع ان تفرش هذه الدار بما يناسب قضاءكم الكبير ، وشرف عشائركم العظيم ، لذلك دعوتكم مع رجال القضاء والمختارين لتتبعوا ، كل منكم بما تسخو نفسه ، لفرش دار الحكومة ، وبذلك تؤدون لحكومتم خدمة جليلة ، إذ تخففون عنها وعن ميزانيتها ، وتفسحون المجال لي بأن افرش هذه الدار فرشاً يتناسب مع قضائكم وقدرتكم ونخوتكم العربية ، وافتتح الاككتاب ، فاضطر كل شيخ عشيرة أو ثري أو مختار لأن يتبرع بمبلغ حسب طاقته جمعها كلها ووضعها في جيبه ، ثم سافر الى حلب ،

واشترى فرشاً فخماً لمكتبه في دار الحكومة، ولبيته، ووزع الاثاث العتيق في دائرته على رؤساء الدوائر الاخرى، هذا اهداه منصة، وذاك مقعداً، وآخر خزانة، واشترى بما رصدته الحكومة لفرش دائرته اثاثاً مناسباً لكاتب رسائله، وموظفي الاحوال المدنية وغيرهم من الموظفين اصحاب المكاتب المرتبطة به مباشرة، وحدثته عن رشوات لا تخطر على البال أقدم جمال الجابي عليها، حتى بانت علينا جموع الجماهير المحتشدة أمام مدينة دير الزور لاستقباله، فتهياً لها، وربت بيده على كتفي، وقال لي: «إن جمال الجابي مثل والدك، وقد خدم الحكومة خدمات جلّى في الرقة تصغر الى جانبها هذه الأشياء، فاشمله بعطفك وأنظارك» . .

فبغت من هذا الجواب، وأدركت أن قائم مقام الرقة أرضى رئيس الدولة بأن ضمن له أصوات أربعة نواب في المجلس التأسيسي، ولقاء ذلك صم أذنيه عن كل ماحدثته عنه حتى نشف ريتي من طول الحديث، واعتبر ضمان اصوات النواب خدمات جلّى للحكومة . . . !

هذا الفصل الأول من القصة، أما الفصل الثاني فأكثر غرابية، فبعد موت هذا الرجل الفاسد، دفن الى جوار الزاهد الجليل «أويس القرني» في قبر فخم، ولولا نقل المقبرة الى مكان آخر لربما تحوّل الجابي الى شريك لأويس ليس في النذور والصلوات وإنما في المكانة كماحدث لقبر «سعد الدين باشا العظم» الذي يزوره الناس على أنه الصحابي «وابصة بن معبد الأسدي»^(٩) إذ يذكر العياش في تاريخه: (١٠)

«وفي سنة ١١٧٥ هـ ولي إباله الرقة سعد الدين باشا العظم، الذي عين والياً لبغداد في نفس السنة بدلاً من والي بغداد من المماليك، ولكن الاستانة لم تستطع تنفيذ أمرها بتعيين والياً (كذا) من غير المماليك، لأن هؤلاء رشحوا أحد زعمائهم «علي بك» فعينه السلطان في ربيع الأول من سنة ١١٧٥ هـ والياً على الرقة وكان بها الطاعون فتوفي مطعوناً بعد ١١ ذي القعدة من سنة ١١٧٥ هـ ودفن بجامعها الكبير .

٣- شيوخ استخدام الرقة كمنفى للمعارضة :

شاع ذلك خلال العهد العثماني، يذكر كتاب سياسة الاسكان العثمانية محاولة الحكومة لنفي بعض الاشقياء الى الرقة ثم عدلت عن ذلك، ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب «المرتاد» لعبود الخوري من محاولة والي حلب لنفي «الرشوان» من تركمان

حلب الى الرقة، فافتدوا أنفسهم بمبلغ ثلاثماية ألف غرش، وظلوا مكانهم. (١١)
أما في العهد الفرنسي فيهمنا ماجاء في كتاب «حياة على المتراس» وهو مذكرات
آرتين مادويان أحد قادة الحزب الشيوعي اللبناني - آنذاك - الذي يذكر فيه نفيه مع
زملائه الى الرقة عام ١٩٢٦ م:

«وصلنا الى الرقة في ساعة متأخرة، أخذونا الى مركز للشرطة بقيادة ضابط
فرنسي، سلمنا بدوره الى رئيس بلدية الرقة، الذي قادنا الى خان (١٢)، ووضعنا في
غرفة تعجّ بالعناكب قائلاً: دبروا أنفسكم، أخذنا نتجول في المدينة، فتعرفنا الى
بعض الأرمن وبمساعدهتهم استأجرنا غرفة لتمضية فترة الصيف حين عودة أصحابها،
وكنا نزور يومياً مكتب المسؤول الفرنسي لتأكيد وجودنا، وبدأنا نعاني صعوبات
مالية، خاصة مع تقلص المبلغ المتواضع الذي كنت قد حملته، طعامنا الأساسي كان
اللبن مع المقش (القثاء) قدمنا رسالة احتجاج الى المفوض السامي الفرنسي طالبين منه
أن يؤمن لنا وسيلة العيش.

وبعد انقضاء شهرين بدأنا نستلم من السلطة المحلية في الرقة ستين غرشاً يومياً
لكل شخص، من هذا المبلغ كنا نقصد شهرياً خمس ليرات سورية وندفعها لصندوق
الحزب» (١٣)

ويذكر الكاتب في موقع آخر عطف الأهالي ومحاولة مساعدتهم للمنفين
فيقول:

«في الواقع كانت رقابة السلطة الفرنسية شبه معدومة، أما مركز البريد فقوامه
غرفة واحدة بإدارة موظف واحد متقدم في السن، ولا يلم بالفرنسية، وكان بحاجة
لمساعدتنا كيما نقرأ له عناوين الرسائل المكتوبة بالفرنسية، ولم يكن محباً لفرنسا،
وبفضل صداقتنا له كنا نعرف موعد وصول البريد ونستلم جميع الرسائل والصحف
والمطبوعات الموجهة اليها لحظة وصولها الى المركز، يتردد العجوز أحياناً، لكنه في
النهاية يسلمنا المطبوعات كلها». (١٤)

أما الحدث الأهم في ذلك فهو صدور أعداد جريدة «سبارتاك» الأولى من الرقة
وفي ذلك يقول مادويان:

«بعد أن استلمنا ورقاً للطباعة الجيلاتينية أصدرنا عددين من جريدة «سبارتاك»
صدر العدد الأول في كانون الثاني عام ١٩٢٧ م بمناسبة ذكرى الثورة الروسية الأولى

عام ١٩٠٥ م وصدر العدد الثاني أواخر كانون الثاني من العام نفسه بمناسبة ذكرى وفاة لينين وكان عنوان العدد الثاني «مات لينين فلتحيا اللينينية» ونشرت الجريدة مقالاً مكتوباً بعث به الرفيق فوسفان هوفانسيان من بيروت، ومقالاً حول اضطراب عمال النسيج في حمص وحلب، أرسلنا جميع اعداد «سبارتاك» الى حلب كما استطعنا ارسال قسم منها الى بيروت» (١٥)

هذا قليل من كثير قد يتاح لي الوقت الكافي لاستكماله فأرجو أن أكون قد أفدت .

الهوامش

- (١) أبو الفرج العشي «الرقعة من خلال التاريخ وكتب الرحالة» - الحوليات ١٩٥٧ - وذلك نقلاً عن تقرير للأستاذ «دنان» مؤرخ في ١٩ و ٢٠ كانون الأول ١٩٥٤ من هنا أغفل ذكر «توتول» من عصر البيروني لأن الحفريات لم تكن قد توصلت آنذاك الى اكتشافها الذي تم بجهود الألمانية «ايتا شتر ومنجر» .
- (٢) أبو الفرج العشي - الحوليات ص ٥٩ .
- (٣) الموسوعة الإسلامية ج ٣ (ص ١١٨٦) .
- (٤) النص موجود في الكتاب ص ٤٩ - ٥٠ - ٥١ .
- (٥) الطبري ج ٣ (ص ٢٧٢) .
- (٦) أبو الفرج العشي - الحوليات ص ٦٠ - ٦١ .
- (٧) نفس المرجع ص ٦٢ .
- (٨) ابن حوقل المسالك والممالك ص ١٢ .
- (٨) أبو الفرج العشي - الحوليات .
- (٩) من أراد الإفاضة في الموضوع فليرجع الى الفصل الممتاز للأستاذ حمصي الفرحان «بين الرقعة والرافقة في كتابه (وابصة ابن معبد الأسدي)» .
- (١٠) العيَّاش : الرقعة كبرى المدن الفراتية ج ٢ (١٨) .
- (١١) المرتاد في تاريخ حلب وبغداد - عيود الخوري ص ٤٧ - مخطوط .
- (١٢) وهو خان الشيوخ . مازال قائماً حتى اليوم وكان يستخدم مركزاً لشركة السوس الإنكليزية .
- (١٣) آرتين مادويان - حياة على المتراس ص ٨٥ .
- (١٤) نفس المرجع ص ٨٦ .
- (١٥) نفس المرجع ص ٨٧ .

الحركة العمرانية

في التقاويم الرقيّة

لأبي حازم الرقي

حمصي بن فرحان الحمادة

الحركة العمرانية في التقاويم الرقبة /

منذ عام ١٨٣٣ م انهارت السيادة العثمانية على بلاد الشام، بسبب سيطرة محمد علي باشا والي مصر، وسعيه لإقامة دولة عربية جديدة تضم مصر وبلاد الشام، وتردنا بعض الأخبار والتقارير المتفرقة عن هذه المرحلة من هنا وهناك، دون إعطائنا صورة عن واقع التنظيم الإداري للرقبة والجزيرة الفراتية.

وأقام محمد علي مركز حكم في الرها «أورفه» وحاول القيام ببعض الإصلاحات، كما حاول نشر الأمن في المنطقة، حيث جرد عدة حملات على البدو من شمر وعنزة، لمنع تعدياتهم على الفلاحين المستقرين، كما جرد بالمقابل عدة حملات على العفادلة والسبخة عندما امتنعوا عن دفع الضريبة المسماة (الغرش)، واستعان في حملاته هذه بقبيلة الهنادي، وهم عرب من قبيلة سليم من قيس ابن عيلان.

وبعد انسحاب قوات محمد علي باشا عاد الحكم العثماني للمنطقة عام ١٨٤٠ م، ولكن بعقلية إصلاحية، فبدأت الحكومة العثمانية بعملية تمليك للأراضي، ووضعت سجلات (الطابو)، وتم توزيع الأراضي على شيوخ القبائل.

وقد وجدت السلطة العثمانية صعوبة كبيرة في حفظ الأمن بمنطقة الرقة والجزيرة، فعمدت في كثير من الأحيان الى الاتفاق مع إحدى القبائل القوية للقيام بمهمة القوة العثمانية في حال غيابها، كما فعلت مع ابراهيم باشا ابن معمو التمو الكردي المعروف (بابراهيم باشا الملي) عام ١٨٧٩ م.

مع ذلك لم تغب الدولة عن المنطقة كلياً، فكانت ترسل قوة عسكرية - صغيرة في أغلب الأحيان - لإثبات وجود الدولة أولاً، ولفرض الأمن ثانياً، لكن ما إن تغادر القوة المنطقة حتى تعود العشائر الى حالة الفوضى والصراع والغزو مرة أخرى. فلبأت السلطات العثمانية الى إقامة مخافر شبه دائمة، فأنشأت في الرقة مخفراً

بسيطاً عام ١٨٥٠م بالقرب من بناء متحف الرقة حالياً، وهو عبارة عن شكل من أشكال (السيابيط) وبُني من جذوع وأغصان الأشجار المطلية بالطين، وأطلق الناس عليه اسم «ماق» وهي كلمة تركية تعني السيباط المطلي بالطين، ثم نقل بعد عدة سنوات الى بستان البلدية حالياً.

وفي عام ١٨٦٢م وجد الباب العالي نفسه وفي حوزته الجيش العظيم والمال الوفير، وذلك بعد حرب القرم التي انتهت منذ مدة، فسعت السلطة العثمانية لتأكيد سلطتها على الولايات العثمانية، فقام عمر باشا والي حلب، وقاد جيشاً مجحفلاً الى الفرات، واستطاع اخضاع منطقة الفرات، وقام ببناء مواقع الحراسة على الطريق بين حلب ودير الزور، كما أكمل مدحت باشا مواقع الحراسة حتى أوصلها الى الرمادي وعانة.

ونستطيع اعتبار هذا العام هو بداية التقويم الرقي الذي تمكنا من جمعه شفاهاً من المعمرين وغير المعجرين.

وقد عرف العرب في جاهليتهم بعض التقاويم، فقد كانت سنة العرب في الجاهلية اثني عشر شهراً قمرياً، تضبط من رؤية الهلال الى رؤيته ثانياً، وكان للشهور القمرية اسماء غير الأسماء الحالية، ذكرها البيروني في كتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية)، والمسعودي في كتابه (مروج الذهب)، كما كانوا يؤرخون بالوقائع والأحداث الهامة التي كانت بينهم، فقريش وأهل مكة كانوا يؤرخون بحرب الفجار وحلف الفضول وعام الفيل الذي كان أكثر انتشاراً لدى العرب.

وكانت رسائل العرب بالحجاز خالية من التاريخ، فلما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة كانت رسائله غير مؤرخة، وتلقى منه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه رسالة غفلاً من التاريخ وإن ذكر فيها اسم الشهر وكان شعبان، فبعث إليه رسالة يذكر له فيها أنه ترده منه كتب لاتاريخ لها، ويشير الى كتاب عمر الأخير الذي جاء فيه اسم الشهر (شعبان) فسأله أي الشعبانين؟ أهو الذي مضى أم الذي سيأتي؟ ..

واستشار الصحابة فأشار من عنده رأياً برأى، وقيل: إن عمرو علياً رضي الله عنهما رأى أحدهما أو كلاهما اتخذ الهجرة مبدأ للتاريخ. الإسلامي، وهكذا بدأ التقويم الإسلامي، حدث هام وهو الهجرة النبوية.

والرقعة - المدينة العربية اسماً ومكاناً وسكاناً - لم تشذ عن هذه القاعدة، فمازال سكانها وكبار السن منهم بشكل خاص يعتمدون في تقويمهم على أهم الأحداث التي وقعت في الرقعة مدينة او منطقة أو أوسع من ذلك، ومن طريف ما يذكر: أنني ذهبت منذ مدة بسيطة أسأل حذاء أرمنياً عن سنة فتح دكانه، فقال: فتحه والذي مكر دبح باطريان سنة دخول فرنسا، اي عام ١٩٢٢، وهكذا نراه قد بدأ بالتقويم الشعبي ثم أرفده بالتقويم الميلادي.

ويمكن توزيع التقويم الرقي بشكل مبدئي على عدة مجموعات، وسنورد نماذج منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، ودون ترتيب زمني:

١ - الكوارث الطبيعية وما يلحق بها: سنة الطامة الأولى - سنة فيضة هويدي - سنة الطامة الثانية (المهبولة) - سنة أبو شراشب - سنة جلغيف - سنة العجة الصفراء - سنة الجراد الأصفر - سنة أم عظام - سنة الوجع - سنة الجوع - سنة الميره - سنة الجرذي - سنة الجراد - سنة الكما الكثير.

٢ - الأوضاع السياسية: سنة السفر برلك - سنة سقوط العصملي - سنة الشريف - سنة زكرت حاجم - سنة دخول فرنسا - سنة الثورة السورية - سنة الكتلة الوطنية - سنة ضربة جرمانوس - سنة الفلقة.

٣ - موت أو قتل بعض الأشخاص: سنة خراب الباشا - سنة موته هويدي - سنة مات حاجم - سنة انقتل اسماعيل الحاجم - سنة مات محمد الهويدي - سنة انقتل هدايات.

٤ - حركة السكان: سنة الجراكسة - سنة الشيشان - سنة سوقيات الأرمن. ويلاحظ في التقويم الرقي إطلاق عدة مسميات - في بعض الأحيان - على سنة واحدة.

فمثلاً أطلق على عام ١٩١١ م. . الأسماء التالية: سنة الذراية - سنة جلغيف - سنة ثلج الأربعين - سنة ثلج الأربعين يوماً - سنة الثلج الكثير - سنة الثلجة الكبيرة. وفي بعض الأحيان تحدث عدة أحداث هامة، فيطلق على هذا العام عدة اسماء، فمثلاً أطلق على عام ١٩٢٧ م الاسماء التالية: سنة الجراد الأصفر - سنة المحل - سنة مات حاجم.

وسأركز على جانب واحد من التقويم الرقي، وهو الجانب العمراني، تاركاً الاستقصاء لمجال آخر.

سنة انبنى المخفر
سنة بناء المخفر
تقديراً عام ١٨٦٣ م

رغب السلطان العثماني سليم أن يعيد للرقعة مكانتها، وأن يوطد الأمن في المنطقة، فحث العشائر المحيطة بالرقعة على السكنى في الرقعة، ولكن اعتقاد الناس قديماً أن المناطق الأثرية مأهولة بالجن منع الناس من السكن داخل أسوار الرقعة، بل وحتى المرور بالقرب منها ليلاً.

وبدأ من عام ٧٧٣ هـ ولغاية عام ١٢٧٩ هـ كانت الحكومة التركية ترسل متسلحين، وتجيبي وارداتها بمعرفتهم، وجعلت مركز هذا المتسلم في البداية في مدينة الرها «أورفه» وكان المتسلم - يحضر الى الرقعة أربع مرات في العام، يقيم في كل مرة شهراً - يحل القضايا والمنازعات المرفوعة، والتي ترفع اليه، ثم ألحقت الرقعة بعد ذلك بحلب، وأصبح يطلق على الوالي اسم (حلب ورقة والي سي).

وفي عام ١٨٥٠ م تم بناء مخفر بسيط، شيد من عيدان الأشجار وجذوعها وطلاي بالطين، وكان مقره في البداية بالقرب من بناء متحف الرقعة حالياً (السرايا) ومن ثم انتقل جنوباً الى بستان البلدية، وكان يطلق على هذا النوع من السيايط اسم (ماق)، وبدأ عدد من الأشخاص يتجمعون حول هذا المخفر، وكان عددهم لا يتجاوز عشرة الأفراد دون أسر، طلباً للأمن، لتقديم الخدمات لجنود المخفر، وتأميناً للقيمة العيش البسيطة.

وفي عام ١٨٦٢ م قاد عمر باشا جيشاً مجحفلاً من حلب الى دير الزور، وأخضع منطقة الفرات وبنى فيها مواقع حراسة ثابتة، توزعت من دير الزور الى حلب، وأطلق عليها اسم (قره قول) أو مخفر، وأول مخفر تم بناؤه في دير الزور عام ١٨٦٢ م، ويمكننا تقديراً أن نحدد عام ١٨٦٣ م سنة بناء مخفر الرقعة، أو بعد ذلك بسنة.

وقد وصفت الرحالة أنا بلنت هذه المخافر عندما مرت بالمنطقة عام ١٨٧٨ م بقولها: وكل المخافر بمخطط واحد، باحة مربعة، أحاط بها جدار من الطين (اللين) يرتفع اثني عشر قدماً، ولا ينفذ على العالم الخارجي إلا عبر بوابة مفردة، وعلى الأضلاع الثلاثة اصطفت غرف منخفضة وغرفة علوية أشبه ماتكون بالصندوق، كان

ينام فيها كبير القوم، ومن هذه الغرفة كان يشرف على كل البلد من حوله، ويمضي وقته في ترقب القوافل التي تأتي الى هذا المكان في غط من الحياة الرتيبة المملة. وتدل الخريطة التي رسمها كريسول للركة عند زيارته لها عام ١٩٠٧م، والتي قمت بتوزيع صور عنها خلال انعقاد الندوة الدولية لتاريخ الرقة عام ١٩٨١م على أن موقع المخفر يقع في موقع دائرة البريد حالياً ملاصقاً للسور من الجهة الجنوبية الغربية تماماً، ويمتد كما ذكر بعض المعمرين شرقاً حتى مدرسة الحرية الخاصة. وكان مبنياً من اللبن، وتوزعت غرفه بين مهاجع لنوم الجنود، ومستودعات واصطبلات وغير ذلك.

وبعد بناء هذا المخفر الثابت، انتقل الأشخاص القاطنون حول الماق في بستان البلدية الى الموقع الجديد، وبدأ توافد أعداد قليلة من الأشخاص، واستقروا بخيامهم البائسة حول المخفر، طلباً للأمن والحماية وخوفاً من الاعراب المحيطين بالركة، واستقدموا أسرهم بعد ذلك، ثم بدأت بعد ذلك حركة البناء الثابت بشكله البسيط. وقد وجدت صعوبة في معرفة أول من شيّد منزلاً بسيطاً ثابتاً في الرقة، وإن كانت أغلب الآراء تتجه نحو آل العجيلي الذين شيّدوا لهم منزلاً فوق حائط السور بالقرب من موقع مضافتهم الحالية، ثم تتابع البناء بعد ذلك، ويمكننا القول استناداً الى بعض الأوراق المكتوبة لدى أحد المعمرين أن من أوائل من بنى بيتاً في الرقة - على سبيل المثال لا الحصر:

العجيلي - الحسون - العلاص - الشعيب - الحاج علي - الرملة - الماخوذ - الكعكة جي - حمود الجرف الطه - عبيد المصطفى البليل - الفواز - محمد الويس - عبدالله العلو - خليل الملحم، ثم تتابع البناء بعد ذلك.

وهكذا يمكننا اعتبار سنة بناء المخفر هي بداية التقويم الرقي الذي مازال متداولاً، كما أنه كان بداية التوطن الدائم في مدينة الرقة.

سنة انبنت السرايا القديمة

«سنة بناء السرايا القديمة» عام ١٨٦٩م

دلّت تواريخ الدولة العثمانية على أن منطقة الرقة بقيت معمورة مدة طويلة، وكانت الدولة ترسل اليها والياً كوالي حلب يقيم فيها، ثم على تمادي الأيام ألّم بها الخراب، وصارت الدولة تسمي والي حلب (والي حلب والرقة) ويقيم بحلب،

واستمر ذلك الى حين تشكيل الولايات ، فأفردوا والي حلب بالذكر .
وكانت الرقة قد أشرفت على الانحفاء من الوجود ، وخرب برّها خراباً فاحشاً ،
بسبب البدو الرحل ، فصارت مركز مديرية الى حدود عام ١٨٦٩ م ، حيث عُيّن لها
قائم مقام في ذلك العام ، واحتاج الأمر بالطبع بعد ذلك الى بناء دار حكومة (سرايا)
فبنيت السرايا القديمة لإقامة القائم مقام ، وقد شيدت السرايا من اللبن ، في الموقع
الحالي نفسه لمتحف الرقة ، وكان بابها باتجاه الجنوب ، وألحق بها سجن اتجه بابه لجهة
الشرق .

كما انشئت مساكن شعبية من قبل الدولة في الجهة الشرقية المقابلة للسرايا ، وكان
كل مسكن مؤلفاً من غرفتين ومطبخ ، وخصصت هذه المساكن لسكن موظفي الدولة
وبدون مقابل ، وكان عدد الموظفين في الرقة سبعة (القائم مقام - قائد الدرك - مدير
المال . . .) .

والسبب في إنشاء هذه المساكن على نفقة الدولة وإسكان الموظفين دون مقابل ،
هو عدم وجود بيوت للسكن في ذلك الوقت .

سنة انبنى الجامع الحميدي

«سنة بناء الجامع الحميدي» عام ١٨٩٦ م

توسّع البناء في مدينة الرقة ، وازداد عدد السكان نتيجة الهجرة ، كما تزايد عدد
جنود المخفر .

وذكرت الرحالة أنا بلنت أن عدد سكان الرقة عام ١٨٧٨ م لا يتجاوز مائة نفس من
بينهم القائم مقام والدرك وكانوا من منشأ بدوي وعددهم ما بين ٣٠-٤٠ رجلاً ، كما
شاهدت عدداً من العطارين المهاجرين من مدينة حلب ، وشاهدت كذلك ما بين اربعة
الى خمسة عشر مسكناً بائس المنظر تقع في الجنوب الغربي والعدو نفسه على مقربة
منها عند السور الجنوبي ، ومن هذا السور يستطيع الانسان أن يرى الأرض المنبسطة
التي تؤدي الى سفينة عبور الفرات .

وذكر الرحالة زاخاو أنه لم يجد في الرقة في نهاية عام ١٨٧٩ م سوى عدة بيوت
وعدد السكان لا يتجاوز مائة نسمة .

كما ذكر الغزي في تاريخه أن عدد سكان مدينة الرقة عام ١٨٩٢ م بلغ
١٣١ نسمة .

احتاج سكان الرقة الى مسجد جامع لأن مسجدهم الصغير - الذي بني مع بناء المخفر وموقعه في شارع القوتلي - قد ضاق بالمصلين، وتم ارسال وفد من اهالي الرقة، بمعرفة المفتي عبد الرحمن الحجار للمطالبة ببناء مسجد جامع. وتمت الموافقة السلطانية على بناء المسجد الجامع، وأحضر له البناؤون من دير الزور، بينما كان العمال من أهل الرقة، واشرف على بنائه هاشم بك، وكان أمين الصندوق عبدالله العلوش وكان يعطى قرش لكمية من الفخار، كما يعطى قرش آخر لكمية من الجص.

كما ألحق به مكتب وبعض خلوات للطلبة، وكانت النفقة وقدرها ١٥٦٥٠٠ قرش من أموال الخزانة الخاصة.

ومما يؤسف له أن هذا البناء الأثري قد ازيل بسبب محاولة بعض الجاهلين بطرق الترميم وصيانته، مما ادى الى تصدعه وازالته وبناء المسجد الجامع الحالي على أنقاضه، وكانت خسارة كبيرة لاتعوض.

سنة انبنت السرايا الجديدة

«سنة بناء السرايا الجديدة» عام ١٩٢٨م

كنا قد ذكرنا أنه قد تم بناء سرايا قديمة من اللبن عام ١٨٦٩م، وبعد توسع المدينة وازدياد عدد السكان واستقرار الحياة الاجتماعية، والامنية والسكانية، ازداد عدد موظفي الدولة، وعجز البناء القديم عن استيعابهم لذا عمدت الحكومة في عهد الرئيس تاج الدين الحسيني الى بناء سرايا جديدة، فتم هدم السرايا القديمة وبنيت السرايا الجديدة في المكان نفسه، ومازال البناء قائماً ويشغله حالياً متحف الرقة.

وتم بناء مفخرة. . لصنع الفخار لاستخدامه في بناء السرايا، وعمل عدد لا بأس به من أهل الرقة في اعمال البناء، حتى أن بعض الاطفال الصغار قاموا ببعض الاعمال البسيطة.

وكان بناء السرايا معداً للهدم ضمن خطة تنظيمية، مع أنه بناء جميل يحمل الصفة التاريخية وبحالة جيدة، وقابلة للتعديل والتوظيف، ويقع وسط مدينة الرقة، وتم ترميم البناء وإعداده وافتتح متحفاً للرقة في تشرين الأول سنة ١٩٨١م بمناسبة انعقاد الندوة الدولية لتاريخ الرقة وآثارها.

وفي العام نفسه تم بناء السجن، الذي تم هدمه مؤخراً، واستعيض عنه ببناء

جديد .

ومن المعلوم ان بناء السرايا استمر مدة عامين ، ومن الذين قاموا بنقل الفخار :
كرفو عبد الأحد الكرفو وسليمان العمار ، كما كان متعهد الجص أحمد الفوز .
سنة الجسر عام ١٩٤٢م

كانت أداة النقل عبر نهر الفرات سفناً بدائية محدودة القدرة في نقل المحاصيل
والناس من بر الجزيرة الشمالي وبر الشامية الجنوبي ، وبالتالي كان الفرات حاجزاً
دون انفتاح المنطقة على التفتح والحضارة ، وما كان يتم هذا التفتح إلا ببناء جسر .
وهيأت الظروف الدولية في الحرب العالمية الثانية لبناء أول جسر للرقعة على
الفرات في ربيع عام ١٩٤٢م : وقبل هذا التاريخ لم يكن على مجرى الفرات في
الأرض السورية وطوله يزيد عن ٦٥٠ كيلو متراً غير جسرين ، أحدهما جسر الخط
الحديدي في جرابلس ، والثاني الجسر المعلق في دير الزور ، وهما أصغر وأقل كفاءة
من أن يؤمنا حركة التنقل بين شمالي وجنوبي النهر .

إلا أن مصلحة الحلفاء العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية ، وبعد هزيمة فرنسا
أمام المانيا الهتلرية قضت بأن يبنى على الفرات قبالة بلدة الرقة جسر ضخم يؤمن
لجيشهم سرعة التنقل بين جنوبي الشرق الأوسط وشماله .

وهكذا أقيم جسر الرقة الأول بسرعة وفي أخرج فترات فيضان النهر ، وإلى اليوم
يستطيع الواقف على رأس هذا الجسر أن يقرأ اللوحة المثبتة على مدخله والمكتوبة
باللغة الإنكليزية وهذا نصها :

«سمي هذا الجسر - جسر غت - باسم بانيه الذي صممه في ثلاثة أيام ، وأكمل بناءه
في أربعة أشهر ويومين ، منجزاً أعماله في أوج الفيضان الربيعي ، أمنت العوارض
من صهاريج النفط المحترقة بفعل أعمال العدو الحربية ، وأمنت الركائز من أنابيب
النفط المجتلبة من بغداد ومن أماكن بعيدة أخرى ، بدأ العمل في الجسر في ١٣ كانون
الثاني عام ١٩٤٢م ، وافتتح للنقل في ١٠ حزيران ١٩٤٢م .

وكان لبناء الجسر الدور الأهم في تطور الرقة وانفتاحها على العالم المحيط بها .
واستخدمت السلطات الإنكليزية مئات العمال في العمل لإكماله في فترة
قصيرة ، واستمر العمل ليل نهار ، وكان متوسط أجره العامل العادي (٦ فرنكات)
أي ما يعادل (٣٠ قرشاً سورياً) ، حتى الحيوانات حدد لها أجره في عملية نقل المواد .

وبالطبع فقد خفف ذلك عن كاهل الناس الوضع الاقتصادي الصعب ، نتيجة ظروف الحرب العالمية الثانية ، ولكن الى أمد قصير .
وختاماً :

فإن التقويم الرقي هو الصورة الحقيقية والدقيقة ، الذي يمكن من خلاله دراسة تاريخ الرقة الحديث وتطورها في الجوانب كافة ، ويجب أن يولى التقويم الرقي الاهتمام الكافي من الباحثين الرقيين .

المراجع :

- ١- «الرقة درة الفرات» - تأليف نخبة من الباحثين - عام ١٩٩٢م .
- ٢- قبائل بدو الفرات عام ١٨٧٨م - تأليف الليدي أنا بلنت - دار الملاح - عام ١٩٩١ - ترجمة أسعد فارس - نضال خضر معيوف .
- ٣- تسجيلات صوتية لبعض المعمرين وغير المعمرين .
- ٤- أوراق خاصة ببعض المعمرين .

الصورة التاريخية

والحضارية للرقعة

في العصور القديمة

أ. محمد العزو

مدير متحف الرقعة

□

٧٦

الصورة التاريخية والحضارية للرقعة في العصور القديمة

العصر الحجري القديم (الباليوليتي)

عاش الإنسان في منطقة الرقة منذ أزمنة ودهور طويلة وجدت آثاره في المرتفعات التي تشكل انكساراً حاداً على ضفتي نهر الفرات (منطقة السويدية) وكذلك في العراق والهضاب المطلة على سرير نهر البليخ (منطقة شنية)، وقد أفادت أعمال المسح الأثري وأعمال المسح الجيوفيزيائي التي تمت في مناطق عدة من منطقة الرقة ولاسيما منطقة البليخ أن النشاط البشري يعود إلى أكثر من ثلاثمائة ألف عام قبل الميلاد، وقد أدت أعمال المسح تلك إلى الحصول على أدوات من العصر الحجري القديم من النوع المعروف بالأسولي والتي يعود تاريخها إلى أكثر من ٢٥٠ ألف عام ق.م.

كان الإنسان في هذه الفترة يعتمد على قواه الخاصة وصراعه مع الحياة من أجل البقاء والاستمرار في سبيل العيش، ولقد جمع قوته من الغابات والحقول ومن صيد الحيوان والالقاط واستعمل أدواته من لب الصوان بعد تشظيه كفتوس ومطارق للهجوم والدفاع عن نفسه ثم اتخذ فيما بعد أيضاً سكاكين ومقاشط وحاول صقل أدواته الحجرية (الأدوات الشنية).

كما تم العثور في منطقة الشنية على أدوات ناعمة ودقيقة يطلق عليها علماء الآثار باسم الأدوات المكروليتية لدقة صنعها ونعومتها وهي أحدث من مثيلاتها التي تتصف بالخشونة وعدم العقل.

العصر الحجري المتوسط (الميسوليتي)

يقدر زمن هذا العصر بما يزيد عن عشرة آلاف سنة ق.م وآثار هذه الفترة تم العثور عليها على ضفتي نهر الفرات منطقة (عرودة - الطنيرة - شمس الدين) وكذلك على

صفتي نهر البليخ ومنها الفؤوس الحجرية المنحوتة وربطها بمقبض خشبي وضع المعازق لحراثة الأرض والمدقات وكذلك المجارش لطحن الحبوب واستعمل السكاكين من الحجر البركاني (منطقة المناخر) وكذلك تم العثور على أدوات على شكل سكاكين ومناجل وعلى ما يبدو كانت تصنع للحصول على النباتات وهي تشبه الى حد بعيد الأدوات المجدولينية التي يرقى تاريخها الى أكثر من عشرة آلاف سنة قبل الميلاد .

العصر الحجري الحديث

كانت منطقة الرقة منذ الألف العاشر ولغاية الألف السابع قبل الميلاد مسرحاً لتغيرات وتطورات في انماط متباينة للحياة البشرية على ضفاف نهري الفرات والبليخ .

لقد عاشت في هذه المنطقة مجموعات من الصيادين وجامعي الثمار الذين كانوا يعيشون في المغاور والأكواخ في حركة نسبية وذلك حسب تلاؤمها البيئي للمعيشة ، وقد بنت لنفسها مساكن قوية ومتينة وفي مرحلة لاحقة نشأت عنها قرى واسعة بلغت مساحة كل منها من ٢٠ الى ٣٠ دونماً ، وقد نجد نموذجاً لهذه القرى في الشكل والمساحة وفي اماكن عدة من انحاء بلاد الشام ظل مستمراً حتى بداية القرن العشرين الميلادي .

إن الناس في تجوالهم واستقرارهم دائماً يأخذون بعين الاعتبار الظروف الطبيعية الملائمة للاستقرار والتي تضمن لهم الغذاء الكافي لعام واحد حيث يتجدد كل شيء وينسب مختلفة ، إن هذا النمط المعيشي حدث في مجال جغرافي متشابه في كل من آسيا الصغرى وافغانستان وبلاد الشام وشمل كافة الأودية والانهار ذات الطبيعة الملائمة والقريبة من مراكز الحضارات .

إن الحفريات الأثرية التي نفذت في تل المريط وغيرها من الحفريات الأخرى التي جرت في منطقة الرقة (أبو هريرة) أماطت اللثام عن حقائق كثيرة منها أن الاستقرار والاقتصاد المنتج غير مرتبط أحدهما بالآخر ارتباطاً سببياً ضرورياً ، إذ إن سكان المريط في الألف التاسع قبل الميلاد اعتمدوا في غذائهم واسلوب حياتهم المعيشي مدة طويلة على صيد الحيوانات البرية وكذلك على صيد السمك قبل أن ينتقلوا الى نهاية الألف الثامن قبل الميلاد الى تدجين النباتات وزرعها .

إن هذا الأسلوب الجديد في محاولة تنظيم الحياة والاستقرار تم ضمن تعاون جماعي الى عمل جماعة أكبر وعلى اجتماعها في موطن مستقر ودائم، حيث ظهرت اشكال جديدة للبنى الاجتماعية مما وفر شروطاً ثابتة للعمل الجماعي المخطط لمدة أطول. وكذلك ظهور وتطور مفاهيم فكرية أدت في النهاية الى تطورات وقفزات كمية ونوعية كانت الاساس النوعي للنهضة الحضارية في المربيط وفي الواحات والمناطق الحضرية الاخرى في بلاد الشام، حيث عرف الانسان فيما بعد صناعة الفخار في بداية الألف السادس ق.م وكذلك عرف حرفة جديدة والتي تعتبر احد نتائج الاستقرار البشري الذي حدث في المربيط قبل عشرة آلاف سنة وهي التشكيل والفن التشكيلي كالزخرفة والزينة والرسوم الجدارية، وخلال فترة لاحقة كانت هناك تقاليد محلية على أساسها ظهرت صناعات ومنتجات مميزة استطاعت ان تأخذ لها مكاناً هاماً في الحياة الاقتصادية وكان لها مجال الانتشار عن طريق المحاكاة والتجارة.

إن تلك المنتجات بما فيها الفخار كانت مصدراً هاماً للبحث العلمي في تاريخ العصور القديمة، لأنها كانت المصدر الوحيد لمعرفةنا على حياة المجموعات البشرية ذات الأشكال الحضارية المماثلة.

يتبع تل المربيط على الضفة اليسرى للفرات الأوسط حيث غمرته مياه البحيرة بعد بناء سد الفرات وحسب الحفريات الأثرية المنهجية فإن التل قد مر بثلاثة مراحل وهي:

المرحلة | تقع بين ٨٥٠٠ - ٨٢٠٠ ق.م.

المرحلة | | تقع بين ٨٢٠٠ - ٨٠٠٠ ق.م.

المرحلة | | | تقع بين ٨٠٠٠ - ٦٩٠٠ ق.م.

إن نتائج الحفريات الأثرية أدت الى معرفة حقائق ومعارف اساسية جديدة عن المجتمع التجاري الذي سبق مرحلة ممارسة الزراعة وعن أول عملية استقرار بشري وعن بدء الزراعة وتدجين الحيوان ثم اشكال المساكن الدائرية المتواضعة إلا أنها دائمة، نصفها محفور في الأرض والنصف الآخر ظاهر للعيان ومغطاة بألواح خشبية ونبات الزل والسوس وطبقة من الطين. ومن الفرات كان السكان يصطادون أنواعاً مختلفة من السمك النهري وكذلك

يحصلون على المحار والصدى التي كانوا يتزينون بها، ومن سرير النهر حيث غابات شجر الحور والاثل والغرب والطرنة، كانوا يصطادون الخنازير والأياثل وبعض الحيوانات المفترسة التي انقرضت في بداية القرن العشرين الميلادي .

أما في البادية المجاورة فكانوا يصطادون الغزلان والاختادر والأرانب وبعض الطيور الدارجة، ونتيجة لوجود مقالع صخرية صوانية بالقرب من التل فقد عرف سكان المربيط صناعة ادوات الصيد والحصاد وتحضير الطعام والتي مكنتهم وساعدتهم كثيراً في تحسين أسلوب حياتهم المعيشية والفنية، حيث تم العثور على أدوات حجرية دقيقة لها مقبض من الخشب أو العظم مصنوعة ومعالجة بدقة واتقان، وكان لديهم سكاكين صغيرة وكبيرة ومناجل حصاد وشفرات للحلاقة ومكاشط وفؤوس دقيقة وخشنة وكذلك مثاقب حجرية، كما أن سكان المربيط في مرحلة مبكرة عرفوا الرحي مطحن الحبوب والأعشاب البرية وكذلك المخارز المصنوعة من العظم للخياطة والحياكة .

كما تم العثور على أول أدلة لتصورات دينية وفكرية (الدمى الطينية) حيث عثر الآثاريون على تمثال امرأة منحوتة من الحجر الكلسي وكذلك تماثيل نسائية من الطين المشوي منفذة بأسلوب تجريدي وواقعي انه التعبير الجماعي عن فكرة بدأت تظهر لدى اناس مستقرين يعتمدون على الصيد والجمع .

كما أن آثار العصر الحجري الحديث تبدو واضحة في تل الشيخ حسن وكذلك تل الصبي الأبيض حيث تم العثور فيها على مساكن دائرية الشكل ذات جدران من الواح الطين المدعمة بالأعمدة الخشبية (الشيخ حسن) ومزينة من الداخل بزخارف هندسية ملونة، وفي الألف الخامس ق. م تظهر في تل صبي الأبيض صناعة متطورة ومميزة وهي صناعة الفخار الملون والمزين بزخارف هندسية محورة عن الطبيعة (تل حلف). وفي نهاية الألف الرابع قبل الميلاد ظهرت في منطقة الرقة بعض الحواضر الأولى وهي عبارة عن تجمع مدني يسوده نظام اداري واقتصادي خاص ومميز كما هو الحال في مملكة (زلبا) تل حمام التركمان وصوبة الكبيرة وبعد هذه المرحلة من الحضارة المبكرة تظهر المدن الكبيرة في سورية، حيث كانت منطقة الرقة في هذه المرحلة مسرحاً لمرحلة جديدة من التطورات الهامة والحاسمة والتي تمت عبر قيام اتصال هام ووثيق بين المدن الناشئة في الألف الثالث ق. م وما بعد وبين المدن السومرية وعيلام

الكبيرة الواقعة الى الشرق من نهر الخابور (الخواضر الأولى). وتشكل المنطقة الواقعة بين مجرى نهري الخابور والبليخ وكذلك المنطقة الواقعة الى الغرب من نهر البليخ وحتى أعالي الفرات مسرحاً هاماً لقيام مدن وممالك كانت في يوم من الأيام ذات شأن عظيم، وتتكون هذه المناطق من عدة سهول منسبة نسبياً تحتجزها وديان سطحية لاتسيل فيها المياه الا بعد هطول الأمطار الغزيرة، وتمتد هذه الوديان قادمة من سفوح جبال طوروس منحدره باتجاه الجنوب حيث تصب في أودية هامة وكبيرة مثل وادي (الأحمر) ووادي (العكلة) وغيرها من الأودية الأخرى، ويعتبر وادي الأحمر والعكلة من أكبر الأودية في منطقة الرقة حيث كانا في الماضي روافد مهمة لنهري الفرات والبليخ.

إن كمية الأمطار التي تهطل سنوياً في المنطقة الواقعة الى الشمال الغربي من جبل عبد العزيز حتى أعالي الفرات تكفي لممارسة الزراعة بحدود ما تسمح به السقاية البعلية دون وجود أي وسائل أخرى للري، حيث ان الاهالي (كما يبدو) كانوا في بعض العصور التاريخية يتحكمون أكثر من اليوم بمصادر المياه، وهذا بحد ذاته افتراض وان الباعث على هذا الافتراض المجرد، أو هذا التصور هو ان المنطقة المذكورة كانت في الألف الثالث ق. م وفي العصرين الروماني والبيزنطي تتمتع بكثافة سكانية أعلى من كثافتها اليوم.

لقد كشفت الدراسات السطحية لمنطقة الرقة عن عدد كبير من التلال الأثرية والتي افادت وبفضل التلقى السطحية انها ترقى بتاريخها الى عصر فجر الحضارة السورية المبكر في الألف الثالث ق. م وأهم هذه التلال الأثرية هي :

تل خويرة - تل حمام التركمان - تل البيعة - تل حلاوة - تل العبد - تل ممباقة وغيرها من التلال المتناثرة بكثرة في منطقة الرقة.

تل خويرة : أفاد البحث العلمي وكذلك الكشف الأثري أن تل خويرة خضع لعملية استيطان في عصرين متباينين هما :

أ - عصر الألف الثالث ق. م والمعروف بعصر فجر الحضارة السورية حيث شمل الاستيطان منطقة واسعة من مساحة التل .

ب - عصر منتصف الألف الثاني ق. م والمعروف باسم العصر السوري الوسيط، والمقصود هنا بعصر فجر الحضارة السورية هو تحديد مفهوم تاريخي شامل في ضوء

حضارات المنطقة الأخرى .

وتتوزع المرحلة الأولى من ٢٨٠٠-٢٣٠٠ ق . م عصر سرجون (شروكين) .

الثانية من ٢٣٠٠-٢٠٠٠ ق . م عصر نارام سن .

وخلال الفترة الأولى شهد التل ازدهاراً حضارياً رائعاً تمثل ذلك في بناء القصور والمنازل وفتح الشوارع (شارع الشموع الذي يمتد لأكثر من واحد كيلو متر الى غرب شرق) ويطلق عليه ايضاً اسم شارع المعابد، وبناء المعابد التي لاتزال آثارها واضحة المعالم في التل ، إلا أن هذا الواقع لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما هجرت مستوطنة الخويرة في المرحلة الثانية وهذا الواقع لا يشكل بحد ذاته حالة استثنائية فقد لاقت المستوطنات في منطقة الرقة (الشمال) المصير ذاته في تلك الفترة الزمنية، ولم تتضح بعد الاسباب الكامنة وراء هذا المصير، ومهما يكن فقد كانت ظاهرة عامة في جميع مناطق الشمال السوري ولكن سرعان ما عادت الحياة الى تل خويرة، ولكن بعد مرور فترة زمنية طويلة وذلك في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد إذ تم العثور في التل على استيطان بشري من هذا العصر توضع فوق طبقات انقاض سكن عصر فجر الحضارة السوري القديم في النصف الشمالي من التل .

ومن القرن الرابع عشر قبل الميلاد استطاع الآشوريون من أن يوسعوا حدود مملكتهم وسيطروا على منطقة امتدت حتى أعالي الفرات وكان تل خويرة وتل حمام التركمان وتوتول قد خضعت للحكم الآشوري وحتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، حيث قامت مستوطنة جديدة في التل وهي أحدث طبقة سكنية تم التعرف عليها، ومنذ ذلك التاريخ هجر التل وبقي نهباً لصفير الرياح .

وخلال مراحل التنقيب المنهجي التي بدأت منذ عام ١٩٥٤ م ولحينه تم العثور على شواهد تروي يوميات هذه المدينة كالفخار والأدوات الحجرية وأدوات الزينة من أحجار كريمة وحلي من المعادن الثمينة الى جانب المجموعة الكبيرة من الدمى الطينية المختلفة الحجم والاشكال والانواع وكذلك نماذج لهياكل الآلهة وغيرها من اللقى الأثرية الأخرى وجميعها معروضة في متحف الرقة ودمشق .

توتول (تل البيعة)

تختفي أقدم مستوطنة قرب مدينة الرقة في انقاض تل اثري يقع على الحافة الشرقية من المدينة الحالية ويسمى هذا التل باسم (تل البيعة) ويعني الكنيسة حيث تم

العثور على ارضية فسيفساء خلال مواسم التنقيب الأثري مما يؤكد الاعتقاد بأن الكنيسة كانت مبنية فوق قمة التل (القرن السادس الميلادي). ويمكننا رؤية اطلال اسوار المدينة من مسافة بعيدة بالإضافة الى مركز المدينة والمرتفعات الأخرى التي تخفي في ثناياها منشآت معمارية أخرى. ومن المفيد هنا أن نذكر ان الرقم الطينية المكتشفة في كل من (ماري وإيمار وإيبلا) ووثائق أخرى أفادتنا كثيراً في التعرف على أخبار هذه المملكة العظيمة ودورها الريادي في التاريخ القديم، وقبل بدء أعمال الحفر الأثري برئاسة الدكتور ايفاشرومنغر من الجمعية الشرقية الألمانية بالتعاون مع دائرة آثار ومتاحف الرقة والتي لا تزال مستمرة الى يومنا هذا.

وقد تم العثور على القصر الملكي الذي يرقى تاريخه الى النصف الثاني من الألف الثالث ق. م ويشبه في تصميمه القصور الملكية التي تم العثور عليها في ماري وفي الممالك الشمالية من هذه الفترة الزمنية، إذ يبلغ امتداده من الشرق الى الغرب ٤٥ م وله جدران سميكة مبنية من مادة اللبن على اساسات من الحجر الكلسي والمعالج بتقنيات فنية خاصة ضد الرطوبة، وللقصر صالات استقبال ملكية تم الكشف عنها ذات ابعاد ٢٤×١٠ ولها مداخل عدة منها الخاص بالحاكم وأخرى خاصة بالكهنة. أما المعبد فإنه يقع بين القصر وبين الساحة الرئيسية للمدينة (الجهة الشمالية الغربية) وهذا هو شأن تنظيم جميع المدن القديمة، وللمعبد شكل مستطيل طول الحرم فيه عشرة أمتار وله ممرات عديدة ويصنف هذا المعبد بذي الردهة الأمامية، وهذا الطراز شائع في جميع انحاء الشمال السوري، وللقصر كما للمعبد مجاري مياه مصنوعة من الفخار تصرف المياه الى خارج المدينة، أما بيوت ومنازل الطبقة الدنيا من البشر فإنها على ما يبدو كانت مبنية خارج اسوار المدينة (السهل الجنوبي) وتتألف من غرف صغيرة صماء ليس لها نوافذ مبلطة بالآجر ومبنية من مادة اللبن وتحتوي على الوسائل المعنية للحياة اليومية.

أما القصر الملكي الأحدث عهداً والمبني وفق مخطط يشبه مخطط القصر الملكي، في ماري فيرجع تاريخه الى فترة الألف الثانية قبل الميلاد، حيث تم العثور فيه على مجموعة هائلة من الرقم الطينية وأهمها الترقيم الذي يؤكد على اسم مدينة (توتول) كذلك على مجموعة من الحلبي الذهبية والاختام الاسطوانية، أما معبد الرب

(داجان) فإن الحفريات المنهجية لم تتناوله بعد، إنما تم التنقيب في معبد آخر صغير وذلك قرب مدخل المدينة الغربي، وتشير اللقى الأثرية المكتشفة في التل وخلال أعمال التنقيب على أنه كان لمدينة توتول علاقات واسعة مع كل من ماري ومدن الشمال والجنوب في سورية وكذلك مع آسيا الصغرى.

وعلى ما يبدو أن المدينة قد هوجمت ودمرت بعد عام ١٤٥٠ ق.م وهي الفترة الزمنية التي ظهر فيها الملك الآشوري آشور اوبك الأول حيث تفيد الرقم المسمارية المكتشفة في تل العمارنة والمكتوبة بالخط المسماري واللغة البابلية بأن هذه الفترة مليئة بالأحداث الجسام التي حدثت في الشمال السوري نتيجة لتنامي القوة الآشورية على مسرح الأحداث، حيث بدأت المنازعات والمصادمات بينها وبين الميتانيين والمكيشين حول منطقة الجزيرة السورية حتى أعالي الفرات وكانت نتيجتها أن تفوقت المملكة الآشورية.

ومن خلال ماتم العثور عليه من رقم مسمارية خلال مواسم التنقيب في السنوات الخمس الأخيرة، استطعنا أن نرسم معلوماتنا عن أوجه الحياة في مدينة توتول في الألف الثاني قبل الميلاد ولا سيما بالحياة الاقتصادية والاجتماعية، وعلى ما يبدو فإن توتول كانت تتحكم بمرور السنة القادمة من أعالي الفرات باتجاه الفرات الأدنى مروراً بمدن ذات شأن عظيم مما در عليها الكثير من البضائع ومما سهل النشاط التجاري داخل المدينة الى جانب ان موقعها على الفرات والسهول المحيطة به حيث مارس سكانها النشاط الزراعي والنشاط الرعوي.

تل حمام التركمان «زلبا»

يقع تل حمام التركمان على مسافة ٨٠ كم الى الشمال من مدينة الرقة، عند المكان الذي يفيض فيه وادي البليخ (نهر البليخ) عند مغادرته المنطقة الزراعية، حيث كان لهذا التل خطأ في اخفاء بقايا العاصمة القديمة (زلبا).

ومنذ عام ١٩٨٠م قامت بعثة هولندية برئاسة البروفسور موريس فان لون بأعمال التنقيب المنهجي ولا تزال اعمال الحفر مستمرة الى تاريخه، وقد اعطتنا نتائج التنقيب فرصاً طيبة لمعرفة وقراءة تاريخ هذا التل عبر العصور، ومن خلال التصنيف العلمي المنهجي لدراسة المكتشفات الاثرية وكذلك التوضعات السكنية تبين ان هذا التل مر بمراحل عديدة وهي:

- مرحلة عصر العبيد والتي بدأت منذ ٤٠٠٠ - ٣٥٠٠ ق.م وتصنف اللقى الأثرية لهذه المرحلة بالعشور على أدوات واون فخارية واخرى بدون الوان وكذلك بعض الدمى الطينية .

- مرحلة عصر أوروك التي بدأت منذ ٣٤٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م .
- مرحلة عصر البرونز القديم التي بدأت منذ ٣٠٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م .
- مرحلة عصر البرونز الوسيط التي بدأت منذ ١٩٠٠ - ١٧٠٠ ق.م .
- مرحلة عصر البرونز الحديث التي بدأت منذ ١٦٥٠ - ١٥٥٠ ق.م .
- المرحلة الفارسية - الرومانية التي بدأت منذ ٢٠٠ ق.م - ٢٠٠ م .

ويتميز الفخار الذي يعود تاريخه الى مرحلة دور العبيد بشدة حرقة وصلابته وقد عرف هذا الفخار بفخار العبيد حيث انه صنع بواسطة دولاب الفخار ، جمع أغلبها بخطوط عريضة سوداء تمثل اشكالاً هندسية ونباتية وحيوانية .

وعصر العبيد حقبة تاريخية طويلة الأمد تم العثور على مخلفاتها في الجنوب والشمال من بلاد الرافدين والى الغرب من جبل سنجار حتى اعالي الفرات ، كما ان المعادن استعملت في هذا العصر وكان النحاس في بداية الأمر طرق بارداً وبعد ذلك توصلوا الى طريقة التسخين واستعملت فيما بعد طريقة (السكب) وقد تم العثور في تل الحمام على بقايا صنارات لصيد السمك ودبابيس وسكاكين وشيدت في هذا العصر المعابد على نظام هندسي راق ، كما تم العثور على ادوات مختلفة من الفخار والمناجل والفؤوس وثقالات للشباك وبعض الدمى الطينية المشوية بعضها مصبوغ بخطوط سوداء على ما يبدو تمثل آلهة الخصب .

والى عصر (أوروك) تم كشف عدة طبقات تاريخية من عصور ما قبل التاريخ في هذا التل ، والى هذا العصر يضيف الفخار المشهور بغمار الوركاء وهو على ثلاثة أنواع :

- النوع الأول فخار مدلوك احمر اللون - وقد تم العثور في تل الحمام على نماذج تمثل بعض الأواني الفخارية وبعض الانابيب المزخرفة كما تم العثور على بعض الدمى الحمراء اللون التي تمثل ربة الخصب .
- النوع الثاني رمادي مدلوك .
- النوع الثالث سمج وساذج .

ومن خلال اللقى التي تم العثور عليها أثناء اعمال الحفر المنهجي والتي تعود الى هذه الفترة المبكرة من تاريخ هذا التل تشير الى نضج الحضارة وتقدم الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية ومن مقومات هذه الحضارة بواذر الكتابة .

وفي بداية الألف الثالث قبل الميلاد مرحلة عصر البرونز القديم ويمتد هذا العصر بين نهاية (جمدة نصر) ٣٩٠٠ ق . م الى ٢٣٥٠ ق . م وهو تاريخ بداية عهد الامبراطورية وتعتبر هذه الفترة من اغنى الفترات في التاريخ القديم لبلاد الرافدين وللشمال السوري .

وتعود اول حضارة عالمية تصفه بوجود افضل انواع الفخار وافضل المنتجات الى عام ٢٠٠٠ ق . م وهي المرحلة الهامة من تاريخ وادي البليخ وعاصمته (زلبا) حيث استقطبت التجارة العالمية ولعب البليخ وعاصمته (زلبا) دوراً هاماً مميزاً في هذه الفترة . . واللقى الأثرية المكتشفة في تل الحمام والتي تعود الى الفترة المذكورة آنفاً والمعروضة في متحف الرقة الاثري لخير شاهد على رقي الحضارة التي عرفتها (زلبا) . وفي العصرين الفارسي والروماني وعلى مدى أربعمئة عام ظلت الحياة مستمرة وعامرة وقد تم العثور على لقى أثرية هامة تعود للفترتين المذكورتين آنفاً، ولعل اعمال الكشف والتنقيب المستمرة ستمدنا بمعلومات جديدة نضيفها الى تاريخ هذا التل العظيم .

تل الممباقة «إيكالتا»

تقع أطلال مملكة «إيكالتا» في تل الممباقة الواقع على مسافة ١٠٠ كم الى الغرب من مدينة الرقة وتحديدأ على الضفة الشرقية من نهاية بحيرة الأسد، يقابلها على الضفة الغربية من البحيرة جبل عرودة .

ويعود الفضل الى ذكر هذه المدينة المنسية للباحثة الانكليزية غرونشرد بل التي زارت هذه المنطقة في العام ١٩١١ والتي كتبت أول وصف لهذه المدينة الغائبة في ثنايا تل الممباقة .

ومنذ عام ١٩٦٩ للميلاد تقوم بعثة أثرية المانية بأعمال الحفر الاثري المنهجي، وقد استطاعت هذه البعثة أن تزيل الركام الهائل الذي كان يغطي سطح التل، ويستطيع المشاهد اليوم مشاهدة ركام الصخور الضخمة لاطلال المدينة والتي خدمت كحصون وقائية ضد الحثيين والاشوريين والمصريين في فترة الصراع المريرة على هذه المنطقة

وذلك في النصف الثاني للألف الثانية قبل الميلاد.
وللمدينة سور هام له بدايات أولية تعود الى العصر البرونزي المبكر ويبلغ طول هذا السور ٦ أمتار وفي الشمال شكل وادي عميق كما شكل في الغرب انحدار وانكسار نهر الفرات حماية طبيعية للمدينة الاولى والتي تبلغ مساحتها بعشرة هكتارات .

وبعد فترة الصراع الآشوري - الحثي ازدهرت المدينة ازدهاراً ملحوظاً في ذلك في فترة اواخر عصر البرونز الحديث ، فقد اتسعت عبر مرحلتين باتجاه الجنوب والشرق حيث اتسعت مساحتها الى اكثر من الربع حيث بنيت لها اسوار ضخمة ولها بوابة مقوسة تضيي الى خارج المدينة .

وقد تم العثور على معبدتين كبيرين مساحة كل منهما ١٤×٣٣ م حيث تقام فيها الاعياد الدينية والاحتفالات الخاصة بالمدينة ، كما تم التعرف على المنازل السكنية والمبينة من مادة اللبن والاحجار كما رصفت الشوارع والميادين بالحصى ، وللمنزل الكبير ذي المساحة التي تقدر بـ ١٥×١٥ غرفة رئيسية للاستقبال وعلى جانبها الايسر تقع الغرف الاخرى ولبعضها درج يقود الى الاعلى وللحوش تنور وبعض الاماكن لتخزين الطعام والمحصول الزراعي .

ولقد تم العثور على رقم مسمارية كثيرة وهامة كلها تتحدث عن مدينة (أكالتا) وعن علاقاتها بالمدن الأخرى وعن ملكها (موجور آض) بعد (آض ياني) وعن أعيان المدينة وكانوا يدعون بـ «لومشي آض» كما تتحدث الرقم الطينية عن العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في المدينة وعن اشكال المبادلات التجارية مع المدن الأخرى .

وفي متحف الرقة الأثري مجموعة هائلة من الشواهد التي تروي يوميات هذه المدينة كالفخار والأدوات الحجرية والحلي والمجوهرات والاختام الاسطوانية التي ترقى في صناعتها واشكالها الى درجة عظيمة من التطور الفني الرائع ، اما الدمى الطينية الرائعة المكتشفة في المباقرة بأشكال آدمية وحيوانية فهي الاخرى تحكي وتروي قصة مدينة عظيمة .

لقد مارس اهل سكان مملكة (ايكالتا) شتى أنواع الاعمال الزراعية والتجارية وكذلك الحرف اليدوية . . وكانت المدينة محاطة بغابة كثيفة وعلى طول ضفتي

الفرات العظيم . وتفيد المعلومات المأخوذة من الرقم الطينية أنه كان للمدينة سوق تجاري كبير تتم فيه المبادلات التجارية وتباع فيه الاغنام والماعز والحب والخضار والفواكه والمعادن الثمينة، وكذلك يستنتج من اللقى الكثيرة لعظام الفيل انه كان يغطي المنطقة في فترة الالف الثانية قبل الميلاد كذلك هي حال الحيوانات الاخرى كالأسود والنمور والفهود .

يبدو أن المدينة قد مرت بظروف قاسية منها أنها دمرت أكثر من مرة ونستدل على ذلك من خلال الكشف عن طبقات الحرائق المتعددة ويعتقد ان احد هذه الحرائق كان بفعل الامبراطور المصري الفرعون تحوتمس الثالث الذي تذكره الرقم المسمارية المكتشفة في تل العمارنة التي تفيد انه في عام ١٤٥٨ ق . م قام بحملة ضد سورية دمر المدن والقرى المزدهرة على أعالي الفرات حتى كركميش وجرابلس ويعتقد ان آخر تدمير للمدينة كان حوالي سنة ٢٥٠ ق . م حيث هجرت هذه المدينة بشكل تام، وتشير بعض اللقى التي تعود للعهد الروماني والبيزنطي ان الموقع سكن من جماعات متفرقة في الفترتين المذكورتين .

تل حلاوة

يقع على الضفة الشرقية من بحيرة الأسد، على بعد ٧ كم عن جسم سد الفرات عملت فيه وعلى التوالي الأولى بعثة وطنية كشفت اعمالها عن كنيسة من العهد البيزنطي في ٤٧٠ م، كان اجمل ما فيها لوحة فسيفساء وكانت تغطي ارضية الكنيسة اعيدت اجزاء من هذه اللوحة الرائعة، وعرضت في القاعة الخاصة بالاثار الرومانية البيزنطية في متحف الرقة الأثري منها لوحة الغزال الشارد ولوحة النمر المرقط ومن ثم قامت بعثة المركز البلجيكي للبحث الاثري بإدارة الاستاذ جان شارل بالتى ١٩٧٢ باسبار في منطقة الكنيسة ادت للكشف عن احد الشوارع المعقدة في الموقع، ومن ثم تركزت جامعة زابروكن الألمانية بإدارة الدكتور الاستاذ اونفريد اورثمان في الموقع فأتمت الكشف عن مدينة مينة كاملة تبرز معالمها واضحة للعيان وهي ذات اسوار طينية تحتضن العديد من الابنية الضخمة من معابد وقصور يعود تاريخها الاقدم الى عصر سلالة اور الثالثة ٢٢٠٠ ق . م وحتى العصر الآشوري الحديث ١١٠٠ قبل الميلاد .

إن عطاءات هذا الموقع غزيرة ومتنوعة، حتى أننا يمكننا القول ان ما أنتجه هذا

الموقع يمكن ان يعطي فكرة أعم عما كان يحتاجه المواطن آنذاك وأقصد في عصور البرونز القديمة والمتوسطة ، ولقد تضمنت مئات بل آلاف القطع المتنوعة تمثل اوجه مختلفة للنشاطات الحضارية ، وتستطيع ان ترى في متحف الرقة الأثري معروضات لهذا الموقع تتمثل بالدبابيس والاسلحة البرونزية واشكال حيوانات مختلفة يغلب عليها من حيث الكم تماثيل الجاموس والحصان ونماذج مختلفة لأكواب وأوان فخارية تتميز برشاقة الاشكال ونعومة الصنعة إضافة الى جرار فخارية بأشكال فنية رائعة موقعة باسم صانعيها ولاننسى المباخر ونماذج البيوت «ماكيت» كان يمثل مخطط البيت أو القطر أو المعبد المراد تشييده موقع ايضاً باسم واضع المخطط اي المهندس .

اما مجموعة التماثيل التي حصلنا عليها من هناك فيمكن ان نقول بكل ثقة انها تعطي تقريباً جميع ما عرف من اشكال التماثيل التي استعملت في حوض الفرات هذا ناهيك عن المذابح الانيقة المصنوعة من حجر الالباسة وطبقات الاختام التي تعطي فكرة كافية عن التقاليد والعادات التي كان يتحلى بها سكان الموقع ويأتي في ثمرة الاكتشافات الهامة من هذا الموقع مجموعات الخزف المتنوعة الاشكال والاحكام التي يصنعون بها عقودهم وحليهم او يتقدمون بها لمعبد الربة عشتار اله الصحة والعافية والخصب والخير ، كما تم العثور على رسومات جدارية (فريس) مزينة بألوان زاهية وجميلة .

إن معرفة تاريخ منطقة الرقة القديم وحضارتها، تلك الحضارة التي نشأت ونضجت وازدهرت في هذه الارض المعطاء وفي هذا الوطن الكبير الذي عرف بمجزات شعوبه منذ أكثر من مائة الف عام حتى اليوم وبما توصل اليه اجدادها القدامى من فنون وعلوم وآداب وصناعات كان الاساس الاول لحضارة عالمية ناضجة في العصور التي جاءت بعد ذلك التاريخ ، هو من مهام ومسؤوليات المديرية العامة للآثار والمتاحف في القطر العربي السوري وذلك عن طريق نشر الثقافة العلمية الاثرية والقيام بالتنقيب عن الآثار وصيانتها والكشف عن تراث ومخلفات اجدادنا القدامى ، لأن تلك المخلفات هي شواهد حضارية ووسيلة التفاهم بين الماضي والحاضر والغد وهذا هو دافعنا للاهتمام بالآثار سواء كانت مادية او تراثاً ثقافياً مدوناً.

تل جرف الأحمر

بسام جاموس

تل جرف الأحمر

يعد وادي الفرات من الأودية التي كان النشاط البشري فيها مبكراً، فقبل ١٠,٠٠٠ آلاف سنة تعلم الإنسان الزراعة فكانت من أهم أسباب تقدمه ثم سكن البيوت وكانت في بادئ أمرها من الطين والحصران ومنها تشكلت القرى ثم دجن الحيوان وربى الماشية وصار بذلك ينتج قوته بيده وأصبح ذا حياة اجتماعية وعقيدة دينية.

ومنذ بداية النصف الثاني من القرن الحالي بدأت أعمال التنقيب الأثري المنهجي في سورية تكشف الكثير من المواقع الأثرية الهامة المتناثرة في أنحاء شتى من بلادنا الغالية، ومن المفيد هنا أن نشير إلى المواقع التي يعود تاريخها إلى العصور القديمة ولا سيما فترة ما قبل التاريخ حيث أننا نجد أن سورية هي مهد الحضارات الإنسانية الأولى، ومن أهم وأقدم المواقع الأثرية فيها هي المواقع التي تم كشفها على ضفتي نهر الفرات وهي كثيرة ومن أهمها موقع تل جرف الأحمر الذي يقع بالقرب من مدينة منبج وتنقب فيه بعثة سورية - أجنبية مشتركة، يعود تاريخ هذا التل إلى بدايات الألف السابع قبل الميلاد وهو من المواقع الهامة المعروفة بالمواقع النطوفية كالمربيط وغيرها من المواقع التي يعود تاريخها إلى فترة الألف الثامن قبل الميلاد من خلال المواسم التي تمت في هذا التل تم التعرف على البدايات المبكرة للنشاط البشري في سورية بشكل عام وعلى النشاط البشري في منطقة وادي الفرات بشكل خاص مثل تدجين الحيوان - ممارسة الزراعة - بناء المنازل والبيوت السكنية والتي تشبه إلى حد بعيد بيوت ومساكن تل المربيط الدائرية الشكل - نصفها محفور بالأرض والنصف الآخر فوق مستوى سطح التل.

وفي مرحلة لاحقة استطاع إنسان تل جرف الأحمر أن يبني منازل ذات جدران مستقرة ومتقاطعة مبنية من مادة اللبن والحجر الكلسي استعملها للأساسات،

ومدهونة بمادة الجص .

وبموجب تحليل المواد العضوية بالطريقة المعتادة والمعروفة من قبل علماء الآثار بـ(كاربون ١٤) وبمساعدة المقاييسات مع الآثار المكتشفة في مواقع أخرى (المريبط)، تم الكشف عن مواد تنوعت تنوعاً كبيراً حيث صنع الإنسان الفأس الحجرية المنحوتة (كما في المريبط) وربطها بمقبض من الخشب وصنع المعازق لحراثة الأرض والممدقات والمجارش، وفي مرحلة لاحقة صنع الفخار كانت في البداية ساذجة سمجة ثم أصبحت راقية في شكلها وفي بعض الأحيان صبغت بألوان زاهية .

كما أن إنسان تل جرف الأحمر استعمل المحار واللؤلؤ وغيرها من المعثورات الأخرى في قاع النهر للزينة الخاصة وكذلك في بعض الأحيان زين فيها النازل . وفي طعامه كان يعتمد على صيد السمك من نهر الفرات والغزلان والآخادر والطيور المعروفة في منطقة الفرات كالحمام البري والإوز وطيور القطا، كما أنه عرف كيف يدافع عن نفسه ضد عوامل الطبيعة القاسية ومن الوحوش وذلك باستخدامه لأسلحة حجرية صنعها من أحجار النهر ومن المقالع الحجرية القريبة من سكنه، كون المنطقة مليئة بتلك المقالع الصخرية .

ومن المكتشفات الهامة التي تم العثور عليها في تل جرف الأحمر، التماثيل الحجرية التي كانت في بدايتها بدائية، ولكن كون مجتمع تل جرف الأحمر له معتقدات دينية بدائية كعبادة الآلهة الأم وهي آلهة الخصب والتكاثر فإنه (إنسان تل جرف الأحمر) استطاع بحسه الفني الذي بدأ يتكون منذ بداية الفكرة الأولى لصياغة الفن عبر التاريخ، أن يرقى بفنه الى مستوى جيد وذلك من خلال انتاجه لتلك الدمى الحجرية والطينية .

وفي تل الجرف الأحمر وخلافاً لما تم العثور عليه في تل المريبط دُمى تمثل المرأة فإننا نجد الكثير من تلك الدمى ولكنها تمثل الرجل وهذا الاكتشاف يعتبر نادراً ومتفرداً، وعلى ما يبدو أن مجتمع تل جرف الأحمر كان يعتمد على قوة الرجل الخاصة بالصراع المير من أجل البقاء .

كما تم العثور على أدوات من الحجر وأكثرها مصقول وأدوات من العظم والحلي . إن أعمال التنقيب لا تزال مستمرة في تل جرف الأحمر، ونأمل أن تكون النتائج جيدة كما هو في الواقع الحالي .

تحقيقات في

الصناعة الإسلامية في

الرقعة - سورية

د. جولييان هندرسون

قسم الآثار، جامعة نوتنغهام، جامعة بارك نوتنغهام NG7 2RD.U.K

تحقيقات في الصناعة الإسلامية

سأصف في هذا الحديث بعض الاكتشافات الاثرية الحديثة في الرقة شمال سورية.

حدثت هذه الاكتشافات أولاً كنتيجة للعمل الشامل والمركز الذي قام به البروفسور الراحل الدكتور ميشيل مينيك بتفويض من معهد الآثار الألماني في دمشق ومنذ عام ١٩٩٤ أصبح مشروعاً بريطانياً مركزاً على الصناعات الإسلامية، إني شاكر كثيراً للبروفسور الدكتور سلطان محيسن المدير العام للآثار في سورية على دعمه الكامل لمساعدتنا ولمساعدته لنا في رفع مستوى التعاون السوري البريطاني.

إن مشروع الصناعة القديمة في الرقة هو تحقيق في الدليل الهام جداً على التقنية الإسلامية التي سيعثر عليها في المشلب وهي ضاحية في الرقة، إن قائمة بأهداف البحث موجودة في الموجز لحديثي ولذلك سألخصها بإيجاز:

- الهدف الأول هو إجراء معاينة شاملة للمكتشفات الباقية في المشلب.
- الهدف الثاني هو تنفيذ حفريات طبقية مكثفة على المكتشفات التي تقدر على أنها تمثل الصناعات في الرقة، لقد اكتشفنا حتى الآن دلائل على إنتاج الزجاج والخزف المصقول وغير المصقول معاً والحديد بدرجة أقل.
- الهدف الثالث هو تنفيذ معاينة بواسطة مقياس درجة انحدار اتجاه الحقل المغنطيسي وهذه التقنية الجيوفيزيائية تحدد مواقع وجود الأفران والأتونات تحت الأرض بحيث يمكن التنقيب عنها.

- الهدف الأخير هو دراسة النتائج من وجهة نظر تقنية، إن عينات المواد الاثرية تفحص باستخدام مجال واسع من التقنيات العلمية في التحليل الكيميائي وهذا يسمح للمرء أن يقترح المواد الخام المستعملة في صنع الزجاج والمنتجات الخزفية والاستدلال على مصادرها، يمكن ان يظهر مثل هذا العمل الروابط بين الصناعات

بتقاسم المعرفة والمواد الخام ، في النهاية نرغب ان هذا يختتم مقدمتي ويقع باقي الحديث بالطبع في أربعة قطاعات :

١ - الخلفية التاريخية .

٢ - المعاينة .

٣ - الحفريات .

٤ - الاستنتاجات .

١ - الخلفية التاريخية : أسست الرقة في الأصل في القرن الثالث قبل الميلاد من قبل سيلوقس الأول نيكاتور كمدينة هيلينية وأصبحت فيما بعد رومانية وبيزنطية وساسانية ومن ثم اسلامية ، كانت الرقة مركزاً هاماً في العالم الاسلامي وبشكل خاص ابان الفترة التي اقام الخليفة العباسي هارون الرشيد هنا بين اعوام ١٧٥ هـ / ٧٩٦ م و ١٨٧ هـ / ٨٠٨ م عندما بنى مدينة جديدة مجاورة للرقة ، الرافقة وهي مجمع من حوالي عشرين قصراً وسلسلة من القنوات ، كانت الرقة خلال هذه الفترة عاصمة الامبراطورية العباسية التي امتدت عبر مساحات ضخمة من الارض .

من هنا شن هارون هجماته الناجحة وبشكل متكرر على العالم البيزنطي ، ويعتقد ان نصباً تذكاريّاً يحيي ذكرى إحدى انتصاراته في الأناضول في هرقله على بعد عشرة كيلو مترات من الرقة خلال المدة التي اقام هارون فيها هارون الرشيد في الرقة شيدت شبكة صناعية ضخمة وتشكل هذه محور مشروع بحثنا العلمي .

٢ - المعاينة معاينة القرائن الباقية التي تشكل الشبكة الصناعية الواسعة المبنية بمعظمها من قبل هارون الرشيد تقنيات جيوفيزيائية هي في طور الاكتمال ، لقد تم انجاز هذا بواسطة رسم بياني للمواقع المتعلقة بالقرائن باستعمال جهاز قياس مسافات الكتروني وباستعمال مقياس درجة انحدار اتجاه الحقل المغناطيسي وبواسطة كمبيوتر يعالج نتائج الـ E.D.M من الممكن اعادة تركيب شكل المكتشفات على شكل تحليل دائري ذي ثلاثة ابعاد ولدينا معلومات مفصلة لكل هذه القرائن .

يستعمل مقياس درجة انحدار اتجاه الحقل المغناطيسي لتحديد مواقع الافران والاتونات تحت الأرض واشعال مثل هذه البنى ينتج حقولاً ممغنطة يمكن اكتشافها بالآلة ، لقد نقبنا هذا العام في الحقيقة في المنطقة التي حصلنا فيها على اشياء غريبة وبتائج مذهلة ، وسأصف هذه فيما بعد .

٣- الحفريات : لقد نقبنا خلال المشروع حتى الآن في ستة مواقع مختلفة ثلاثة منها جديدة لهذا العام ، كشف المكتشف الأول المنقب عنه ورشة زجاج عباسية ، وكشف الثاني دليلاً على إنتاج الخزف الأيوبي والثالث دليلاً على صناعة رفيعة المستوى وقدم الرابع دليلاً على إنتاج الزجاج والخزف معاً واننا الآن نبحث عن الأفران هناك ، كشف التنقيب في موقع خامس اتوناً مربع الشكل ، ويمكن القول بشكل عام ان مواقع الانتاج العباسية ابعد من الموقع الايوبي الوحيد عن اسوار المدينة .
سأركز بشكل رئيسي على وصف التقنيات في مكتشفين تم اكمالهما ، مع التركيز اكثر على مكتشف الزجاج (تل زجاج) وانتهي بالتنقيب عن ما صنفناه بـ«تل بللور» لأنه كان هناك دليل إنتاج الزجاج على السطح وفي «تل أسود» التنقيب عن الأتونات .

تل زجاج (٩٤ - ٩٦) كشفت التنقيبات دليلاً على طورين رئيسيين لإنتاج الزجاج في تل زجاج وسيوصف الطوران بالترتيب الذي نقب فيه عنهما .
الطور المتأخر تألف الدليل عن الطور المتأخر في مكتشف الزجاج من نفايات ضخمة من الرماد والأجر المحروق المزجج ونفاية زجاج وفحم خشب ، عثر على هذه المستودعات في سلسلة من عمليات الحفر ، لقد سخن اجر آخر الى درجة حرارة عالية جداً بحيث انصهر تماماً واصبح مزججاً ومن المحتمل ان درجة الحرارة المنجزة هي من ١٢٠٠ الى ١٣٠٠ درجة مئوية .

تعمل ورشات الزجاج بالطبع في بيئة نظيفة لذلك يتم التخلص من الانقاض خارج الورشة ، لذلك يمكن ان يكون من الصعب ربط الانقاض الناتجة عن إنتاج الزجاج بالبقايا الفعلية للورشة ، إن أفضل فرصة لفعل هذا هي بحفر المواقع وبإزالة المستودعات الأثرية في كل مرة وليس بإزالة سفود التربة من عمق معين .
كان الدليل على إنتاج الزجاج في الطور المتأخر واسع النطاق مقدراً كمية الزجاج والانقاض الأخرى التي طرحت . عثر على بقايا ما شكل بوضوح اجزاء من قاعدة أفران زجاج ضخمة معروفة بأحواض الأفران والتي يصهر فيها الزجاج في عملية واحدة ، ولم يعثر على أي من أحواض الأفران الكاملة هذه في الرقة .

تظهر الانقاض الأخرى التي عثر عليها ان الزجاج كان يصب في قوالب ، وفي الحقيقة ان العديد من القوالب هي ذات ثلاثة مقاييس معيارية : نصف ستمر مربع

وثلاثة سنتيمر مربع وخمسة سنتيمترات مربعة ، كان للقوالب حواف مقدمة وكانت تصب بشكل واضح على صوان من السيراميك .

استعملت قوالب الزجاج في بناء ارضية من الزجاج الصقيل لأحد قصور هارون في الرقة والتي أجزاء منها معروضة في متحف دمشق والتي تم التنقيب عنها من قبل نسيب صليبي . والاستخدامات الأخرى لهذه القوالب هي القطع الزجاجية في أعمال الفسيفساء ، وكمواد خام في إنتاج الاواني الزجاجية والنوافذ ، وأيضاً للانصهار والاستعمال كطلاء صقيل للأواني الخزفية .

إن التركيب الكيميائي الأساسي للطلاء الصقيل للأواني الفخارية والزجاج هو نفسه في العصر العباسي ، من الممكن انه كان مناسباً لتصدير احجام زجاجية مقاسة كقوالب الى مراكز صنع زجاج اخرى في العصر العباسي .

كانت الأواني الزجاجية تصنع بواسطة النفخ كما هو مبين في قوالب ذات قياسين تشمل حلقات مدببة وهذه اطواق من الزجاج تطرح من انبوب حديدي اجوف يستعمل لنفخ الاواني الزجاجية ، ولايزال موجوداً عند نافخي الزجاج في باب شرقي في دمشق .

عثر على سلسلة نموذجية من أواني الزجاج العباسي والتي يمكن ان يكون قد صنع العديد منها في الرقة ، كانت ألوان الزجاج المصنوع هي الاخضر نصف الشفاف والارجواني والبني والازرق المعتم والاحمر والعديم اللون لكن اللون الاخضر والارجواني والبني هي السائدة .

اظهر اكتشاف كتل من الفريضة المفرطة التسخين ان صنع الزجاج من المواد الخام الاولى قد حدث .

إن المواد الأولية لصنع الزجاج في العصر العباسي هي رماد النباتات التي لاتزال تنمو في المشلب اليوم والكوارتز (مصدر السليكا) الذي من المحتمل أن يكون على شكل حصى نهريّة يعثر عليها في نهر الفرات .

إن تفريغ الزجاج هو جزء واضح تماماً في صناعة الزجاج من تليين الزجاج الجاهز ، ومن النادر أن نكون قادرين على إثبات أن كلا العمليتين حدثتا في العصور القديمة .

الطور البدائي كشفت الحفريات تحت النفايات الصناعية للطور المتأخر ورشة زجاج كاملة مع ثلاثة افران زجاج كاملة تقريباً على شكل خلية النحل، انتصبت افران الزجاج هذه الى ارتفاع اعظمي قدره ١,٣ متر والتي هي بعض من اكمل افران الزجاج القدية التي عثر عليها في أي وقت مضى، كان الوقود يوضع في حجرة سفلية ويصهر الزجاج في الحجرة الوسطى في بوتقات وتلون الاواني في الحجرة العلوية. إن الأفران الأربعة متجهة نحو مركز ورشة الزجاج، وبإشعال الأفران الأربعة معاً يمكن أن تنتج اربعة ألوان من الزجاج، ويتم التحكم بشروط الاشعال وكمية الهواء في الفرن وبالوقود المستعمل بعناية.

السمة الأخرى الملاحظة على تصميم ورشة الزجاج هي ترتيب نظام مداخن عثر عليها تحت الأرض وكان يؤمن جدولاً من الهواء الساخن الى الأفران ربما لإبقائها في درجة حرارة معينة عندما لم يكن ينتج الزجاج، كشف التحليل العلمي لنماذج الزجاج العباسي باستعمال جهاز تحليل ميكروسكوبي الكتروني اربعة تصنيفات تكوينية وهي سلسلة واسعة بشكل مذهش، نستطيع ان نظهر من خلال هذا التحليل عدة امور، اولاً من الواضح ان زجاج النوافذ الموجود في القصور العباسية صنع في الرقة، ثانياً تظهر النتائج ان قوالب صب الزجاج صنعت باستعمال مواد خام مختلفة وثالثاً ان زجاج الاواني انتج باستعمال كل المكونات.

تل فخار (٩٥ - ٩٦): تألف هذا الموقع الأيوبي من سلسلة من نفايات انقراض محلية صناعية، كان عمقها الاعظمي التراصفي اربعة امتار ونصف متر وقدمت دليلاً مشيراً على تصنيع الآنية الفخارية الصقيلة وغير الصقيلة، كان هذا الموقع في وقت متأخر أكثر من «تل زجاج» وجدنا هنا الدليل على تصنيع فريته الرقة المشهورة عالمياً، وعثر عليها بالضبط حيث تتوقع ان تجدها في الرقة، بالإضافة الى الخزف غير العادي المصقول والمنقوش والمصنف كمواد تل شاهين من قبل كريستينا تونغيني التي نقبت مع مرهف الخلاف موقع تل شاهين، عثر على أتون القضبان وأتون الصفائح وقوالب السيراميك و سلع الفخار في تل فخار، إن الهدف هنا بالتعاون مع الزملاء في اكسفورد واسبانيا، هو التصنيف الكيميائي لسلسلة البنى المستعملة لصنع الخزف وتحديد مصدر التربة الفخارية المستعملة، بالإضافة الى هذا نأمل بأن نحدد سلسلة الملونات المعدنية الفنية المستعملة في عمليات الصقل، من الممكن في بعض الحالات

ربط الملونات الكيميائية في عمليات الصقل بمصدر المعادن المستعملة .
إن الكوبالت هو المثال النادر على هذا ، إن مصادر الكوبالت نادرة نسبياً ولقد عيّن موقع واحد له في إيران .

لقد قدمت عمليات التنقيب في تل فخار أيضاً دليلاً على نطاق اصغر بكثير على إنتاج الخزف وعلى صنع الزجاج بشكل قطع من الزجاج التالف وأيضاً على قاع فرن للحديد .

تل بللور (٩٨) : إن تل بللور هو الموقع الذي قمنا بالتنقيب فيه هذا العام ، لقد قدم دليلاً مفيداً جداً على صنع الزجاج الذي شمل بعض الاجزاء الكبيرة جداً من نوع من فرن زجاج يعرف بفرن الحوض ، الذي أشرت اليه سابقاً ، بالإضافة الى دليل أكبر على صب الزجاج في قوالب مضاهياً بذلك الذي عثر عليه في تل زجاج ، إن كلا هذين الشكّلين يقدمان دليلاً أكبر على المستوى الضخم في إنتاج الزجاج في العصر العباسي في الرقة .

بالإضافة الى هذا وجدنا مستودعاً من خزف محروق بشكل جزئي مع زخرفة منقوشة على السطح ، ومرة أخرى إننا ننقب حالياً في نفايات ضخمة من مستودعات صناعية مع دليل ممتاز على الإنتاج ، ومرة ثانية إن الهدف هنا هو محاولة العثور على الأفران والأتونات التي استعملت لصنع الزجاج والخزف .
تل أسود (٩٨) : كشفت المعاينة بألة جيوفيزيائية في تل أسود شذوذاً مغناطيسياً هناك .

لقد كشفت التنقيبات في هذا الفصل القسم السفلي لأتون مربع الشكل ، كان للأتون حجرة نار واسعة تحت الأرض مع ثقب فيها والتي من خلالها كانت الحرارة ترتفع لتسخين الخزف ، إن هذا اتون قياسي ثنائي الحجرة ، لسوء الحظ لم يبق أي من البنى الفوقية على قيد الحياة ومن المفيد أن ننوه ان الأتون شيّد من الآجر والقرميد .
استنتاجات المعاينة والتنقيب في ضاحية من الرقة قدما دليلاً استثنائياً على الصناعة الإسلامية ، يشمل هذا ورشة زجاج عباسية كاملة مع أفران زجاج ثلاثية الحجرات وبقايا مدمرة لأفران أحواض أحادية الحجرة ، كان هناك برهان واضح على تصنيع قوالب صب الزجاج ونفخ الزجاج لصنع اوان زجاجية ولصنع زجاج نوافذ القصور وأماكن أخرى ، انعكس الدليل على صناعة عباسية أخرى بجلاء في

المكتشفات الضخمة من كسر الخزف التي ازدادت هذا العام باكتشاف أتون مربع الشكل .

لم تقدم حفريات تل فخار الأيوبي اية بنى بل دليلاً مشيراً على تصنيع فريته الرقة وأدوات منقوشة صقيلة معروفة بأدوات تل شاهين كما عثر أيضاً على أثاث أتون . تشكل الحفريات والمعاينة فقط جزءاً من البحث ، إننا نضع هذين في سياق تحقيقات تقنية متعددة المبادئ وواسعة ، إن أشكال الخزف وسلسلة البنى مع سطوحها الصقيلة ستحلل كيميائياً ، ويؤمل تحديد مصادر الملونات المستعملة في عمليات الصقل ، إن الآجر المستعمل في بناء الأتونات والأفران واثاث الاتونات ستختبر لكي تحدد بدقة درجات الحرارة المحققة في العمليات ودرجات الحرارة التي كان ينصهر الآجر فيها .

إن الهدف الشامل هو وضع الصناعات في الرقة في مركز شبكة الاتصالات من أجل المواد الخام والرقعة في وسطها ، في طريق العمل الطويل تتاح لنا الفرصة النادرة لبناء روابط بين الصناعات خصوصاً بين صناعتي الزجاج والخزف والتي سيكون لها أهمية ليس فقط في الآثار الإسلامية بل في عالم التكنولوجيا القديمة بشكل عام .

البيت الرقي «الريفي»

محمد العزو

أمين متحف الرقة

البيت الرقي «الريفي»

لقد عرفت منطقة الرقة تطوراً ملحوظاً في أنماط وأشكال العمارة البيئية عبر التاريخ الطويل لهذه المنطقة الواقعة في الجزيرة السورية العليا وان الآثار التي عثر عليها في مناطق عدة من محافظة الرقة ولاسيما المنشأة المعمارية هي كنوز حقيقية ساعدت على معرفة اصول وتطور التراث المعماري، هذا التراث الذي يعود تاريخه الى أكثر من عشرة آلاف سنة من تاريخ العمورة، وخاصة البيوت السكنية التي تعتبر أقدم نماذج عرفتها البشرية لأقدم تاريخ معروف ابتداء الإنسان فيه تشييد المنازل السكنية على ضفتي نهري الفرات والبلخ.

إن التصنيف المدرسي لتطور البيت السكني في منطقة الرقة في عصور ما قبل التاريخ يبدو أكثر وضوحاً وشمولاً في أماكن عديدة من محافظة الرقة ففي المريط تم العثور على منازل وبيوت للسكن شكلت في مجموعها مستوطنة كبيرة مارس سكانها الزراعة في مرحلة مبكرة من تاريخ الإنسانية، إن هذه المنازل لها مخططات هندسية متطورة وليست مساكن بدائية كما يظن أو يعتقد البعض، إذ إنها بنيت على شكل دائري في مطلع الألف الثامن قبل الميلاد وتطور المخطط في الألفين السابع والسادس قبل الميلاد الى شكل مستطيل كما في أبو هريرة وتل صبي الأبيض على البلخ الأعلى.

وكان للبيوت جدران مبنية من اللبن المجفف وكذلك الألواح الطينية المضغوطة المدعمة بالأعمدة الخشبية، والمزينة من الداخل بزخارف ملونة وفي بعض الأحيان نلاحظ خيطاً رفيعاً في أشكال زخرفية أخرى ذات طابع تجريدي ومحاولة جريئة في عملية استيعاب شامل لتقليد الطبيعة والأشياء، وفي الألف الخامس قبل الميلاد هناك محاولة جادة لبناء بيت حضاري متطور كان نتيجة عملية التطور والارتقاء التي كانت الأساس في العملية الإبداعية، إذ إننا نلاحظ اضافات جديدة للمنزل الفردي بناء

أماكن وغرف للخدمة الذاتية ولمقاومة الكوارث الطبيعية كالحفرة داخل سور المنزل وتسمى «بالحفر» لتخزين الحبوب وكذلك «والصيرة» للحيوانات .

أما داخل المنزل فقد كان مقسماً بواسطة جدران قليلة الارتفاع مبنية من الطين والواح خشبية أو من مناصب حجرية متراسة بعضها فوق البعض بشكل أفقي ، أما سقف البيت فإنه كان يتألف من داعمات خشبية مغطاة بعدة طبقات من القش يعلوها طبقة من الطين المدكوك لجعل سطحه العلوي أملس مما يساعد على سيل الماء أثناء هطول المطر ، وفي تطور آخر عرف البيت الرقي أشكالاً جديدة إذ إننا نلاحظ تجمعاً بشرياً مستقراً يعود تاريخه الى فترة ما قبل ظهور الكتابة وبداية العصور التاريخية وذلك على ضفاف نهر البليخ ، حيث أمانت الحفريات الأثرية في مواقع عدة على نهر البليخ ، اللثام عن أشكال رائعة وبديعة لتلك المنازل ذات المخطط المستطيل والغرف المستطيلة والجدران المتصالبة ، حيث كان المنزل يتكون من ثلاث غرف مستطيلة الشكل بعضها صغيرة تستعمل لممارسة الحياة اليومية وبعضها أكبر للنوم إلى جانب ذلك نجد داخل ساحة المنزل الفرن (التنور) والموقد ، وكان داخل البيت مطلياً بمادة الجص البيضاء .

أما في المرحلة التاريخية ، فإن الفرضيات العلمية التي قدمت نفسها منذ بداية هذا القرن عن أشكال البيوت والمنازل على ضفتي نهر الفرات والبليخ ، قدمت فرصاً غير عادية لتحري أشكال النسيج المعماري في منطقة الرقة عبر العصور التاريخية ، ومن خلال الحفريات الأثرية والبحث العلمي اللاحق في منطقة الرقة تبين أن شكل البيت الرقي له نفس الطابع ونفس المخطط الذي مر بتطورات وتقنيات أضفت عليه تغييرات وتبديلات وذلك حسب المنطور البيئي ، إلا أن المادة المستعملة في البيت الرقي ظلت حتى فترة وجيزة هي مادة اللبن المصنوع من الطين والقش المجفف ، كما أن التوزيع الداخلي وكذلك سماكة الجدران وأشكال الأبواب والنوافذ بقيت مستمرة حتى الربع الأخير من هذا القرن على الأقل في ريف منطقة الرقة ، وإن كان هناك بعض الفروقات التي طرأ عليها تغيير بفعل عامل الزمان والمكان والضرورة الملحة نتيجة المعطيات بيئية محلية واجتماعية فرضت نفسها بفعل عامل التطور الحاصل على الظروف المناخية .

كما أن البيت الرقي له أشكال متعددة منها (الحوش) المستطيل والمربع ذو الغرف

المستطيلة والمربعة والسقف موحد ومستطيل وكذلك هناك بعض الغرف ذات السقف الجامالوني (البليخ الأعلى) وهناك العتبة التي تأخذ عدة أشكال منها المخروطية ومنه المقطوعة والتي تتركز على مربع شكل في نهايته شكل الدائرة المحولة على المقرنصات والقبة شكل معماري معروف منذ العصر البيزنطي (كنيسة ابا صوفيا) إلا أن جذور هذا الفن تطور عن العمارة الراقية وذلك منذ الألف الثالث قبل الميلاد، كما أن أهل المدينة بنوا منازلهم من الأجر المحروق المعروف منذ العصر العباسي - بيوت الرقة - ومدينة الغار).

إن البيت الرقي (الرقي) الذي تم بناؤه هذا العام بمناسبة بدء مهرجان الرقة للثقافة والتراث هو نتيجة للجهود المبذولة من قبل السيد الدكتور أحمد محمدنفاخ محافظ الرقة وله من الجميع وافر الشكر والتقدير، في سبيل إعطاء صورة نموذجية لواقع البيت الرقي الذي بدأ يختفي شيئاً فشيئاً منذ النصف الثاني من هذا القرن بفعل التطور المعماري الذي عرفته مدينة الرقة. والفكرة بحد ذاتها ليست من باب الفبركة، بقدر ماهي فكرة واقعية، ارشادية نفعية تعكس حقيقة الذوق المعماري المحلي الناتج عن استيعاب واقعي للتاريخ وللحقيقة وللبيئة المحلية. إن الأصالة والاستمرارية هما من خصائص الشعوب الراقية. والبيت الرقي (الرقي) سيكون في المستقبل نواة لمتحف التقاليد الشعبية في الرقة وهو استمرار لأصالة شعبنا وقيمتة الفنية الراقية عبر التاريخ.

تاريخ الري القديم

وأثاره الاقتصادية

والاجتماعية

محمد عبد الحميد الحمد

تاريخ الري القديم وآثاره الاقتصادية والاجتماعية

دلت الأبحاث الأثرية المكثفة في أرض الجزيرة على تغير مناخي بسيط طرأ على المحيط والسكان، ودلت استخدامات المكان والبيانات الخاصة المتعلقة بحبوب الطلع، على ملحوظة انه في بداية الالف الحادي عشر قبل الميلاد اصبحت البادية ملائمة للحياة النباتية والحيوانية، فقد غطيت البادية بغطاء عشبي وشجيرات رعوية تناسب تكاثر الحيوانات البرية، وتناسب حياة الرعي لكثرة الأودية التي تسيل بالمياه طيلة فصل الصيف.

في هذه الفترة لوحظ زيادة عدد السكان، والاستقرار في بعض المواقع (كالمریط وأبو هريرة والصبي الأبيض) وغيرها، حيث توسع السكن في التلول مع ازدياد الأراضي المروية، ومنذ الألف الخامس قبل الميلاد زاد عدد السكان بازدياد عدد غرف المنازل التي احتوت مخلفاتها على آثار نباتية وفخارية، عرفنا من خلالها تطور اساليب الحياة وتنوع الزخارف، صاحب ذلك وجود فائض بالانتاج سمح بالادخار وتبادل السلع عن طريق بيع الفائض، وقيام طرق تجارة كبرى مع البلدان البعيدة في آسيا الصغرى والهضبة الايرانية ومصر، ودلينا على ذلك احجار الفيروز من افغانستان، والحجر الزجاجي اللامع الأسود (الابسيديان) الذي لا وجود له الا في الاناضول، وهذه السلعة لم تكن الوحيدة في التبادل، وفي الألف الرابع قبل الميلاد ازداد حجم القرى وظهرت بعض المدن، وكانت ذات نسيج معماري له مخططات خلوية مستطيلة، والبيوت ذات حجرات متعددة، شيدت على قاعدة حجرية بينما كانت الجدران مبنية من الطين (اللين) الذي تآكل وتهدم بسرعة، ولكنه كان ملائماً للمناخ، الذي تميزت به منطقتنا منذ آلاف السنين، بشدة سعة الفروقات الحرارية بين الصيف والشتاء حوالي (٢٤) ومتوسط درجات الحرارة حوالي ١٨ يمكن ان تنخفض في الشتاء الى مادون الصفر، كما حدث في سنة ١٩١١ سنة (الثلجة

الكبيرة). وعام ١٩٥٠ سجلت درجات الحرارة دون ٢٠ درجة تحت الصفر مما أحدث تلفاً بالأشجار المثمرة (الرمان والكرمة والزيتون) وسميت الضريبة، وعلى أثرها هاجر أهل تادف والباب والبزاعة إلى الرقة.

تميزت هذه المنطقة بنظام امطار غير منتظم، فهي عند تل ابيض حوالي ٢٨٠ مم، وفي الرقة في الجنوب حوالي ٢٠٠ مم. هذا الاختلاف في المناخ اجبر الانسان على الري الصناعي في الزراعة، وعدم الاعتماد على الارواء البعلي.

ارتبطت الحضارة بالسقي المنتظم وبإدامة تدفق المياه في السواقي والجداول من الآبار والعيون والأنهار، وكلها متوفرة في موقع توتول، التي جاء اسمها السومري اما من الآبار أو من المنخفضات المملوءة بالمياه.

كانت بداية السقاية من الآبار الكثيرة المنتشرة في موقع التل، وكانت البساتين دائماً تقترب أسماؤها بالآبار، وضمن ملكيات الدور.

كان البئر في توتول غزير المياه، عذبتها، قليل العمق، وكانت جدران البئر الداخلية تلمح من الأعلى بالاجر، أما أسفل البئر فهو من الحجر الحواري ذي المسامات التي تسمح برشح المياه الجوفية إلى داخل البئر، وكان سحب الماء يتم بواسطة دلاء من الجلد وبجبال من القنب أو الشعر يدور على محالة (بكرة خشبية) تعلق على عارضة فوهة البئر، ويمكن للمرأة سحب الدلو بكل سهولة.

كان العمل الزراعي يقوم على اكتاف المرأة عندما كان الري من البئر، جاء في الامثال البابلية (الزوجة مستقبل الرجل) وجاء في شكوى أحد الرجال «خرجت زوجتي إلى المعبد، وذهبت أمي إلى النهر، وأنا هنا أموت جوعاً»^(١).

كانت هناك منخفضات حول توتول على جانبي فرع البليخ، كانت تملأ بالماء في فصل الربيع، ويجري سحبها في بداية فصل الصيف «بواسطة الدالية»، وهي عبارة عن جذع شجرة طويل، يتأرجح على دعامة حجرية في رأسه مغرفة (دلو) على الجذع الأقصر، وفي القسم الأطول يعلق ثقل، وهناك (المغرفة) وهي دالية صغيرة، تشد في رأس عمود طويل (جرة صغيرة) وينصب عود ويعرض العود الذي في طرفه المغرفة على العمود المنسوب، ويستسقى به الماء الذي يفرغ في حوض الساقية، هذا التصور وجد محفوراً على الأختام الاسطوانية في كافة بلاد ما بين النهرين على دجلة والفرات والبليخ والخابور.

كانت ملكية الأرض هي ملك للاله (داجن) اله الخصب، وكان الملك هو الكاهن الأكبر، ممثل الإله على الأرض.

وفي الألف الثالث قبل الميلاد، تغيرت اساليب الري، وبالتالي علاقات الانتاج، قال (يخدون ليم) ملك ماري وتوتول: أنا فتحت نهراً وجعلت دلاء السحب مهجورة في بلادي.

إن الري من الانهار كان يتم بالراحة ويسمى «شيقيتوم» وهذه الكلمة البابلية هي اصل كلمة السقي العربية، وصار موزع الماء هو الشخصية الثانية بعد الملك او هو الملك احيانا.

بعد ان استولى حمورابي (١٧٢٨-١٦٨٦ ق.م) على ماري وتوتول قال مفتخراً: إنه جهز شعبه بالمياه الوفيرة» وجاء في مقدمة شريعته: اول الملوك مخضع الاقاليم على طول الفرات بفضل قوة خالقه (داجن) من انقذ قوم ماري وتوتول الامير الورع... من وسع الاراضي الزراعية والذي يقوم بخزن الحبوب.

شق حمورابي قناة من الفرات لإرواء منطقة توتول في منطقة (دامانو) في منطقة السلحية في قرية دامن - جاء في رسالة من حمورابي الى الحاكم (سن ادينام) هكذا يقول حمورابي ادعو الناس الذين لهم حقول على جانب قناة دامانو، بأن تطهير القناة خلال هذا الشهر.

كان للري دور كبير في الحياة المعاشية والمثل عندهم (الناس بدون حاكم مثل الماء بدون مراقب القناة) بل كان نبوخذ نصر ملك اشور يطلق على نفسه لقب «مراقب القنوات، وساقى الحقول، وفلاح بابل».

صار موزع الماء الشخصية الثانية بعد الحاكم ويطلق عليه «المكار» والمكر في اللغة العربية هو أحد اشكال السقي، جاء في المخصص لابن سيده «اسقى ارضه ارواها بحدود حاجتها وامكر ارضه، غمرها قبل سقايتها، لتهيئتها للزرع».

ومن صلاحيات المكار (مراقب الماء في القنوات) السهر على سلامة توزيع المياه والامر الدائم لديه «املاً القناة بالماء وجهزها للفلاح». يعاون المراقب ثلاثة موظفين: الاول ويسمى (باني-ميه Pann-Me) مهمته الاشراف على توزيع المياه واطلاع القصر.

الثاني (قاضي المياه Dyau.Sha.Rmesh) كانت مهمته الفصل بين المتقاضين حول مدة

السقاية ، واوامره الدائمة لاتنقصوا الماء في قناة اروائه) .
الثالث مراقب السواقي يعمل تحت امره القاضي يدعى (جوجالوم Gugallum) اي الكادور ، وكانت اجوره يأخذها من المحصول على قدر محدد .
كانت طرق الري القديمة سبباً في خلق الدولة المركزية القوية التي ارتبط بها بناء السدود وخلق جهاز من الموظفين يشرفون عليها فيهم المهندسون والبنائون المختصون في مسح الأراضي وشق الانهار والقنوات .
وكان السد يتألف من :

١ - الفتحة أو المآخذ وتدعى «البثق» :

كانت تشيد بالحجر المهندم ويصب بينها بعض القصدير المذاب ، وكانت تجعل للنهر فوهتان ، قال اليعقوبي : عندما عزم المتوكل ان يبقي مدينة سامراء ، أمر محمد بن موسى المنجم ومن يحضر بابه من المنجمين ان يختاروا موضعاً ، وان يحفر نهراً في الدهر القديم فاعتزم ذلك وابتدأ النظر فيه سنة ٢٤٥ هـ .^(٥)
علق الدكتور أحمد سوسة «تعد الفوهات في صدور الانهر القديمة ، امراً مألوفاً لدى الاقدمين حيث كانوا يصممون جداولهم على اساس جعل فوهتين للجدول احدهما تستعمل في الشتاء والاخرى في الصيف ، وكانوا يفتحون جداولهم دون ان ينشئوا نواظم بنائية في فوهاتها ، وكانوا يفتحونها كلما اندرست احداها وتراكت فيها الاتربة والاحجار ، مما يحول دون دخول المياه اليها . وكان النهر الجعفري يسمى مكانه (تل الرحيات) . كما هو الحال في موقع تل الرحيات على نهر البليخ وكان يدعى سابقاً (العيزارة) مكان ارجاء تدار بالماء .^(٦)

٢ - الباب أو السكر :

يأتي بعد مدخل القناة الرئيسية باب اصفر من الفتحة الرئيسية يغلق ويفتح عند الحاجة وكان مكان الاغلاق يسمى السكر في الأعلى ويسمى أيضاً (المنفشان) اما في الاسفل فيدعى (القرقور) وهذه التسميات الاكادية او السومرية مازالت مستخدمة في ريفنا على نهر البليخ ، اما في بغداد والعراق فإنها تدعى (البثق) .
كان الأقدمون قد بنوا سداً على الرافد الشرقي (نهر الهرماس) وبالأشورية يدعى (خرميش) ويعرف اليوم بنهر الجعجج وعرف السد باسم (سكير العباس) نسبة الى حامد بن العباس (٨٣٧-٩٢٣) الوزير على ايام الموفق والمقتدر تولى ادارة الخراج

والضياع ، حول مياه هذا النهر (الهرماس) الى نهر الثرثار للاستفادة منه لارواء منطقة الحضر وزيادة رقعة الأراضي المزروعة في الجزيرة. (٧)

وصفه ابن رسته (في الاعلان النفيسة) : ومخرج الثرثار من الهرماس ويمر بالحضر ويصب في دجلة (٨)؛ ويبدو أن هذا السد كان قديماً وقد اعاد العرب كريبه واعادته ثانية للحياة .

كانت الاوامر الملكية الدائمة السريان «اعمل على تقوية بوابات قنواتك ، ومجاري قنواتك التي تقع على امتداد قناة الإله سين» على نهر البليخ ، وكان الإله سين / سين اله القمر / وهو معبود اهل حران والاعراب المحيطين بها .

كانت السدود محور اهتمام الدولة في الشرق القديم ، وحتى العصر الحديث ، يروي عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه المنتظم الحادثة التالية : «وفي يوم الاربعاء - سادس صفر ٤٠٣ هـ خرج فخر الملك الى بثن اليهودي بالنهر وان (قرب بغداد) فعمل فيه حتى احكمه ، واخذ بيده باقة قصب فطرحها فوافقه الناس ، وحملوا التراب والقصب ، وظل فخر الملك ساهراً ليلته قائماً على رجليه والرجال يعملون حتى ثبت السكر ، ثم رتب العمال في كل رستاق ، وعمر البلاد فارتفع في تلك السنة بحق السلطان بضعة عشر الف كر وخمسون الف دينار» . (٩)

كانت عملية ترميم السدود السنوية في العهد البابلي تقام ضمن احتفالات وطقوس دينية تهيئة السكر لموسم جديد وكانت تتخلله بعض الممارسات الاباحية تشترك فيها بغايا المعبد المقدسات ، وفي ريف العراق تعمل حزم مكونة من عدة طبقات محشوة بالشوك والبردي والقصب ثم تلف كل طبقة بصوف من الحبال ، وتسمى هذه اللفافة (بالبطيخة) ، أما في ريفنا على البليخ فكانوا في بداية هذا القرن ، يستعدون بجمع الشوك والبردي والزل ، وكانت النسوة اللواتي يجمعن الشوك يدعون (سكارات البليخ) تروى عنهن قصصاً غريبة ، فمن ذلك انهن اذا انفردن برجل كن يربطن قضيبه الذكري ويلعبن عليه وقد يموت بين أيديهن ، ثم تجري بعد ذلك عمليات حرز الشوك في السكر وتدعى اللفافة (بالهوكة) وهي في العربية الحفرة ، وكأنهم قالوا انها السداة للحفرة ، وكان (جيام الخليل) وهم القائمون على خدمة مشهد نبي الله ابراهيم الخليل يشتركون في هذه الاحتفالات بالضرب على الدف والصنجات النحاسية والانايد الدينية لأن للمشهد سهماً من الانتاج او

المحصول في كل حقل ، وهذا هو حق المعبد قديماً .

٣- الخور والقنوات التابعة له :

وهو القناة الرئيسية التي تتفرع عنها القنوات الأصغر ، كانت الدولة هي المسؤولة عن سلامته ، فإذا كان الماء فيه منخفضاً ، لا يصل الى الأرض المؤجرة ، فعلى الحاكم ان ينضب رافعة لسحب المياه وتوصيلها الى قناة المستأجر ، طبقاً للأمر الدائم (املاً القناة بالماء وجهازها للفلاح) ، منذ بداية الري الى نهايته .

وتتبع القناة الرئيسية قنوات ثلاث فرعية .

١- الايكو : هي القناة التي تتفرع منها عدة قنوات .

٢- الأتابو : وهي قناة عريضة مدخلها أو المأخذ حوالي ١٢ م .

٣- البالجو : وهي الساقية التي تروي الحقل مباشرة .

وكانت لكل ساقية من هذه السواقي مدة زمنية لارواء الحقول تدعى (عدان) .

٤- قنوات التصريف أو قنوات البزل :

كان يترتب على اصحاب الحقول المحافظة على حقولهم من زيادة نسبة المياه الجوفية مما يؤدي الى زيادة الملوحة (النراز) وكانوا يتبعون طريقة (البزل) لتصريف المياه الزائدة ، لأن الري في القديم يعتمد على طريقة المكر (اي الغمر) وهي طريقة مازالت متبعة في ريفنا حيث لاتقنين في المياه مما يؤدي الى ملوحة الأرض الجبسية كما حدث في المشروع الرائد ٢٥ الف هكتار خرجت منه ٦ آلاف هكتار بعد عامين من استزراع عام ١٩٧٤ ، ولكن المهندسين الزراعيين اتبعوا الطريقة القديمة في البزل واستعادوا الأراضي التي خرجت من الاستثمار .

كان القدماء يحفرون خندقاً في احد اطراف الحقل لتصريف المياه الزائدة ، الى مجرى النهر الاصلي وكانت هذه المصارف الفرعية تدعى (موصو) وكان التفريغ يحدث بعد السقية الأولى (الطربيس) .

جاء في إحدى النصائح البابلية في الزراعة (ابذل عنايتك لثلا يرتفع الماء ارتفاعاً كبيراً فوق الحقل ، وحافظ على الأرض المسقية ، من دوس البقر بعد ان يفيض الحقل بالماء) . (١٠)

كري الأنهار أو صيانتها :

كانت الدولة تهتم بصيانة شبكات الري ، صيانة القنوات ، وردم التآكلات التي

اصابتها اثناء مواسم الفيضان ، وتنظيف قيعان تلك القنوات من الترسبات التي تصيبها سنة بعد سنة ، والكري هو تنظيف المجاري من الترسبات والطيني والأعشاب ، وهو أيضاً حفر حفرة جديدة في النهر .

وكانت تقع مسؤولية كري القنوات داخل الحقول على الفلاحين جاء في تشريعات حمورابي اربع مواد ، تتعلق بصيانة الشبكات هي :

المادة ٥٣ : اذا اهمل رجل احكام قناة حقله ، وحدث بها تصدع ادى الى اجتياح الارض المنزرعة ، فإن الرجل الذي حدث البثق في ارضه فإنه ملزم بتعويض الحبوب التي تسبب في اتلافها .

المادة ٥٤ : وإذا لم يستطع تعويض الحبوب ، يباع هو وممتلكاته ويتقاسم الثمن الفلاحون الذين تضررت محاصيلهم .

المادة ٥٥ : وإذا فتح رجل ساقية للري ، ثم اهملها فتسبب اهماله في ان تجرف المياه تربة حقل جاره فعليه ان يدفع حبوباً تعويضاً له بقدر ما اصاب جاره من خسارة .

المادة ٥٦ : اذا فتح رجل الماء في قناة جاره ، وتسبب في اتلاف مزروعاته فعليه ان يدفع عشرة اكوار مقابل كل ثمانية عشر إيكو .^(١١)

وصايا للفلاح : جاءت وصايا فلاح لابنه على شكل ارجوانة ليسهل حفظها ، تهيئة الأرض : اذا قارب الوقت الذي تبتدى فيه زرع حقلك ، فلا تجعل مياهك ترفع فيه عالياً ، وحين بزل الماء من الحقل حافظ على شواء الأرض فلا تدع ثوراً شارباً يطؤه ، واطرد المتجولين والسائحة فيه ، واجعله كالأرض المأهولة قطعه بعشر فؤوس حادة ، لإزالة الحفر والثقوب الضيقة بالمسحاة .

وينبغي تطهير الأرض من الحشائش ، وجذور النباتات المتروكة في موسم الحصاد السابق ، كما يلزم احاطة الحقل بالسياج .

واحرص ان يكون لديك ثور اضافي قبل ان يبدأ الحرث ، وعليك ان تفرق الأرض وتكسرهما بالفأس ، وبالرفش مرة ثانية .

وإذا انتهيت من حرث الخطوط المستقيمة ، احرثها بعدئذ خطوطاً مائلة ثم احرثها ثانية خطوطاً مستقيمة ، ثم قدم الصلاة للإله (داجن) ليحفظ حقلك من الجرذان والطيور .

ولتنثر البذور في الأحاديث التي يحدثها المحراث ، وان تكون تلك الأحاديث ثمانية خطوط في اللوح الواحد الذي عرضه عشرون قدماً .

راقب من يبذر الشعير والقمح ، بحيث يجعل البذار بعمق اصبعين ، وان تكون تلك بوجه منتظم ، وكانوا يقولون : ان الشعير المبكر (الهرفي) قد يفلح ، فما أدرانا؟ وان الشعير المتأخر (الخيرى) قد يفلح ، فما ادرانا؟ .

ومتى نما الشعير او القمح على الفلاح ان يرويه ، كى يصير بهيئة الحصير وسط السفينة ، فعليه ان يسقيه مرة اخرى ومرة ثالثة ، وإذا لاحظ اضراراً في الزرع ، فإن ذلك اشارة على وجود الآفة المخيفة (سمانا) المهلكة للزرع والفلة ، وإذا حال الزرع فعليه ان يرويه مرة رابعة .

وإذا حان وقت الحصاد ، على الفلاح ان لا ينتظر حتى تنحني السنابل وتميل من جراء ثقلها بل يجب حصده في ابان قوته ، يقوم بعمل ذلك الحاصد والحزام ثم يأتي من بعدها الرجاد لينقله الى البيدر ، ولتستمر عملية الدراس خمسة ايام وهنا تقدم الصلاة والقرايين للإله (داجن) قبل التذرية لتعمه البركة .^(١٢)

هموم الفلاح قديماً :

من الامثال الشائعة لديهم التي تعكس وعيهم الاجتماعي والطبقي :

- قولهم : ليس كل عيال الفقراء قانعين مستسلمين .

- خير للفقير ان يموت من ان يعيش ، لانه اذا حصل على الخبز عدم الملح والادام .

- من يملك شعيراً كثيراً قد يكون سعيداً ، ولكن من لا يملك شيئاً في وسعه ان ينام .

يلاحظ ان الشعير هو المحصول السائد في جنوب العراق ، بينما القمح هو السائد في حوض البليخ .

- يمكن ان يكون لك سيد ، أو قد يكون لك ملك ، ولكن الرجل الذي يخشى منه إنما هو جابي الضريبة ، وان جباة الضرائب متشرون في كل مكان .

- ومن أقوالهم : يد الى يد يمكنها ان تتم بناء البيت ، ومعدة الى معدة تخرب بيت

المرء ،

- يقترض الفقير فتركبه الهموم .

النسبة من وسائل

الري الرقية

لأبي حازم الرقي

حمصي بن فرحان الحمادة

النصبه من وسائل الري الرقية لأبي جازم الرقي

بعد غارة التتار على العالم الإسلامي ، دمرت مدينة الرقة وبقيت المنطقة قروناً عديدة خاوية ، لم يسكنها غير الوحش والطير ، فبقيت المدينة قفراء ، والأرض عراء ، كثر فيها الأدغال ، وتشابكت اشجار الشفلح والغرب والطرفاء والعوسج مشكلة مايعرف بالحوايج ، ذاك الاسم الذي مازال رائجاً حتى يومنا هذا .

مارس الإنسان الري بطريقته البدائية الأولى بما يسمى (الري بالراحة) وعرفنا في تاريخ الرقة القديم طريقة الري بوساطة قنوات محفورة من نهر الفرات الى السهول المجاورة كسهل الرصافة والبسيتين ، وعندما قدم البوشعبان الى منطقة الرقة احضروا معهم طريقة جديدة للري - سبق أن استخدموها في منطقة الخابور عندما حلوا فيها وهي الطريقة التي جاؤوا بها من نجد ، وهي ما تُعرف بالري بوساطة النصبه الى جانب الطريقة القديمة وهي الري بالراحة وتسمى عندهم (طريقة الري بالسجر) اي الري بالسكر من التسكير والإغلاق ، ويتكون السجر من نبات شوك الخرنوب الذي يوضع في مجرى النهر ثم يغمر بالوحل ولقد اختاروا نبات الشوك لأنه بتشابكه يشكل كتلة واحدة متداخلة مع بعضها تستطيع الصمود أمام تيار النهر المتدفق .

وهذه الطريقة لاتصلح إلا للأنهار الصغيرة ذات المجرى الضيق الذي يمكن التحكم فيه كنهر البليخ ، وهي لاتصلح لنهر الفرات القوي المتدفق إذ لا تستطيع كومة من الشوك والطين أن تصمد أمامه ، مما جعله يستعمل طريقة للري تتناسب مع تدفق هذا النهر وهي الري بطريقة النصبه .

الرواية الشعبية عن صنع النصبه :

على الرغم من قناعتنا التي لا يرقى اليها الشك من أن قبائل البوشعبان قد احضروا معهم من نجد موطنهم الأصلي طريقة الري بالسواني أو النصبه استعملوها على

ضفاف الخابور ثم على ضفاف الفرات، بدليل أنها مازالت معروفة في نجد، وقد أقيمت بشكل دائم في مهرجان الجنادرية للتراث والثقافة الذي يقام سنوياً في المملكة العربية السعودية.

نقول على الرغم من قناعتنا هذه لأبأس من إيراد الرواية الشعبية لطرافتها. تقول الرواية الشعبية: إن فلاحاً من فلاحي الخابور كان عنده ثور عنيد نطح ابناً له فأراد قتيلاً، وبقدّر حزنه على ابنه كان غضبه على الثور حتى هم بقتله، ثم تريت لأن الثور كان آنذاك يشكل ثروة كبيرة، فهو فحل البقرات، وهو واسطة النقل، إذ يحمل الأمتعة والموارد الزراعية. ويستخدمه في ارتحاله، وعلى ظهره يحمل بيت الشعر وأثاثه البسيط.

فكر الفلاح طويلاً في هذه المصيبة، وصدره لا يزال مضطرباً بالغضب والحقد وأخيراً خطرت له هذه الفكرة:

لابد من معاقبة هذا الثور عقوبة قاسية مع ضرورة الابقاء على حياته، فما هي هذه العقوبة؟ ..

جاء بدلو كبير مصنوع من الجلد يتسع لمئة لتر تقريباً، وشده بحبل قوي وربط طرف الحبل الآخر في صدر الثور، ثم وضع عمودين كبيرين من الخشب بشكل عمودي ومتواز على حافة النهر، وحفر لكل واحد منهما حفرة وثبت كل عمود في حفرة واحضر عموداً ثالثاً وضعه فوقهما بشكل أفقي، ووضع له بكرة من الخشب ووضع الحبل في مجرى البكرة، وأخذ يتنشل الماء بالدلو من سرير النهر الى حافته ويسكب الماء فوق التربة بشكل غير منظم، وكان هم الفلاح آنذاك إرهاب الثور وإتعبه ليشفي غليله، ويأخذ بثأر ولده القاتل، وبعد مضي أيام هدأت ثورته، وكف عن معاقبة الثور، ولفت نظره ان العشب قد نما بكثرة في المكان الذي سكب فيه الماء، والى جانب العشب نمت الذرة البيضاء، فحماها ورعاها حتى صارت عرائيس قطفها لطعامه، وقدم العشب لماشيته.

شاع الخبر بين الفلاحين فأخذوا يمارسون هذه الطريقة الجديدة للري، وتطورت الطريقة حتى وصلت الى شكلها النهائي، وولدت النصب، هذه الآلة التي لا يحركها النفط، إنما يحركها العضل القوي، وكان الثور الأقوى عضلاً.

أقسام النصبية :

النصبية آلة ري قديمة تساعد في ري المحاصيل الزراعية ، وهي مصنوعة من الخشب العادي (جذوع الأشجار) وليس لها مواد أولية غير ذلك ، وتحركها قوة الحيوانات العضلية ، وتعتبر النصبية الساعد الأيمن للفلاح قديماً .

وتقسم النصبية الى الأقسام الرئيسية التالية :

١ - حفرة (بير) : تقع اسفل المصطبة وهي محفورة بجرف النهر ، وترتبط بماء النهر مباشرة ، وتدعم الحفرة بالشوك والتبن واعداد الشجر لحفظها من عملية الحت المائي والتخريب .

٢ - القاعدة : وهي قاعدة صلبة تركز عليها النصبية ، وهي عبارة عن مصطبة مسطحة تقع على حافة جرف النهر مباشرة بجانب الحفرة (البئر) .

٣ - الدلو : مصنوع من جلد البقر ، ويستخدم لنقل الماء من النهر أو البئر الى الحوض ويربط بحبال تدور على البكرات ، طرفها يجره الفلاح وحيوان قوي من الخيول أو الثيران في حفرة مائلة (التربيع) فعندما يصعد الحيوان الى قمة الحفرة ينزل الدلو الى قعر النهر أو البئر حتى يمتلئ ، وعندما يهبط الفلاح هو وحيوان الجسر ومعهما الحبال الى اسفل الحفرة المائلة يتأرجح الدلو ويصب الماء في الحوض ، هكذا وبحركة مكوكية تمتد من الفجر الى المساء .

ومن الحسابات التي دونها المهندس التركي (وجيه الجزار) نجد البيانات التالية عن الدلو :

- يصعد الدلو ويهبط ٦٠ مرة في الساعة .

- سعة الدلو ١٠٠ لتر .

- كمية الماء ، يصب في الحوض ٦٠٠٠ لتر في الساعة .

٤ - البكرة : تصنع من جذع شجرة العرب الكبيرة الذي يباع - آنذاك - بسبع ليرات سورية ، ويصنع منه ما بين ثماني الى تسع بكرات ، ويلجأ عادة الى نجار لصقل الجذع بالفأس وثقبه حتى يصبح سهل الدوران ، والبكرة حلزونية الشكل تدار بوساطة السير والمعونات ، وتستخدم البكرة لسحب الدلو من الأسفل الى الأعلى ، ويسمى ثقب البكرة (بيت الشمعة) وتدعم البكرة عادة بصفائح من الزنك المثبتة بالمسامير .

٥ - الحلة : أوتاد خشبية شاقولية على الأنص وظيبتها حمل البكرات ولكل بكرة

حلتان .

٦- الشماع : وظيفته تثبيت البكرة على الحلة ، وتحتاج كل بكرة الى شماعتين .

٧- الشاروفة : وهي عبارة عن سير كالمغزل مهمته تحريك البكرة .

٨- المغزل : وهو بشكل بكرة يقع تحت الشاروفة ، ومهمته تسيير الشاروفة وهو مصنوع من الخشب .

٩- المعونات : وهي مصنوعة من الخشب ، ومهمتها سحب الدلو من فوق البكرة ليصب في الحوض .

١٠- الشمعدانان : عمودان قويان ينتهيان في الأعلى على شكل (شاعوب) Y أو مثل الرقم سبعة في العربية ، ويسمى كل واحد منهما (شمعداناً) .

١١- المزقان : جذع خشبي يخترق البكرة ويرتكز على الشمعدانين بشكل أفقي وهو الذي يسمح للبكرة بالدوران من خلال ثقبها الذي يسمى (بيت الشمعة) .

١٢- الآذان : يجب أن يكون المزقان ثابتاً ، أما البكرة فهي متحركة ، وكذلك يجب تثبيت المزقان والشمعدانين بجذوع إضافية من الشجر تسمى (الآذان) .

١٣- النابة : وهي دعائم أفقية من جذوع الشجر لتدعيم الرقبة ، في كل جانب طبقتان من العيدان .

١٤- الوساد : وهي عبارة عن كتلة من الأغصان تنصب فوق النابة ، وتضاف إليها ركيزتان من قلب الطين ، ونقرتان وناجور .

١٥- الرقوبة : في الأعلى عند المزقان أقيمت ركائز خشبية مساندة تسمى الرقوبة .

١٦- الجائز : وهي دعائم أخرى على جانبي الشمعدانين ، مصنوعة من الخشب .

١٧- الداكور : دعائم لمنع الركائز والشمعدانين من الحركة ، وهي الدعائم الأساسية للنصب ، ويقال : (لولا الدواجير ما وجدت النصب) .

١٨- الرقابة : قطعة خشبية قوية من جهة الساقية تلعب دور المثبت لأقدام الشمعدان ، وتساعد في إتمام حركة نقل المياه من النهر أو البئر على شكل نصف دائرة .

١٩- المغزال : بين ركيزتي الحلالت أقيم جذعان أفقيان مفروزان في النصب ولهما عند طرفيهما آذان يرتكز عليهما مغزال خشبي ، وعلى هذا المغزل يستقر الدلو بعد

امتلائه بالماء وصعوده نحو الأعلى .

٢٠- العامل : وهو الحزام الجلدي الذي يحمل الدلو .

٢١- الحوض : يتكون من كومة عريضة من القش على شكر سرير ، ووضع فوقها طبقة من التبن والوحل ، وصفت فوقها بعد ذلك مجموعة من أغصان الصفصاف أو الطرفاء الجافة ، وكل هذه المواد لتقوية أرض الحوض وجوانبه ، لمنعه من الانهيار تحت ضغط الانسياب المستمر للماء .

٢٢- المد : وهو الطريق الذي تسير فيه الدابة جيئة وذهاباً من وإلى النصبه ، ويسمى آخر الطريق (المبلاغ) حيث تقف الدابة هناك ثم ترجع إلى النصبه ، وهكذا .
تكلفة النصبه :

يكلف بناء النصبه مع كامل المعدات ٢٩٢ مجيدياً تقريباً ، وبما أن الليرة الذهبية تعادل ٥ مجيديات ، فبالتالي فإن كلفة النصبه تعادل ٥٨ ذهبيه تقريباً .

كيفية عمل النصبه :

تتألف النصبه عادة من بكرة أو بكرتين أو ثلاث بكرات ، وكل بكرة يديرها ثور يسوقه رجل أو امرأة ، والثور هو الحيوان المستخدم لتحريك النصبه إذا توضع على رقبته (جاله) مصنوعة من الجلد ، ومحشوة بالصوف والجاله طوق يوضع في عنق الثور ، مربوط بخناق (سفيفة) ، ويربط على الجالاه (الجنابي) وهي مصنوعة من الحديد والخشب ، وتربط الجنابي على الجالاه بوساطة (الكوس) وهو صلة وصل ، والكوس طوله متر واحد ، وعرضه ١٠ سم ، يوضع خلف الثور ، ومربوط عليه بالجنابي ، ويربط على بطن الرجل المرافق للثور (الترايا مع الجازل) والترايا مصنوعة من الجلد والجازل من الخشب ، وتفيد الرجل في ذهابه وإيابه مع الثور في أثناء سحب الماء ، ومسافة سحب الماء تكون بين ثمانية إلى عشرة امتار ، ويحتاج كل ثور إلى رجلين ، يعمل كل رجل مدة ساعتين ، يستريح بعدهما ، ويتم التبادل مع الرجل الآخر ، وتحتاج النصبه الواحدة إلى ثورين ، وأربعة رجال ، إضافة إلى رجلين آخرين للسعي .

وسبب اختلاف عدد بكرات النصبه من بكرة إلى بكرتين إلى ثلاث بكرات ، هو اختلاف عدد الفلاحين المشاركين كثرة أو قلة ، وتعتمد البكرات الثلاث على كثرة الفلاحين المشتركين في الزرع ، وما يملكون من ثيران ، لأن الثور كان العصب

الرئيسي للفلاح ، فثلاث البكرات تحتاج الى ستة ثيران لأن الثور يعمل نصف النهار، ويستريح النصف الآخر، فيأتي الثور الثاني بعده .

والغذاء الرئيسي للثور هو نبات السوس الأخضر الذي ينقع بماء الفرات فتذهب منه المادة اللاذعة، ويصبح طعمه كطعم البطيخ الاصفر، فيأكله الثور بنهم، وتقوم المرأة عادة بقطع نبات السوس ونقعه بالماء ومن ثم اطعام الثور .

ولكثرة نبات السوس وتوفره في السهول المحاذية لنهر الفرات اصبح غذاء الثور بذلك متوفراً بشكل جيد، وبكميات كبيرة، كما أن توفر نبات السوس في الصيف وكونه نباتاً بعلياً يسر وسهل عمل الفلاح الرقي .

الشركاء في النصبه الواحدة :

١- المعلم : وهو المشرف على النصبه، وهو بمثابة الميكانيكي الذي يقوم بتركيب النصبه وإصلاح اعطالها .

٢- الساجي «الساقى» وهو الذي يسقي الحقل أو «الكرد» .

٣- الديار : وهو الذي يسوق الثور ويدور عليه .

٤- صاحب الثور : وحصته على الثيران التي يقدمها، فهناك من يساهم بثور أو أكثر، وقد لا يعمل صاحب الثور إلا بتقديم ثوره .

٥- صاحب الأرض .

٦- الكادود : وهو الذي يباري الساقية ويحفظها من الخراب ، كما يراقب تسرب المياه .

٧- الناطور : يعاون الديار وصاحب الثور وفي قانون النصبه لابد من سبعة شركاء .

المساحة المروية :

المساحة التي ترويهها النصبه الواحدة تقارب مساحة بذار ٣ شنابل حنطة اي ثلاثة اكياس كبيرة من القمح ، وتتراوح المساحة بين ٣٠-٣٥ دوغماً، وتسمى هذه المساحة (الجرد) .

أما بالنسبة للذرة، وهي محصول صيفي فمساحتها تقارب ٥, ١ هكتار، اي مساحة بذار (نصف شنبل ذرة) اي نصف كيس من الذرة .

وتبدأ الحراثة عادة فور سقوط الأمطار الأولى، وتروى الأرض في إبان شهر

تقريباً، بعد سقوط تلك الأمطار، ثم تروى الأرض في فصل الربيع وقبل موسم الحصاد، أما بالنسبة للأرض المزروعة بالذرة البيضاء فإنها تروى الى أوائل الخريف .

توزيع الناتج:

كل نصبة تروي سهماً من الأرض، وناتج كل سهم يقسم الى عشرة أقسام، توزع على الشكل التالي:

- أصحاب الثيران: أربعة بيوت لكل بيت سهمان .

- الساقى: سهم واحد .

- صاحب الأرض: سهم واحد .

صيحة العدة:

يضبط الوقت بواسطة الساعة الشمسية، وهي عبارة عن عصا من الخشب منتصبة فوق الأرض، وحولها نصف دائرة مقسمة الى خمسة أقسام متساوية، وفي كل قسم عدد صغير، والمسافة التي تقطعها الشمس بين كل عددين تقدر بساعتين، وتسمى وردية، وعند انتهاء الورديات ترفع راية بيضاء على رأس عمود على حافة جرف النهر، ويصيحون هاه . . عيني، عيني ويردد الرجال في جميع مواقع النصب على ضفتي نهر الفرات شامية وجزيرة النداء نفسه، حيث يخلد الناس جميعاً الى الراحة، وتناول طعام الغداء لمدة ساعتين .

الشدات:

وهي مناوبة العمل كل ساعتين تقريباً، إذ تربط الثيران للنصبة بمعدل ثور واحد لكل بكرة، وتقسم المدة الى سبع شدات، ولها تسميات (الصيحة، الثانية، الثالثة، السكرانة - وهي وقت الظهيرة - الخامسة، السادسة، السابعة - ويطلق عليها التشجيلة - إذ يتم بعدها الانصراف الى البيت للراحة والنوم، ويطلق احياناً على الشدة السادسة اسم «العصرية» لتوافقها مع فترة العصر) .

طريقة عمل النصبة:

للدلو ردن يربط طرفه بنطاق رفيع من الجلد موصول بالمغزل وعندما يمشي الثور يلف النطاق على المغزل فيرفع الردن في طرف الدلو، ويصب الماء من الدلو تلقائياً وبشكل آلي، ثم يرجع الثور، فيرجع الردن الى سد فوهة الدلو من جديد ليحمل الماء، وهكذا . .

ومن الطريف أنهم يضعون في البكرة فحم نبات الغرب مع قطرة من السمن كيلا يتآكل الخشب من الدوران والاحتكاك الذي يولد حرارة عالية ، فهو بمثابة الشحم (الكريز) الذي يستعمل لعجلات السيارة .

الغلات الرئيسية :

- الغلة الرئيسية هي الذرة البيضاء ، ولها ثلاثة أنواع :
- الذرة العكيسة : وهي طويلة وذات عرنوس كبير .
- الذرة الهويرية : قصيرة وعرنوسها متوسط الحجم .
- الذرة العضد : وهي منحنية الى الأسفل على شكل باكورة ، ولها عرنوس كبير .

كما كانوا يزرعون القمح والسمن والخضار .

مواعيد الزراعة :

عندما يدخل شهر تموز تبدأ زراعة الذرة ، أما القمح ففي الشتاء وهو قليل جداً ، وكانوا يقولون إذا زرعنا الذرة في شهر حزيران ولو ليوم واحد فإن الموسم سيكون قليلاً .

وهكذا تكون السقاية في شهر تموز وآب وأيلول ، وبعدها تقطع السقاية ويقولون (شجلنا) أي توقفنا عن السقي ، وهناك علاقة وثيقة جداً بين النصب والذرة ، فعندما يذكرون الذرة البيضاء يذكرون النصب ، فكأنما وجدت النصب من أجل الذرة فقط .

الروش :

وهي المنطرة التي يطردون الطير من فوقها بوساطة (المجلاع) أي المقلاع وتبنى الروش على أربعة أعمدة عمودية مغروسة في الأرض .

أغاني النصب :

أغاني النصب قريبة للنثر أكثر من قربها للشعر فأغلبها بدون قافية والظاهر أنها كانت للتسلية وتضييع الوقت .

- يمولون الجرد يغني ، والمغني الله

- حمرة الذرى ماجابها النوامي

يجيبها غراب غارب المنامي

- حليلي مبسمح والعين

ودق بصدرج
- على كريدج تهرجنا
بنسية ياواردة إردى كبلنا
على الموح جيلنا بفي الغرب
- أسود بعيني، (وقد يقال أحمر بعيني، أو أصفر بعيني وذلك حسب لون
الثور).

عليهم رمدن عيوني
وجثرن ظنوني .
وللنصبة صوت حزين يشبه صوت الناعورة، ولكن صرير النصبة متقطع وقابل
للشد والارتخاء، فيعطي لحناً تستسيغه المسامع .
ولقد كتب الأستاذ محمود الذخيرة قصيدة شعبية بعنوان النصبة، ومنها:
أني وياج يانصبة نغني يحلي ونايل
وطيور الططو تنغط عننج ما يذكرها
بكثر شوكي
ورفة جناحها المكسور تشيل الهم من فوكي
وتخايلني خيال الجوع وأشد الحيل
تخايلني سراب الخوف وأشد عالخيل
تخايلني خيال الشوك وأشوف سهيل
واشكيلو
وفي عام ١٩٥١ أو ١٩٥٢ سكت صوت آخر نصبة في الرقة، وهي نصبة صلال
البرجس في كسرة عفنان .

المراجع:

- ١- الفارس: أسعد، شعب ومدينة على الفرات الأوسط، دار الفلاح، لطباعة والنشر، دمشق، سورية،
الطبعة الأولى عام ١٩٩٣ م.
- ٢- شارل: هنري، عشائر الغنامة في الفرات الأوسط، ترجمة الدكتور مسعود ضاهر، مطبوعات المعهد
الفرنسي للدراسات العربية عام ١٩٩٧ م.

- ٣- بحث قدمه لي بخط يده الباحث في التراث الرقي الأستاذ محمود الذخيرة عام ١٩٨٢ م .
- ٤- بحث قدمه لي بخط يده الطالب - حينذاك - أحمد فيصل حمادة ، من طلاب ثانوية عمار بن ياسر عام ١٩٨٢ م . وقد استقى معلومات بحثه من الحاج ابراهيم الحمود الذي كان يصنع النصبات ، وكان عمره في تلك السنة يقارب ١٢٠ سنة .

أساليب الري الحديثة

دراسة وإعداد:

المهندس أحمد سليمان الأحمد

تنفيذاً لقول السيد الرئيس حافظ الأسد :
" ولنرتق بعملنا كي نستفيد من كل قطرة ماء ، تنبع من أراضينا ، أو تمر أو تسقط
فوق أراضينا "

أساليب الري الحديثة

ملخص البحث

الاحتياجات المائية للنبات « طرق حسابها وأساليب تطبيقها » :
قبل الدخول بطرق الحساب للاحتياجات المائية يجب أن نعرف العلاقة بين
« الأرض والنبات والماء » وما يحيط بهما من عوامل البيئة الأساسية وبمعرفتنا لهذه
العلاقة المتشابكة نستطيع أن نتحكم بفن إدارتها من خلال الطرق والأساليب الحديثة
والحدثة في هذا الجانب من الإدارة يتطلب من الإنسان ان يدرك حقيقة أمرها
والوقوف على صفاتها وسلوكها وبالتالي التحكم بظروفها لم لا ؟ . . . وهو المخلوق
الوحيد من بين المخلوقات الاخرى الذي علمه جل جلاله : ما لم يعلم .
فإذا كانت الأرض « كائن حي » فالنبات كائن حي أيضاً وإذا كان الماء هو الحياة فإن
هذه العلاقة تصبح كعلاقة « الأم بالطفل وحليبه » لهما نفس القدسية ، بالرغم من
اتساع المكانة للأرض الذي حط عليها الانسان منذ مليون عام تطعمه ، وتكسيه ،
وتأويه في حياته وبعد مماته ، إذ منها خلقنا وإليها نعود .
مما تتقدم علينا أن نختار وبدقة طريقة وأسلوب الحساب بما تحتاجه « وما عليها » من
ماء الحياة ، فلا ننظر اليها كما ينظر اليها الفسيولوجي في المخبر ، ولا ننظر اليها كما
ينظر المهندس الى أنها جيلة اسمتية ، وحتى لانشير جدلاً حول هذا الموضوع يجب أن
نستخدم الأسلوب العملي والعلمي في الحساب ، وهكذا ومن هنا يجب أن ننطلق :
الاحتياج المائي « البخر - نتح » = البخر من سطح حر × معامل الاستهلاك المائي
مطروحاً منها المطر الفعال + الماء المتاح في التربة أصلاً .
وبذلك حددت الشركات الدارسة لمشاريع الفرات الاحتياج المائي

بـ ١٨٠٠٠ م ٣/ هـ أرض / سنة / إجمالي ، وفي دراستنا وبناء على المعادلة أعلاه كانت النتائج كما يلي :

١- الري الصافي ١١٢٩٣ م ٣/ هـ / صاف - / أرضي / - سنة واصل للنبات .
٢- الري الإجمالي ١٧٣٧٤ م ٣/ هـ / إجمالي - / أرضي / سنة - من المصدر الرئيس نهر الفرات مثلاً .

٣- وبنفس الطريقة استطعنا حساب الاحتياج المائي المحصولي للصيفي «القطن» مثلاً ١١٩٩٨ م ٣/ هـ / قطن / موسم / صاف .

والمحصول الشتوي «القمح» مثلاً ٥٣٢٧ م ٣/ هـ / قمح / موسم / صاف .
وهنا لابد من معرفة أن النبات لا يستخدم إلا ٣/٢ هذه المياه الواصلة الى النبات .
الباقى يبقى في جوف الأرض أو يرشح الى المصرف وهو يشكل بين ٢٠-٣٥٪ من الماء الواصل الى الحقل ، " المياه الجوفية - مياه الصرف الزراعي " .

ومن هنا يجب أن لا نستخدم في حساب الاحتياج المائي للنبات خطأ «التدفق المستمر» مثلاً «لتر/ ثا/ هـ» والبالغ في الدراسات ٣٧٥ ، ١ لتر/ ثا/ هـ ، الذي يستخدم في تصميم مقطع قناة وحساب تدفقها ، بالرغم أن بينه وبين الاحتياج المائي علاقة دراسية ، لابد من استخدام «العامل المائي» فتحة الري أي «الفجرة» الذي يجب أن لا يقل عن ٢٥ لتر/ ثا ، مهما صغرت المساحة .

وفي مجال تطبيق هذا الاحتياج نضرب مثلاً «مشروع بئر الهشم أ» الذي استجر ١٤٥ مليون م^٣ تقريباً لمساحة ١٠٠٢٥ هـ واصله الى المشروع «المحطة الرئيسية» في موسم ١٩٩٢/ ١٩٩٣ وبما أن المشروع يبعد عن المصدر الرئيسي ٥٠ كم تقريباً ، وهذا التوصيل فيه فواقد تقدر بحدود ١٠ - ١٥٪ فيكون الناتج :

$145 \times 10 / 100 = 14,5$ مليون م^٣ في السنة يجب أن تضاف : $14,5 + 145 = 159,5$ مليون م^٣ سنة ، وعليه $159,5 / 10025 = 15870$ م^٣ هـ / سنة - / أرضي - إجمالي ، يجب أن يؤمن من المصدر الرئيسي «بحيرة الأسد» وهذا الرقم قريب من الدراسة النظرية الميئة أعلاه .

حيث حققت الكفاءة النظرية المدروسة والبالغة ٦٥٪ ضمن المعطيات التالية :
- الري بالراحة ومن ثم بالرفع «الضخ» ضمن المشروع . " ثلاث درجات من الرفع "

- الري الحقلي وضمن الحقول استخدم فيه طريقة الري الحوضي .
- ماء الري في هذا المشروع عادة ، تكون دقيقة لوجود عدادات تشغيل في محطة الضخ ، وقد استخدم لهذا الموسم بدقة ٧٨٩٢ / ساعة ضخ / مجموعة / ٣٥٠١ / ثا . «طاقة المجموعة الواحدة» .

الموارد المائية وأساليب استغلالها :

أ- في الوطن العربي : يركز الإنتاج الزراعي في الوطن العربي بصفة أساسية على الموارد «المائية المتاحة» وتحت هذا الاعتبار تعتبر قليلة ، ولا تغطي الاحتياج المائي المطلوب ، مما يشكل عجزاً مائياً واضحاً وبالتالي عجزاً غذائياً ، مما يخلق اضطراباً في معادلتني «الأمن المائي» وتوءمة «الأمن الغذائي» ونظرة سريعة الى الخارطة المائية لوطننا العربي الكبير نرى :

- بلغت الموارد المائية السطحية من تصرفات الأنهار والوديان فيه ، بحدود ١٦٤ مليار متر مكعب في السنة استغل منها حتى عام ١٩٩٠ بحدود ١٣٩ مليار متر مكعب في السنة يضاف الى ذلك حوالي ٩ مليار مياه غير تقليدية فيصبح المجموع حوالي ١٧٣ مليار متر مكعب في السنة . هذا إذا علمنا أن المخزون المائي للوطن العربي بحدود / ١٠٣٠٠ / مليار م^٣

- بلغ متوسط الهطول فيه حوالي ٢٢١٣ مليار متر مكعب في السنة .

ب- في القطر العربي السوري : كما في الوطن العربي يركز على الموارد المائية المتاحة فقط ، وحسب الاحصائيات الرسمية حتى عام ١٩٩٠ ، بلغت الموارد المستثمرة ٤ ، ٦ مليار متر مكعب في السنة منها ٧٣٤ ، ٤ مليارات متر مكعب موارد مائية سطحية و ٦٦٦ ، ١ مليار متر مكعب موارد مائية جوفية .

فيما المياه المتاحة ، يمكن إجمالها بمايلي :

* المياه السطحية التقليدية المتاحة ومن الأنهر دائمة الجريان بلغت ١٨ ، ٧٧٥ مليار متر مكعب من المفروض أن تروي بحدود ٠ ، ٤٣ ، ١ مليون هكتار زراعي «بما في ذلك حصة القطر من مياه دجلة» .

* المياه السطحية التقليدية من مياه الأمطار والبالغة ٤٦ مليار متر مكعب في السنة ، والمتاح من هذه الكمية حوالي ١١ ، ٥ مليار متر مكعب في السنة أي بنسبة ٢٥٪ وهي نسبة متواضعة . " يمكن رفعها إلى ٢٠ مليار م^٣ في السنة "

* المياه المتاحة الجوفية التقليدية والبالغة ٧,٥ مليار متر مكعب في السنة «المخزون الحالي».

* المياه المتاحة السطحية التقليدية من الينابيع والبالغة ٣ مليارات متر مكعب في السنة «حاليا».

* المياه السطحية غير التقليدية «مياه الصرف الزراعي» والبالغة حالياً حوالي ١,٠٨٠ مليار متر مكعب في السنة، يمكن تنميتها في المستقبل الى ٢-٤ مليارات متر مكعب في السنة وفي المتوسط حوالي ٢,٥ مليار متر مكعب في السنة. "محطات معالجة"

* والمياه العادمة الناتجة عن الصرف الصحي في محافظات القطر والبالغة حالياً بحدود ١,٣ مليار متر مكعب في السنة.

* المياه الوافدة من سهل الأناضول سواء السطحية منها أو الجوفية والتي لا يمكن تقديرها في الوقت الحالي «قيد الدراسة»، "كنهر الجلاب حالياً والمياه الجوفية الوافدة مستقبلاً"

وبذلك فإن موقف المياه الإجمالية المتاحة حالياً تقدر: "وبكل تواضع"

$$٤٣,١٥٥ = ١,٣ + ١,٠٨٠ + ٣ + ٧,٥ + ١١,٥ + ١٨,٧٧٥$$

مليار متر مكعب في السنة، ويمكن أن يصل هذا الرقم حتى الـ ٥٠ مليار متر مكعب في السنة في المستقبل، ومهما يكن فهي تكفي لزراعة حوالي ٢,٥ مليون هكتار زراعي. "أي ضعف المساحة المروية في القطر حالياً"

مما تقدم نستطيع القول اننا لانستغل من هذه الموارد المتاحة والبالغة حوالي ٤٣ مليار متر مكعب في السنة بحدود ٦,٤ مليار متر مكعب مستثمر في السنة حتى عام ١٩٩٠ أي حوالي ١٥٪ وفي أحسن الظروف لاتتعدى النسبة ٢٥٪ حتى الآن.

وفي ضوء هذه الحقائق ومن منطلق الاستيعاب الكامل لأبعاد الوضع المائي لآبد من التفكير جدياً، في الكيفية التي يجب أن تدار بها مواردنا المائية وخاصة المستخدمة في القطاع الزراعي ويتمحور هذا التفكير في العناصر التالية ووفق الأساليب الإدارية الحديثة:

أولاً: في إدارة المياه والمسطحات المائية وأسلوب تطبيقها:

١- التقليل من البخر الطبيعي والبالغ ٢٠٤٣٠ م٣/هـ/ سنة وفق الأساليب الحديثة

كالقطع البلاستيكية الثابتة أو الطافية ، والمواد الكحولية التي تكون نفوذة للأوكسجين وغير مؤذية للإنسان والكائن الحي . " كأسلوب متبع في كثير من الدول المتقدمة في هذا المجال "

٢- رفع كفاءة توصيل شبكة الري بما يحقق كفاءة التوصيل المدروسة والتي يجب أن لا تقل عن ٨٥٪ .

٣- رفع كفاءة الري الحقلية بما يحقق كفاءة الري المدروسة والبالغة ٦٥٪ .

٤- إعادة استخدام المياه غير التقليدية «مياه الصرف» بواسطة طريقة «الخلط» أو باتباع نظام «الري والصرف المغلق» . والاستفادة القصوى من ماء البيئة البالغ بين ٢٠ - ٣٥٪ .

٥- اجراء التدريب المستمر للعاملين في تشغيل المشاريع والتركيز تعليمياً على الري والصرف في الكليات والمعاهد .

٦- اجراء الصيانات الدورية والطائرة لشبكتي الري والصرف بما في ذلك «الصرف الجوفي» أو «الصرف العمودي» .

٧- وضع أجهزة التحكم بالتشغيل موضع التنفيذ وخاصة فيما يتعلق بأجهزة «قياس التدفقات» في شبكة الري ، واستخدام التكنولوجيا الحديثة والمتطورة في إدارة مشاريعنا المائية العملاقة مثل الحاسوب أو أي وسيلة أخرى أو أسلوب يحقق ترشيد استخدام المياه .

٨- استقبال المياه الوافدة من سهل الأناضول بروح علمية بعد دراستها . " السطحية والجوفية "

٩- إصدار التعليمات والتشريعات المائية القطرية والخاصة بالتشغيل والصيانة والري ومراقبة تطبيقها بدقة من قبل الإدارة .

ثانياً : في أسلوب إدارة الأرض الزراعية :

١- التعرف على الصفات الفيزيائية والكيميائية للأراضي الزراعية وتطويرها باستمرار .

٢- اجراء العمليات الزراعية المطلوبة في الوقت المناسب من فلاحات وإجراء التسوية الدقيقة باستمرار .

٣- اعطاء المقتن المائي المطلوب وتحقيق التوازن المائي في الأرض لخلق علاقة

- «أرضية مائية نباتية» متوازنة مع السعة الحقلية .
- ٤- إعطاء المقتن السمادي «آزوتي-فسفوري-بوتاسي» بموجب تحاليل مخبرية دقيقة . وقيام الوحدات الإرشادية بدورها التطبيقي وعلى أرض الواقع .
- ٥- تطبيق الدورة الزراعية وفق العائلة المحصولية .
- ٦- تكوين الأرض الزراعية تكويناً «دوبالياً» وذلك بإضافة الأسمدة البلدية وبقايا المحصول وعدم حرق المحصول وقد تبين بالتجربة أن هذا الأسلوب يوفر بين ٢٥-٥٠٪ من ماء الري الحقل ، وفي ظل أي طريقة من طرق الري .

ثالثاً : في أسلوب إدارة النبات المزروع :

- ١- اختيار المحاصيل ذات العائد الاقتصادي مع المحافظة على المعادلة السعرية بين هذه المحاصيل ، وتحديث أسلوب التسويق بما يكفل الاستقرار الإنتاجي لدى المستثمر «رأس الإنتاج» . وخاصة للمحاصيل الاستراتيجية .
- ٢- إدخال المحاصيل ذات التخصيب العالي في الدورة الزراعية . كالقول وفول الصويا والبقيلة .

- ٣- الاعتناء بالغابات والمسطحات الخضراء . والمحافظة على الغطاء النباتي وخاصة على ضفاف المسطحات المائية .
- ٤- إعطاء المقتن المائي لكل محصول حسب احتياجه المائي المطلوب خلال موسمه . " ماء التكوين وماء البيئة " .

- ٥- تطوير أساليب مكافحة الحديثة وخاصة «الحيوية» منها .

رابعاً : في أساليب الزراعات البعلية :

- ١- رفع نسبة الاستفادة من الهطول السنوي وذلك بالحد من الجريان السطحي والبخار الطبيعي «تكثيف السدود السطحية» ووضع شعار «كل نقطة ماء تسقط يجب أن تبقى في مكان سقوطها» ، والاستفادة من حزام الساحل في هذا المجال .
- ٢- إدخال البقوليات في الدورة الزراعية البعلية مثل «النفل» ، كما في تجربة أستراليا .

- ٣- المحافظة على النباتات الرعوية في البادية وتطوير أساليب تربيتها .
- ٤- إجراء الخدمات من فلاحة وغيرها في الوقت المناسب ومن أحزماتها الخاصة بها .

٥- مكافحة التصحر والحد منه والاستعانة بالمنظمات الدولية والعربية في هذا المجال ووضع خططتها موضع التنفيذ الفعلي .

خامساً : في طرق الري وأساليب اختيارها وممارستها وتطبيقها :

من المعروف أن تعميم شبكة الري والصرف في مشاريعنا العملاقة تم باتباع الطرق السطحية بالري «الغمر- الحوض- الخطوط . . . الخ» وذلك بدراسة كل طريقة ضمن الأرض الزراعية والمحصول المزروع في الدورة الزراعية ، ومهما يكن الأسلوب المتبع جاء ضمن محدودية اقتصادية- زراعية- عملية- علمية ، ضمن القاعدة التالية :

الوفاء باحتياج الأرض والنبات ، وتأمين المقنن المائي المطلوب مع المحافظة على «الأم» وهي الأرض الزراعية ، فسيولوجياً وحيوياً وبالتالي الحصول على إنتاجية زراعية تتفق والهدف الاقتصادي لمشاريعنا المروية ، وخاصة المستصلحة منها ، بحيث يتطور ويتنامى هذا المفهوم ضمن بيئتنا المحلية .

ومهما تكن الطريقة المختارة في الري . يجب أن لاننسى الوفاء بالاحتياج المائي للأرض والنبات أولاً ، ضمن اقتصاديات الري المطبقة على أرض الواقع ، من جهة والعوامل البيئية من جهة أخرى . وحتى لا يفوتنا ذكر طرق الري المنادى بها مؤخراً كالري بارش والري بالتنقيط . . . إلخ فلا بأس من تطبيقها وضمن محدودياتها في تأمين الاحتياج المائي للأرض والنبات ، وبنظرنا يبقى استخدامها محدوداً وليست هي الحل النهائي في ممارسة الري ، وهذا الاستخدام المحدود لها يكون نسبي . الري بالرش مثلاً وفي ظل بيئتنا المحلية لا يستخدم إلا في الري التكريري وتحديدًا للمحاصيل الشتوية . وكذلك الري بالتنقيط الذي يمكن استخدامه في الزراعات المحمية وبعض الزراعات الشتوية . وكذلك الري بالتنقيط الذي يمكن استخدامه في الزراعات المحمية وبعض الزراعات الشجرية . ومهما يكن المنطق فإن هذا الطرق لاتخلو من عيوب أهمها تدهور التربة التي هي أهم من أي اعتبار آخر .

وتطبيقاً لما تقدم نستطيع القول :

* بينت الدراسات : أن معدل استهلاك الفرد العربي اليومي على النحو التالي :

١٤٠ ليتراً للشرب والأغراض المنزلية : أي بنسبة ٧٪

٦٠ ليتراً لأغراض الصناعة : أي بنسبة ٣٪

١٨٠٠ ليتراً لأغراض الزراعة : أي بنسبة ٩٠٪

والمجموع ٢٠٠٠ لتر/ يوم
وبصورة أعم: بين ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ لتر/ يوم وهذه تعادل:
٧٣٠ - ١٠٩٥ م٣/ سنة للفرد ولجميع الاستعمالات.
وبمتوسط عام ٩١٢,٥ م٣/ سنة للفرد ولجميع الاستعمالات.
منها: للاستخدام الزراعي: ٨٢١ م٣/ سنة/ فرد / ٩٠٪.
وللاستخدام المنزلي والإنساني والصناعة ٩٢ م٣/ سنة/ فرد / ١٠٪.
* بينت الدراسات الزراعية في مشاريع الفرات وفي ظل البيئة السورية وفي تحويل الأرض من كيان ميت الى كائن حي «حسب المفهوم العلمي لاستصلاح الأرض» أن الهكتار يحتاج الى ١٨٠٠٠ م٣/ هـ/ سنة/ أرضي / إجمالي، والصافي الواصل للحقل أو النبات ١٤٠٠٠ م٣/ هـ/ سنة/ أرضي / صاف، وبكفاءة ري ٦٥٪ أي بمتوسط ١٦٠٠٠ م٣/ هـ/ أرضي / إجمالي حسب الواقع الحالي "معامل الاستهلاك المائي".

* بفرض أن عدد سكان القطر العربي السوري عام ٢٠٠٠ سيكون حوالي ١٨ / مليون نسمة وان النمو السكاني المتوسط ٣,٣٪ وبفرض ان هذا النمو حافظ على نفسه خلال النصف الأول من القرن القادم وبقي بحدود ٣٪ مثلاً سيكون سكان القطر السوري ٧٤ / مليون نسمة أي نهاية عام ٢٠٠٥ م، ومن يدري قد يتضائل النمو السكاني في القرن القادم، وقد يصبح هذا النمو "صفرًا" الله أعلم..

* بينت الدراسة أن موارد القطر العربي السوري التقليدية وغير التقليدية المتاحة هي بحدود ٥٠ مليار متر مكعب في السنة وهي في حكم المتيسرة والمتجددة، يمكن تقسيمها إلى مايلي:

١٠٪ في الاستخدام المنزلي والإنساني والصناعة: «حالياً».

٩٠٪ في الاستخدام الزراعي: «حالياً».

وفي القرن القادم من المتوقع أن تكون: «مستقبلاً».

١٥٪ في الاستخدام المنزلي والإنساني والصناعة: "نتيجة التقدم الصناعي".

٨٥٪ في الاستخدام الزراعي، "نتيجة التقدم الزراعي".

وفي الاحتمال الأول أي استخدام نسبة ١٠٪ - ٩٠٪ ينتج:

٥٠ مليار م٣ × ١٠٪ = ٥ مليار م٣ للاستخدام الإنساني.

٥٠ مليار م $3 \times 90\% = 45$ مليار م للاستخدام الزراعي .
وبناءً عليه :

- ١- كمية المياه م 3 / احتياج الفرد م $3 = 5$ مليار م $3 / 92 = 54$ مليون نسمة «فرد» .
- ٢- كمية المياه م 3 / احتياج الهكتار م $3 = 45$ مليار م $3 / 16000 = 3$ م $3,8 = 2$ مليون هكتار .

وفي الاحتمال الثاني أي استخدام نسبة $15\% - 85\%$ ينتج :
٥٠ مليار م $3 \times 15\% = 7,5$ مليار م للاستخدام الانساني .
٥٠ مليار م $3 \times 85\% = 42,5$ مليار م للاستخدام الزراعي .
وبناءً عليه :

كمية المياه م 3 / احتياج الفرد م $3 = 7,5$ مليار م $3 / 92 = 81,5$ مليون نسمة .
كمية المياه م 3 / احتياج الهكتار م $3 = 42,5$ مليار م $3 / 16000 = 3$ م $3,5 = 2$ مليون هكتار .
* مما تقدم نرى أن الميزان المائي في القطر العربي السوري بأحسن حال مهما كان
الظرف البيئي وفي ظل أي احتمال مستقبلي في القرن القادم بشرط الاستثمار العلمي
والعقلاني لهذه المياه ضمن برامج وخطط متوازنة قطرية ومحلية وأن نبتعد عن
الصراخ والشكوى الدائمة في الترشييد والهدر والطفرة السكانية والفجوة
الغذائية . . . الخ .

وحتى لا يبقى مفهوم «الأمن المائي وتوئمة الأمن الغذائي» مجزأً ومضطرباً من
قرن الى قرن وفي أحضان الزمن ، وفي العقلية الأنانية لبني البشر .
وحتى تتوازن أطراف المعادلة في العقل العربي عموماً وفي عقلنا على الأقل في
التطبيق والتنفيذ والممارسة وحسن الأداء وانطلاقاً من الواقع لابد من تطبيق قول
السيد الرئيس : «ولنرتق بعملنا كي نستفيد من كل قطرة ماء ، تنبع من أراضينا ، أو تمر
أو تسقط فوق أراضينا» .

وفي النهاية وحتى لا يبقى الخوف يسيطر علينا ، وخاصة في القرن القادم " قرن
العولمة " وحتى لانزرع الفزع في ذهن أحفادنا ، لابد لنا من إيراد الاقتراحات
المستقبلية وبعد استفاد مواردنا المتاحة كاملة :

١ - علم الله جل جلاله ما لم يعلم ، ووضع ابداعه في أدق مخلوقاته " الخلية
النباتية " فمن آلية عملها يمكن للإنسان أن يقوم بتحلية مياه البحر

"نظرية التناضح العكسي" لاسيما أن الله سبحانه وتعالى وهب الوطن العربي حدوداً مائية من كل جهاته .

٢ - من يدري قد تتدخل "هندسة الوراثة" للمساهمة في حل هذه المشكلة ، عندما ينتج العلماء نباتات تتحمل الملوحة المرتفعة في الماء "الصينيون بدأوا يستخدمون هذه الطريقة الآن" .

التركيز على استثمار المياه الجوفية والسطحية على ساحلنا السوري ، ذلك المورد المائي المنسي .

وأخيراً لماذا لا نشغل عقولنا بدلاً من السنتنا ونسلح بالعلم وبالعلم وحده لحل كل مشاكلنا المائية والمطلوب فقط : أن نبتعد عن الصراخ والشكوى . ولمن نشكو ونحن المسؤولين ، ولماذا نتهم الماء ونحن الطين والماء .

تطور الحركة الأدبية

بالرقة في

العصر العباسي

بقلم الدكتور علي الشعبي

تطور الحركة الأدبية بالرقعة في العصر العباسي

حين نريد وضع دراسة لتطور الحياة الأدبية في مدينة ما، فإن هذا يعني أننا أمام دائرة كبيرة ومتنوعة، وأمام مساحة فكرية واسعة متعددة الاتجاهات، التي ربما كانت متناقضة أو منسجمة.

إن الحياة الفكرية مرتبطة بالإنسان ومدى تطوره، ومن أهم مافي هذا التطور اللسان، فاللسان هو الإناء الذي يحمل الإرث الفكري الماضي والحاضر، وهو الذي يستشف المستقبل كذلك.

وبقدر ما يكون هذا اللقاء قوياً قادراً على حمل المعاني، تكون الحياة الفكرية راقية قادرة على البناء الحضاري.

ولاشك أن الوسط الرقي في العصر العباسي كان نتيجة لتطور مجموعة حيوات سبقت من قبل الميلاد إلى الفتح العربي، إلى عهد بني أمية إلى العهد العباسي، وقد اثمرت الجهود الانسانية في هذا الوسط مجموعة معطيات واقعية، فكان جميلاً جداً في طبيعته، كان جميلاً جداً في تاريخه البشري، كما نال اهتمام الملوك والخلفاء، ونمت فيه عدة عوامل أدت إلى وجود مجموعة لا بأس بها من رجال الفكر من أدباء وعلماء، وشعراء، ومؤرخين، ومحدثين وفلكيين.

في الرقة التقت الحضارات اليونانية، والبيزنطية، ثم كان الفتح العربي الإسلامي وظهور الحضارة العباسية الإسلامية، وكان الحاصل مزيجاً جميلاً في كل منحى من مناحي الحياة.

ومنذ وقت مبكر جداً ظهرت في الرقة مدرسة الحديث النبوي منذ أيام العهد الراشدي، حين نزلها بعض الصحابة وكثير من التابعين ونالت قسطاً لا بأس به من اهتمام الأمويين، فظهرت فيها رقة واسط، وظهرت فيها مجموعة من الأسواق حيث كان سوق هشام، وسوق الأحد الذي يشبه إلى حد ما سوق المربد في البصرة.

ولجمال الطبيعة في الرقة وكثرة خيراتها ومياهاها ، سكنتها عدة قبائل عربية منذ أن كان الفتح الى مجموعة هجرات مضرية متتالية كانت ترد اليها إما من الشام ، وإما من العراق ، ولاسيما من الكوفة وباديتها ولذا سميت ديار مضر ، مضر الحمراء ، ومر الدهر ومضت مضر ومازالت الحمراء .

وابتسمت الأيام للرقة في العصر العباسي ، حين بنى فيها أبو جعفر المنصور الرافقة سنة خمس وخمسين ومئة للهجرة ، وعاش فيها الرشيد مدة زمنية اميراً شاباً في قصري الهني والمري من رقة واسط ثم خليفة عظيماً .

ولو اتيح لي من الفراغ ما يكفي لكان بالإمكان دراسة الواقع التاريخي والاجتماعي ، والتطور الاقتصادي لحاضرة بني العباس الثانية الرقة ، ولكان بالإمكان الوقوف أمام العديد من الأدباء والشعراء والمفكرين الذين نزلوا الرقة ، أو ظهوروا فيها ومنها وكثرة الحاصل والإرث الأدبي يستطيع الباحث تقسيمه الى عدة مدارس وانتماءات فكرية ، فقد كانت الرقة ملاذ الكثير من هؤلاء المبدعين .

وكل واحد من هؤلاء الشعراء أو الادباء أو المؤرخين أو العلماء أو الفلكيين أو الباحثين الذين لم يكونوا رقيين ممن رعتهم الرقة واحتضنتهم لا يمكن له أن ينسلخ عن بيئته الأولى التي أثرت في تكوينه العقلي وفي أسلوبه ، ودرجة عطائه ، ولكنهم جميعاً الذين ولدوا فيها ، وفيها عاشوا وماتوا واولئك الذين كانوا يفدون اليها - وهم كثر جداً - تأثروا بها وطبعتهم بسماتها .

وكان لها سلطان عليهم ، وكان نتاجهم الفكري على اختلافه الصورة الواقعية للحياة الفكرية والطبيعية والديمقراطية ولاشك ان دراسة كل الحيوانات في بيئة الرقة ، تساعد على فهم الحياة العقلية والحياة الادبية ، وإذا أدركنا ان الادب شكل من اشكال الفن فإن دراسة كل الظواهر الفنية أمر ضروري لأنه القاعدة الأوسع للفن ، ومنه نخلص الى الأدب .

ولكن هل نستطيع ان نفعل هذا في محاضرة او في فصل ينشر في كتاب؟! . . .
بالتأكيد لانستطيع ، غير انني كنت قد أخذت عهداً على نفسي منذ بداية شبابي ان اكتب عن اديب ، او شاعر ، او عالم ، او مؤرخ ، أو فلكي من الرقة ، فأصدرت سلسلة من هذه الدراسات تناولت ربعة الرقي ، والبتاني الفلكي الرقي ، والقشيري ، مؤرخ الرقة ، ودرست الحياة الفكرية في الرقة وحران والرها وتطورها .

وإذا كان هذا البحث ينال منا هذا الاهتمام فإنني لا أنسى على الإطلاق ما قام به كبار الادباء والباحثين في مثل هذا الموضوع .
من طبيعة الرقة :

إذا كانت الجغرافيا هي التاريخ في شكل من أشكاله ، فإن جغرافية الرقة الطبيعية والديمغرافية كانت جميلة جداً ، وبيئة مناسبة للنشاط الفكري ، ففي جانب من الجغرافيا الطبيعية كانت الانهار كثيرة تضيف على الطبيعة جمالاً اخضر بما توفره من مياه تروي البساتين والكروم والزروع ، وقد تفرقت فيها الانهار من الفرات ، الى البليخ ، الى النيل ، الى الهني ، الى المري الى آخر ما كان فيها من انهار طبيعية وأخرى صناعية أضفت على الأرض خضرة وجمالاً في كل مكان فيها .

وفي مجال الجغرافيا الديمغرافية كانت الرقة ، والرقة السوداء (السمراء) ورقة واسط ، وكانت الرافقة ، الى جانب الضواحي حيث القصور والبساتين والأشجار . وكان النشاط البشري كثيفاً وموزعاً على يد سكانها من العرب وغيرهم ، فقد تحول جزء من العرب الذين سكنوها الى الزراعة وامتلاك الأراضي ، كما تحول جزء آخر منهم الى التجارة ، ولا سيما مع المدن والحوضر المنتشرة على ضفاف نهر الفرات ، ونهر الخابور والبليخ ، مما أدى الى تنشيط طريق الغراض (أو الفراض) الذي كان يخرج من الرقة الى قرقيسيا ، حيث ينقسم الى قسمين شمالي يصعد الى الموصل وديار بكر ، وجنوبي شرقي يمر بالرحبة وصولاً الى بغداد والكوفة والبصرة . وتحول قسم آخر منهم الى أصحاب مهن وحرف قاموا ببناء العديد من الأحياء والمدن والقرى ، وقام في الرقة سوق للصناعة اشتهر بمسماه العباسي «الكرخ» وهي كلمة مؤلفة من مقطعين فارسيين الأول (كار) والثاني (خانة) اختصر باسم الكرخ اي مكان العمل وقد ذكره ربيعة الرقي في شعره ، كما ذكره الصنوبري وغيرهما . ولو عدنا الى الأمكنة الرقية الأخرى ، فإنه من الصعب على الباحث أن يقطع بشيء تفصيلي من معالم الرقات الثلاثة البيضاء السوداء وواسط ومعالم الرافقة ، الدور ، القصور ، الضواحي .

فقد كانت القصور الرقية كثيرة منتشرة على مساحة واسعة من الأراضي وسط مياه وأشجار ومساحات من الخضرة ، وكان كثير من تلك الدور مكاناً لمناظرات العلماء والادباء ومسرحاً يلقي فيه الشعراء قصائدهم ، وطالما شهدت افنتها نشاطاً واسعاً

لهؤلاء الأدباء والشعراء .

كذلك كان دور كبير للمساجد المنتشرة في الرقة والرافقة ، حيث كانت مجموعة من المساجد الجميلة دوراً للعبادة ، وللعلوم والآداب الى جانب الأسواق المشهورة التي كانت تعقد فيها مجالس العلوم والأدب ، ومن طريف تلك الأسواق سوق كان يعقد على ظهر السفن في نهر الفرات حيث كانت تتعالى أصوات الملاحين والباعة والمتسوقين .

وأما انتماء المجتمع البشري فيه ، فقد كان عربياً مضرياً كما ذكر ، أغلبه من بني قيس ، وأسد ، وقريش كما كان فيها خليط من الجند العربي .
من هذا النسيج العربي المضرى والربعي خرجت طبقة من الأدباء العلماء والشعراء والمؤرخين العرب الى جانب كثير من الموالى اشتغلوا بالحديث والتفسير .
ومن أشهر بني قيس الذين كانوا بالرقة بنو سليم ، واليهم كان يشخص الشاعر اشجع السلمي قادماً من البصرة .

عوامل تكوين الحياة الأدبية في الرقة

شتى هي العوامل التي ساهمت في تكوين الحياة الأدبية في الرقة ، ويمكن الوقوف عند هذه العوامل ، إذا رجعنا الى التحليل اللازم لعملية الإبداع في الفن ، والأدب جزء من هذا الفن .

فالأدب شكل من أشكال الفن ، والفن ابداع ، والأدب نشاط فكري يجسد وعي الانسان وصلته بالحياة من حوله ، وكان ابداع الله تعالى في صنع الانسان ، وكان الانسان منفرداً بالعقل والشعور عن سائر المخلوقات ، ويمكن تلخيص عملية الإبداع الفني ، بأنها حالة الانفعال والتفاعل بين الإنسان وبين العالم الذي يعيشه ، هو فكر وشعور ، وادراك جمالي .

ويرى هيغل ان الفن نابع من الانسان ، وان مادته هي الانسان بروحه وجسمه . .
والحياة هي مصدر الفنون جميعاً ، لذلك كان الفكر والإحساس شرطين ضروريين لكل فن صادر عن الحياة؟! ونتيجة للتوازن النفسي والفكري عند من اتسم بعمل الوعي ورهافة الشعور والإحساس يأتي الفن ويأتي الأدب من ذلك الفن .

وفي مدارس التفسير النفسي للأدب ، الفنان حين يبدع ، يكون في حالة من الصحة واليقظة النفسية الواعية لكل ما في الواقع من حقيقة حتى لو سبقته حالة

المعاناة القاسية ، تلك المعاناة التي ربما كانت السبيل الى الوحي ، أي الابداع ، وكأن الابداع قدرة لاخضاع تلك الآلام ، فلولاً الآلام ماكان الوحي ، أي الابداع .

فتكون عوامل تكوين الفن ، هي :

١- وعي الانسان وصلته بالحياة من حوله .

٢- الانفعال والتفاعل بين الإنسان وبين عالمه الذي يعيش فيه .

٣- الفكر والشعور وإدراك الجمال .

٤- الإحساس بالحياة ، ورهافة الشعور .

٥- الصحة النفسية الواعية .

٦- الآلام الناجمة عن المعاناة القاسية .

وقد نجم عن هذه العوامل مجموعة من السمات التي كانت في الرقة ، يمكن النظر اليها من خلال :

١- وعي الادباء في الرقة بالحياة من حولهم .

٢- انفعالهم وتفاعلهم بالبيئة الرقية التي عاشوا فيها .

٣- ادراكهم جمال البيئة والحياة من حولهم .

٤- عوامل شخصية سماتها الرهافة والرقة والإحساس .

٥- الوسط البشري المضري (فمضر أم شعراء العرب) وقد تطورت الحياة الأدبية نتيجة لتعمق الوعي في الحضارة والمدنية ونتيجة لانتشار العلوم والفلسفات اليونانية والبيزنطية التي انتشرت بوجود الاديرة المحلية وما فيها من علوم فكرية ، كما ظهر أثر مدرسة المتكلمين في تطور الحركة الأدبية بالرقة وظهور النشاط اللغوي وكان للبصرة والكوفة وبغداد وحران والرها أثر كبير في تطور الحركة الأدبية بالرقة بما ظهر فيها من نتاج فكري ، وبما وفد منها الى الرقة من الادباء والشعراء والمبدعين .

ازدهار الحياة الأدبية في الرقة :

نتيجة لكل تلك العوامل السابقة ازدهرت الحياة الأدبية في الرقة وتطورت وبقي السؤال حول حياة الاستقرار او حياة عدم الاستقرار (التي هي حياة القلق) وما دورها في هذا التطور؟ . .

قد يكون هناك خلاف بين المفكرين في أثرها بين العبارتين في ازدهار الحياة الأدبية ، هل الاستقرار يؤدي الى الازدهار الأدبي أم أن القلق أو عدم الاستقرار

يؤدي الى ذلك الازدهار . . ؟ وأياً كان الجواب ، فقد عاشت الرقة المرحلتين .
على ضوء ما مضى ، يمكن ان نرى الرقة وقد أصبحت مركزاً من مراكز الحركة
الأدبية في الدولة العباسية وأهم من كل مذكر هو اهتمام الدولة العباسية بالرقة ،
لأنها قسبة ديار مضر من جهة ولأنها قريبة على تخوم الشام حيث شجرة اللعنة (بنو
أمية) على حد قول هارون الرشيد ، وكان أبو جعفر قد أمر ببناء الرافقة سنة خمس
وخمسين ومائة بمحاذاة الرقة ، ورتب بها جنداً من أهل خراسان ، المواليين للدولة
الجديدة ولأهل بيته بشكل خاص ونتيجة لاستمرار اهتمام الخلافة العباسية بالرقة فقد
نمت وترعرعت بسرعة مذهلة ، وسرعان ما قامت بين الرقة والرافقة ضاحية بها
أسواق ، وصلت بين المدينتين ، وإليها نقل علي بن سليمان الوالي اسواق الرقة ، بما
فيها سوق هشام العتيق اكبر اسواقها .

وقد كان لانتقال هارون الرشيد من بغداد الى الرقة سنة مائة وثمانين هجرية دور
كبير في ازدهارها ، فإلى جانب نمو العمران والاقتصاد والاجتماع فيها فقد بنيت فيها
بيوت للمال او للسلاح ، وللجوهر فأصبحت مركز ثقل وقوة حتى ضارعت بغداد
وأصبحت العاصمة الثانية للخلافة العباسية في أوج قوتها وعصرها الذهبي ، ونمت
الرقة والرافقة حتى غلب اسم الرقة على الرافقة وطالما قالوا فيها «إنما الرقتان» على
حد قول الصنوبري :

لاتلمني بالرقتين ودعني

إن قلبي بالرقتين رهين

وعلى ضوء ما مضى ، يمكن أن نرى الرقة وقد أصبحت مركزاً من مراكز الحركة
الأدبية في الدولة العباسية ، وقد توفرت لها مجمل العوامل التي تؤدي الى تطور
الحياة الأدبية .

لم يكن غريباً أن يترك الشعراء مدنهم الكبيرة ويأتوا إليها يقطعون البيد كما كان
شأن الصنوبري يطوي قرى البيد طياً سريعاً على متن ناقته ليصل من حلب الى الرقة
حيث الكرخ (دار الصناعة والحركة فيها) .

وحيث الأديرة الجميلة ، وحيث الطبيعة الخلابة ، يقول :

والى الرقتين أطوي قرى البيد بمطوية القرى ، مـذعـان
حبذا الكرخ ، حبذا العمر لابل حبذا الدير ، حبذا السروتان

لقد أدت تلك العوامل التي ذكرت أن تكون الرقة من الأقاليم التي تهتم بالثقافة وبالعلم، لا تقل شأنًا عن حاضرة الدولة العباسية بغداد وعن توءم الخلافة العباسية البصرة والكوفة، وعن الموصل وهذا مادفع الجاحظ أن يذكرها بين أمهات المدن المهتمة بالكتاب وبالعلم حيث قال: «لولا الكتاب لم يجز أن يعلم أهل الرقة الموصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة، وما يحدث بالكوفة في بياض يوم، حتى تكون الحادثة بالكوفة عذوة، فتعلم بها أهل البصرة قبل المساء» وحين حضر الرشيد إلى الرقة كثر بها عدد الأدباء والعلماء، والفقهاء، والأطباء، والمهندسين والفلكيين والرواة والمتأدين.

والمختص يمكن أن يقف على شيء من نتائج هؤلاء المفكرين المبدعين ويمكن وضع الثبت التالي من المبدعين الذين يظهر الأثر الرقي واضحاً في نتاجهم، من مثل: ربيعة الرقي ومحمد بن حسين الرقي المعروف (بالمعوج) استاذ الشاعر الصنوبري، وأبي عمرو هلال بن العلاء وأشجع السلمي، وأبي الشيص (من شعراء القرن الثاني) وعيسى بن المعلّى الرافقي (ت ٦٠٥ هـ - ١٢٠٨ م) وله مجموعة كتب في الأدب والنحو موجودة في مراكز المخطوطات، ولدينا أمل في جمع نتاج هؤلاء الأدباء وغيرهم من المبدعين الرقيين ووضعها بين أيدي الباحثين وطلاب العلم. وهناك مجموعة من الأدباء والشعراء الذين كانوا حول قصور الخلافة في بغداد انتقلوا ليكونوا حول الرشيد في الرقة، فهم الراجز العماني، وأشجع السلمي، ومنصور النمري، ومروان بن أبي حفصة، وأبو العتاهية الذي كان يرافق الرشيد، وأبو النواس، إلى جانب هؤلاء كان الأدباء والنحاة مثل الكسائي، والأصمعي، وابن سلم، والفضل بن الربيع، واسحق بن ابراهيم الموصلي. وقد كان هؤلاء الفحول من الشعراء والأدباء يشخصون إلى الرقة، تكسباً وإجلالاً، فكانت المجالس الأدبية تعقد في قصر الرشيد الأبيض، وفي قصر السلام، وفي القصور الأخرى وربما جاء شاعر من جنوب العراق إلى الرقة ليمدح قبيلته وينال عطاءها كما كان يفعل أشجع السلمي وهو يمدح قيس عيلان، ويضيف عليهم الصفات القوية فيجعلهم يناطحون الملوك:

إذا افتخرت قيس بطيب العناصر
هم صدعوا بالحق حتى تنفست

على الناس طأطأ رأسه كل فاخر
أنوف الملوك، وهي خشم المناخر

وكان الغزل أكثر شيء تطوراً مخترقاً العادات والتقاليد، والأعراف في عصر مبكر جداً، وسأذكر قصيدة قد لا تحتاج الى تعليق أو شرح لشاعر الرقة ربعة الرقي فيها من الحوار والجمال ما يدل على حضارة عريقة وناعمة كانت في الرقة، يقول:

دست سعاد رسولاً غير متهم وصيفةً فأنت اتيان منكم
جاء الرسول بقرطاس بخاتمه وفي الصحيفة سحر خط بالقلم
فيه فتون هوى ظلت تغيبه على الجهول وما يخفى على الفهم
وقد فهمت الذي أخفت فقلت لها: بوحى بلا ونعم من بين الكلم
قالت: مقال إذا ما شئت معترزا والحكم حكمك يارقي فاحتكم
أقدم ربعة في رحب وفي سعة في غير قمرء والظلماء فاغتنم
فزرتها واقعاً طرفي على قدمي وقد تلبست جلباً بين من ظلم
فكان ما كان لم يعلم به أحد وما جرحت وما عللت بالحرم
زارتك سعدى وسعدى منك نازحة فأرقتك وما زارتك من أم
أهلاً بطيفك ياسعدى الملم بنا طيف يسير بلا نجم ولا علم
أنت الضجيع - إذا ما نمت - في حلمي والنجم أنت إذا ما العين لم تنم
ما أكذب العين والأحلام قاطبة أصادق مرة في وصلها حلمي
قولي: نعم، إنها إن قلت نافعة ليست عسى، وعسى صبر إلى نعم
أنعمت نعمى علينا لست أنكرها حتى أغيب في ملحودة الرجم
قلبي سقيم وداء الحب أسقمه ولو أردت شفيت القلب من سقم
قالت: فؤادك بين البيض مقتسم ما حاجتي في فؤاد منك مقتسم
أنت الملول الذي استبدلت بي بدلاً قصرت بي وشريت اللؤم بالكرم
قد كنت أقسمت أني من هواك فما بري يميني قد أغلظت في القسم
استغفر الله قد رقّ الفؤاد وما بيني وبينك يارقي من رحم
ياليت من لا منافي في الحب جر به فلو يذوق الذي قد ذقت لم يلم
الحب داء عيياء لا دواء له إلا نسيم حبيب طيب النسيم
أو قبلة من فم نيلت مخالسة وما حرام فم الصقته بفم
هذا حرام لمن قد عده لمماً ولن يعذبنا الرحمن باللمم
هام الفؤاد بسعدى من ضلالتة ياليت قلبي بكم ياسعدى لم يهم

أنت التي أورشنت قلبي مودتها
خلقت من مسكة والناس خلقهم
ماصور الله إنساناً كصورتك
أعلاك من صعدة سمرأ مقومة
وأنت جنة ريحان لها أرج
أو بيضة في نقا أو درة خرجت
لاقيت عند استلام الركن غانية
مرتجة الردف مهضوم شواكلها
تقول قيناتها، والردف يقعداها
فاستلمت ثم قامت ساعة فدعت
حتى إذا انصرفت سلمت فالتفت
قالت: ومن أنت . . ؟ قلن التابعات لها
هذا المعنى الذي كانت مناسبه
شيطان امته لاقاك محرمة
قالت: أعود بربي منك واستترت
قلت: الذمام وعهد الله خنت به
ألم تقولي: نعم . . ؟ قالت: بلى وهماً
تبنا وصمنا وصلينا لخالقنا
فلمت نفسي على بذلي لها مقتي
فأبعد الله إنساناً واسحقه

داء دخيلاً وشوقاً غير منصرم
من لازب الطين من صلصاله القتم
من بعد يوسف في عرب ولاعجم
والمرط فوق كثيب منك مرتكم
أو روضة نضحت بالوبل والديم
من زآخر مزبد الآذي ملتطم
غراء واضحة الخدين كالصنم
تمشي الهوينا كمشي الشارب الثلم
من خلفها: قد أتيت الركن فاستلمي
فقلت أدعو ولولا تلك لم أقم
فقلت: إنك من همي ومن سدم
هذا ربيعة هذا فتنة الأمم
تأتيك فاستتري بالبرد والقتم
فبالإله من الشيطان فاعتمضي
بغادة رخصة الأطراف كالغنم
لا عهد للغادر الختار للذم
مني وهل يؤخذ الإنسان بالوهم
ولم تتب أنت من ذنب ولم تصم
وبخلها وقرعت السن من ندمي
أدام وداً لإنسان ولم يدم

الحركة الأدبية

المعاصرة في الرقة

د. عبدالله أبوهيف

الحركة الأدبية المعاصرة في الرقة وتطورها

شكلت الرقة بيئة ثقافية منذ أواخر الستينيات ومطلع السبعينيات بفضل حشد من الأدباء الذين شكلوا حساسية جديدة هي طليعة ثقافية في سورية في الوقت نفسه، ويتصل ذلك بعدة اعتبارات نذكر منها:

أولاً: ظهور الرقة محافظة ووحدة إدارية واقتصادية.

ثانياً: احتضان الرقة لأكبر عملية تنموية في سورية هي قيام سد الفرات وما تلاه من عمليات استصلاح الأراضي واستثمارها، وما رافق ذلك كله من تنمية اجتماعية حضرية في الاتجاهات كافة.

ثالثاً: تصاعد التغيرات الاجتماعية، ولاسيما شيوع التعليم وديمقراطيته بعد الثورة (أذار ١٩٦٣) مما أتاح لآبناء الطبقات الفقيرة فرص التثقيف والترقي، وهذا ما يفسر الأصول الطبقيّة الكادحة لغالبية الأدباء والكتاب.

رابعاً: اتكاء الحركة الأدبية في الرقة على تراث أدبي عريق موغل في القدم، لأن الرقة حاضرة عربية وإسلامية لاتزال تزدهر بأوابدها وعمرانها منذ أقدم العصور إلى وقتنا الراهن.

خامساً: ارتباط هذه الحركة بأسباب التنظيم والانتشار، فشكل غالبية أدباؤها وكتابها جماعة أدبية، أطلقت عليها اسم «ثورة الحرف» حافظت على نشاطاتها أكثر من أربع سنوات، وحرصت أن تظهر فعاليتها عبر منابر وقنوات اتصال كالمحاضرات وحلقات النقاش والدوريات كإصدار الصحف والنشرات والمجلات عن طريق المنظمات الشعبية كاتحاد شبيبة الثورة ونقابة المعلمين واتحاد الطلبة، وبعض المؤسسات الرسمية كالمركز الثقافي العربي.

سادساً: صدور غالبية أدباؤها وكتابها عن مفهوم المثقف الذي يرهن كتابته بفعاليته العامة، وبمجاوزه كتابته لحدود الجنس الأدبي الواحد، فليس هناك بينهم الشاعر

وحده او القاص المتخصص ، او الناقد الذي ينذر نفسه لقضية النقد وحدها ، ومن المدهش انهم جربوا الاجناس الادبية جميعاً ، ولا سيما تعزيز الكتابة الادبية بالنقد .

سابعاً : انشغال هؤلاء الادباء والكتاب بالحدثاثة ، فما يزال الشغل الادبي لغالبيتهم مثار النقد والتعليق ، بل انهم اشاعوا كثيراً من قيم التحديث في الحياة الادبية في سورية ، ولعلنا نوضح شيئاً من ذلك اثناء الحديث عن الفعالية الادبية لهذه الحركة ، وعن الشواغل الرئيسية التي عنت بها .

ثامناً الحضور العربي ، ابداعياً ، ونقدياً لعدد من هؤلاء الادباء والكتاب .

تاسعاً : تأصيل الاجناس الادبية في بيئتها ومجتمعها ، استمراراً للسعي المشهود الذي مثله الاديب الكبير عبد السلام العجيلي ، فقد عبّر كثير من الأدب عن بيئته ، وعن التحولات المجتمعية العميقة .

عاشرأً : تواصل الأجيال الأدبية ، إذ رفدت الحركة الأدبية بأسماء جديدة على الدوام من عقد لعقد .

عبد السلام العجيلي :

ارتبطت الحركة الأدبية في الرقة باسم عبد السلام العجيلي ، منذ الاربعينيات حتى اليوم ، فما يزال قمة ادبية عربية ، وانموذجاً يحتذى ، وعلامة مضيئة من علامات الابداع العربي في سورية ، في الاجناس الأدبية الكثيرة التي عالجها : الشعر والمقامة والقصة القصيرة والرواية ، والمقالة والبحث وأدب الرحلات .

لقد مثل العجيلي بالنسبة لجيلنا وللأجيال التالية قدوة متجددة في ارادة التأصيل والتحديث ، مما حفزه عميقاً ومتفرداً في مسار الادب العربي الحديث ، وليس يسيراً على المرء أن يتحدث عن مكانته ومضاء انجازاته العظيم في هذه الفسحة الضيقة ، ولعله قد حان الوقت لأن تحتفي محافظتنا بابنها المبدع ، فتقيم له ندوة كبيرة للتعريف به وبإبداعه ، ولأن تخصص باسمه جائزة الابداع السنوية لأحد المبدعين من هذه المحافظة .

لاشك ان العجيلي بفعاليته الكبيرة قد طبع الحركة الأدبية بطوابعه كمأ ونوعاً ، فلم يظهر حتى منتصف الستينات كاتب يذكر باستثناء شاعرين هما : فيصل البليل الذي تألق لفترة من الزمن ثم اخملته السياسة الى حين ، وأخمدته المرض في العقدين

الأخيرين من حياته، فقد كتب قصائد كثيرة في موضوعات عدة، ولكنه لم يطبع منها إلا ديواناً يتيماً محكوماً بوطأة السياسة كما هو واضح من عنوانه وهو «قصائد مزقها عبد الناصر» ١٩٦١، والثاني هو الشاعر مصطفى الحسون الذي ظل معطاء ومبدعاً حتى اللحظة الأخيرة من حياته ينسج شعره وفق ازهى تقاليد الشعر العربي كما عرفه القرن الرابع الهجري مقتدياً بالبحثري على وجه الخصوص، غير انه طور في معمارية القصيدة بتأثير نزعات التجديد التي شهدتها الشعر العربي في الاربعينيات والخمسينيات، على ان هذا التجديد لم يتناول صيغة البيت والاوزان الخليلية محاولاً ان يحافظ على وحدة عضوية للقصيدة، وهو يعالج موضوعاته الكثيرة من الوصف الى الفخر الى المدح، معمراً قصيدته بمناخ نفسي ولغوي مدهش، ومن المؤسف أن ديوان مصطفى الحسون ما يزال ينتظر ناشراً حتى الآن.

النقد والبحث الأدبي

اهتم بعض الكتاب بالنقد والبحث، ولعل أبرزهم علي الشعيبي الذي قدم عدداً كبيراً من الأبحاث المبتكرة، وثمة كتب متميزة خصصها للحركة الأدبية في الرقة وأعلامها في العصور الإسلامية المتتالية.

واتجه القاص محمد جاسم الحميدي الى البحث الأدبي واللغوي قبل أن يطبع مجموعته القصصية الأولى (التي ظهرت متأخرة عام ١٩٩٨)، فوضع كتابين يلمان عن أصالة وتآلق في موضوعات قلما عولجت بمثل هذا العمق، «الحكاية الشعبية الفرثية» ١٩٨٥ و«التطور اللغوي والأخطاء الشائعة» ١٩٨٨.

وأخلص باحث هو طه الطه للتوثيق والفهرسة الأدبية العربية، ولاسيما نتاج كتاب الرقة، وعلى رأسهم عبد السلام العجيلي الذي طبع عنه كتابين لما كتبه ولما كتب عنه، ويعدّ طه الطه علامة طيبة لعزيمة البحث الذي يتطلب دأباً وكداً مستمرين، على الرغم من الصعوبات والمشبطات.

وأصدر صبحي دسوقي، وهو قاص مجتهد، كتاباً عن «الحركة الثقافية في الرقة» ١٩٩١ تعريفاً بهذه الحركة الناهضة في المجالات كافة، ودعم تعريفه بمعلومات مفيدة عن الادباء والكتاب على سبيل الفهرسة، وحذا حذوه في العام التالي حسين المرعي في كتاب مماثل.

ونفتقد في هذه الإلماحة الى جهود ناقد موهوب هو أحمد جاسم الحميدي الذي أصدر عدة كتب نقدية في الثمانينات .

ولاشك أن جهد ابراهيم الجرادي في النقد وتحرير الكتب هو الأبرز، فقد عمد الى شق هذه الطريق في كتاب رائد عن القصاصين الذين ظهرُوا في مطلع السبعينيات حتى مطلع الثمانينيات، فجمع قصصاً لابرزهم، وبعضهم غيبه الموت مثل هيثم الخوجة، او انقطع عن الكتابة، مع تعريف وجيز بهم، وافتتحه باستهلال محب، بمشاركة لاسبيل الى انكارها من الصحفي سعيد مطر، وحمل الكتاب عنوان «الدم ليس أحمر» ١٩٨٥، ثم سار على هذا الطريق، فحرر كتابين في منتهى الأهمية عن عبد السلام العجيلي وعبد العزيز المقالح ضمناً عدداً من المقالات عن تجربتهما الإبداعية هما «دراسات في أدب عبد السلام العجيلي» ١٩٨٨ و«الحداثة المتوازنة: دراسات في أدب عبد العزيز المقالح» ١٩٩٥، ونلمس براعة الجرادي ومعرفته العميقة فيمن حرر لهم كتباً في كتابه الفريد الذي اختار قصائد ونصوصاً لرسول حمزاتوف ثم عربها عن الروسية مع تقديم متفهم، وحمل الكتاب عنواناً دالاً، هو «أوجاع رسول حمزاتوف» ١٩٨٨ .

واضاف ابراهيم الخليل الى كتابته الابداعية في الرواية والقصة القصيرة والشعر نزوعاً الى النقد في كتابه «الميراث الدموي: قراءة نقدية في الأدب الحديث» ١٩٩٦، وهو مخصص كما يشير عنوانه الى تبيان صورة «التركي» في وعي الآخر، وكذلك فعل اسعد فخري في كتابه «انين السرو: تجليات الآخر الأرمني في الرواية العربية» ١٩٩٥، والكتابان على وجه العموم يتناولان موضوعاً جديداً في البحث الادبي العربي الحديث، وان غلب على الاول لغة الادب، وعلى الثاني لغة عصية على النقد.

المسرح:

اتجه بعض الكتاب الى المسرح مبكرين، تلبية لحاجة التجمعات المسرحية الى نصوص، فكان الاعداد والاقتباس في مطلع الستينات، الذي تحول مع ريادة مصطفى حقي الى التأليف، وهو كان ممثلاً ومخرجاً قبل ذلك، ليبرز هذا الكاتب وسامي حمزة في السبعينيات مؤلفين مسرحيين، الأول بكتابته الواقعية الاجتماعية

من خلال مسرحياته الكثيرة، وقد طبع منها العدد القليل في كتب مثل «عودة راحل» ١٩٩٠ و«المختير» ١٩٩٢.

والثاني بكتابته النقدية الساخرة التي تستفيد من اتجاهات اللامعقول كما في مجموعته الوحيدة «المطر في خامس الفصول» ١٩٨١، غير ان الجهد المسرحي تعزز بكتابات حمدي موصلي للأطفال والراشدين في آن واحد، وقد كسب هذا الجهد تأييداً عربياً بفوزه بجائزة تيمور للمسرح العربي عام ١٩٩٢.

لقد نوع موصلي في كتابته المسرحية، فتعددت موضوعاته التاريخية والاجتماعية، وخالط اتجاهه الواقعي امشاجاً تعبيرية ورمزية وفانتازية كما في مسرحياته «الجرذان» ١٩٨٤ واحداث الليلة الثالثة عشرة» ١٩٨٦، و«موت الكلاب القذرة» ١٩٨٦ و«اللغز والعرش» ١٩٩٢، وهي للناشئة، و«الفرواتي مات مرتين» ١٩٩٣، ويشيع موصلي في مسرحياته روحاً نقدية عامرة بالقيم الفاضلة، مشرحاً الفساد الاجتماعي والأوضاع المتردية.

والتفت خليل الرز، وهو روائي سبق ان عمل ممثلاً ومخرجاً، الى كتابة المسرح فصدرت له مسرحية وحيدة هي «اثنان» ١٩٩٦، ولكنها تؤثر الى كاتب محترف، يعرف اسرار الصنعة المسرحية، ويقول اشياء كثيرة عن الشروط الانسانية والتاريخية.

ولانسى في هذا المجال الكاتب والمخرج المسرحي بسام الحافظ الذي كتب عدة مسرحيات تنتظر الطبع.

وبرز من كتاب المسرح بسام البليل الذي وجه مسرحه الى الأطفال والناشئة من منظورات تربوية وفنية معتنى بها في مسرحياته الى جمعها في كتابه «مسرحيات للأطفال»: الوقت - في مدرستنا روبوت - مداس أبي القاسم الطنبوري - عندما لا تغرد العصافير» ١٩٩٥، ومما يجدر ذكره انها مسرحيات شعرية غنائية تعنى بالقيم المعرفية والقومية والاجتماعية والأخلاقية دون مباشرة، أما الكاتب المسرحي الأغزر انتاجاً للأطفال والناشئة فهو صبحي سعيد الذي مزج مسرحه بالشعر وبمقاربة عالم الطفولة محتفظاً لكتابته بنكهة درامية متخيلة في مسرحيات كثيرة مطبوعة.

الشعر :

ميز النهوض الأدبي أواخر الستينات ابداع حدثي جريء في القصة القصيرة أولاً، وفي الشعر ثانياً ومن الشعراء الذين لمعوا ثم خبا صوتهم نذكر خلف الشيخ ابراهيم و خليل حمدان، ليصدح صوت فارس الشعر في المنابر وعلى صفحات الدوريات ابراهيم الجرادي حتى مغادرته للدراسة في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧٢، ثم تأكدت قيمته بعد عودته وطباعته لمجموعاته الحداثية التي شهد لها عدد كبير من الشعراء والنقاد العرب، أعلن الجرادي عن نفسه في مجموعتيه «أجزاء ابراهيم خليل الجرادي المبعثرة» ١٩٨١ و«رجل يستحم بامرأة» ١٩٨٣ شعراً حداثياً، يكتب النص التشكيلي، باعثاً اجواء النزعة الصورية واللغة المتحررة من قوالبها، والخيال الذي يمضي بعيداً في غرابة الواقع، وهو الاتجاه الذي رسخه في مجموعته الثالثة «شهوة الضد» ١٩٨٥ منحازاً بكليته الى الانفتاح على فضاء تجربة لا تحدد، ثم اوغل في حداثيته في تجربته الشعرية في مجموعته الأخيرة «عويل الحواس» ١٩٩٥، وقد سماها ايضاً «ريبورتاجات شعرية» وفصل التسمية في الداخل بأنها «ريبورتاجات شعرية سمعية بصرية من فاتحة وأربعة متاريس وانسحابات» وتمثلت الاضافة في انبثاق شعره من دراما كامنة ماتلبث ان تفصح عن تجريب منطلق الى مناخات مابعد الحداثة حيث حطام العقلانية وتداعي الحدود اشارة الى عالم مضطرب.

وكان قد جرب هذا التركيب الشعري على استحياء في مجموعته المشتركة مع ابراهيم خليل «موكب من رذاذ المودة والشبهات» ١٩٨٦.

وخاض في هذا التجريب عبد اللطيف خطاب في مجموعته الوحيدة.

ولا نغفل في هذا المجال أن نشير الى شاعر حديث هو حمدو الخلوف الذي أصدر مجموعتين خلال الثمانينيات، ولعل الثانية منهما «سلامات» ١٩٨٩ مما يؤشر الى شاعر موهوب مؤهل لتطوير كتابته الشعرية، ولانعرف اسباب صمته، وعبد الرحمن مطر في مجموعته "أوراق المطر"، ١٩٩٨.

الشعر الشعبي :

انتشرت كتابة الشعر الشعبي خلال العقدين الفائتين على وجه الخصوص، ومن ابرز رواده محمود الذخيرة الذي لم يطبع شعره بعد في مجموعة او ديوان، بينما

فعل ذلك شلاش الحسن في مجموعته «دخيلك يانهر» ١٩٩٨ التي ضمت قصائد نبطية وشعبية تشير الى مقدرته الإبداعية وأصالته في التصدي للموضوعات التقليدية والمستحدثة .

الرواية :

اقتصرت الكتابة القصصية في الرقة على القصة القصيرة وروايات العجيلي الى مطلع الثمانينيات ، حين انخرط ابراهيم الخليل في الكتابة الروائية ، فأصدر ثلاث روايات تميل الأولى والثانية منها الى القصة المتوسطة او الرواية القصيرة ، وهما «حارة البدو» ١٩٨٠ ، و«الضباع» ١٩٨٥ ، ثم وضع روايته الأهم «الهدهد» ١٩٨٧ ، وأكمل بذلك استعادته للبيئة على حواف الفرات ، ولاسيما التجمعات الجديدة ، من فئات اجتماعية متعددة ، في تفاعلها مع المتغيرات الساخنة ، وقد ضمن الخليل رواياته نقداً جريئاً لخلخة القيم والدخول الطفيلية والشرور المتأصلة في النفوس .

ثم لحق الخليل روائي آخر هو ياسين عبد اللطيف الذي وضع روايتين تشيران الى موهبة جديرة بالاهتمام والتقدير ، هما «احياء في كل وقت» ١٩٨٨ ، و«البحث عن سماوات جديدة» ١٩٨٩ ، ولكن عبد اللطيف توقف عن الكتابة ، أو لعله سيفاجئنا بأعمال جديدة .

ودخل ميدان الرواية فارس ثالث هو خليل الرز ، متسلحاً برؤية حدائية جريئة هي مزيج من قسوة الواقع والفرنطزة ووصف العذاب البشري في رواياته الثلاث «سولاويسي» ١٩٩٤ ويوم آخر» ١٩٩٥ ، و«وسواس الهواء» ١٩٩٦ .

القصة القصيرة :

ربما كانت القصة القصيرة هي الإنجاز الأهم للنهوض الأدبي في الرقة ، إذ صدر للقصاصين مابين عامي ١٩٧٠ و١٩٩٨ اكثر من اربعين مجموعة قصصية ، فصدر للعجيلي خمس مجموعات ، و لخليل الجاسم الحميدي ثلاث مجموعات ، ولعبدالله ابو هيف ثلاث مجموعات ، ولصبحي دسوقي اربع مجموعات ، ومجموعتين لكل من ابراهيم الخليل وسامي حمزة ، و خليل الجرادي ومحمد ابراهيم

الحاج صالح ومحمد غانم و ابراهيم كبه و ابراهيم العلوش و طلال شاهين و نجاح ابراهيم ، بينما صدرت مجموعة واحدة لعدد من القصاصين نذكر منهم هيثم الخوجة و محمد جاسم الحميدي و ماجد العويد و أحمد محمود المصطفى و سحر سليمان .

وميز الكتابة القصصية لعدد من القصاصين في وقت مبكر مقاربتهم للتجريب بتحديث السرد متابعة لجهود رواد الخمسينيات والستينيات في هذا المجال ، ويتبدى التجريب واضحاً في كسر اللغة و تغييب السرد المنطقي التقليدي متضمناً كسر الإيهام والنزوع الى ايقاع داخلي لتنامي الفعل القصصي ، إذ تومئ القصة الى أكثر مما تصرح به ، ومثالهم خليل الجاسم الحميدي في مجموعاته «السخط وشتاء الخوف» ١٩٧٥ ، و«الركض في الأزمنة المنهوبة» ١٩٨٣ ، و«موت الرجل الغريب» ١٩٨٧ ، و ابراهيم الخليل في مجموعتيه «البحث عن سعدون الطيب» ١٩٨٠ ، و«البازيار الجميل» ١٩٩٨ .

ورفدت القصة القصيرة بنبرات حدائية أخرى كما في تجربة محمد ابراهيم الحاج صالح في اتجاهه الى انبثاق السرد من الاساطير والرموز ، او اشباع السرد بالاساطير اليومية والرموز باجتهادات ملحوظة تتخلل الصوغ القصصي ببراعة مدهشة ، كما في مجموعتيه «قمر على بابل» ١٩٩٣ ، و«دفقة أخيرة» ١٩٩٥ .

وبرز ضمن كوكبة القصاصين الجدد ابراهيم كبه في مجموعتيه «حانة أبي نواس» ١٩٩٥ ، و«قصة فنان» ١٩٩٧ عبر مقدرته الحكائية الثرة على صوغ عالم قصصي متخيل هو استحضار بالغ الدلالة لعلاقات مجتمع متغير .

ونشير في هذه الإلماحة الى قصص صبحي دسوقي الذي استطاع في مجموعاته الأربع ، ولا سيما الأخيرة «ضجيج الروح» ١٩٩٥ ، ان ينتصر للإنسان الصغير المسحوق تحت وطأة التبدلات الاجتماعية القاسية ، او الشروط الانسانية الضاغطة .

وبرع سامي حمزة في كتابة قصة اجتماعية ساخرة عبر تقانات سردية متنوعة ، ولغة تدخل في الشعر والإيماء السخي ، كما في مجموعتيه «استنشاق رائحة اللون» ١٩٧٩ ، و«اضطرام الهويس» ١٩٩٨ .

ولا نغفل في هذه العجالة ، عن الإشارة الى بعض التجارب اللافتة للنظر ، ولا سيما قصص محمد غانم و ابراهيم العلوش و ماجد العويد .

كلمات وأصوات

من الرقة

«دراسة السنية»

محمد عبد السلام الحياني

كلمات وأصوات من الرقة «دراسة ألسنية»

بسم الله الرحمن الرحيم
قال ربّ اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي

سورة طه الآيات (٢٥-٢٨)

يقول فردنياند دوسوسير : (لنأخذ بفكرة أن الصوت هو شيء بسيط فهل هو صانع اللسان، نحسب أن لا، فما هو بأكثر من أداة للفكر، ولا وجود له لذاته، وهنا يبرز ويتجلى تقابل جديد خطير إن الصوت وعلى كونه وحدة سمعية فمية معقدة، ليشكل بدوره مع الفكر وحدة فيزيولوجية وذهنية معقدة^(١)).

وتأخذ القيم الصوتية مسارين موسيقا داخلية، وموسيقا خارجية، فالموسيقا الداخلية هي جرس اللفظة المفردة الناشئ من تأليف أصوات حروفها وحركاتها ومدى توافق هذا الإيقاع مع دلالتها^(٢).

ويعد الإيقاع الداخلي والجو الموسيقي الذي يحدثه من أهم المنبهات المثيرة للانفعالات وقد ربط النقاد بين الجو الموسيقي الداخلي الذي يشيعه جرس اللفظة وإيقاعها وبين حسن اللفظة المفردة وقبحها فوصفوا اللفظة ذات الجرس المحبب على السمع بالسلاسة والعذوبة والرونق، وذات الجرس الكريه بالغشاشة والاستكراه، ولهذا عابوا على المتنبي استعماله لفظة (الجرشي) للدلالة على النفس في قوله يمدح سيف الدولة الحمداني :

مبارك الاسم اغر القلب كريم الجرشي شريف النسب^(٣)
وأكد ابن الأثير أن الذي يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحسن، والذي يكرهه

وهنظر عنه من سببح. ولا خلاف في أن لفظة المزنة والديمة حسنة يستلذهما السمع وأن
تلفظهما سواهما في الحقيقة يكرهه السمع وهذه الألفاظ الثلاث من صفة المظر وهي تدل
على معنى واحد.

ومن صواباً يقول: أو لأن تشوف للصوت الخفيف الساكن وتتأذى بالجهير
بعد ذلك. فهذا عيب بن الأثير على أبي تمام استعماله (اطلخم، ودهاريس) في
قوله:

فدقت له أصحمة لأمر ونبعث عشواء تالية غبسا دهاريساً^(٦)

وربما عذرت تلفظ بكلمات تؤدي نوعاً من الغناء. لأن الحرف يحمل جرسه
وربما عذرت ويحدث في الآخر متلقي تأثيره من هنا كان الصوت بعداً جمالياً لا يختلف
عن جمال نوجه وسحر العيون.

دعوة مؤسسة جتماعية. والناس عمل وظيفي يحمل الطوابع الشخصية لناطقه
وفي النهاية تتلقى اللغة والناس عند الطوابع الاجتماعية والشخصية لأن بعض
الشخصية فترات جتماعية. وبعض العلاقات الاجتماعية نواتج شخصية. من هنا
كانت العلاقة جدلية ونطق عملية فيزيولوجية (تعتمد على أعضاء النطق والسمع)
وفيزيائية (لأنه مبرجات صوتية) ونفسانية (لأنه يعكس الصور الكلامية والمفاهيم).

من هذه الآراء النقدية. ولأقول العلمية انطلقت في دراستي هذه محاولاً الربط
بينها من خلال التفصيل والتصويت فجاءت دراسة لغوية وصوتية معاً. رغم أن
دراسة نصوتية قديمة في اللغة العربية عموماً. فكيف في لهجة محلية. الأمر
الذي قد صعوبات في وجه لدراسة حاولت تخفيفها بالتبع الدقيق متجشماً وعورة
نسب وقمة لهجة. دون أن أغفل عن أن الدراسات الصوتية جافة لغير المختصين
ونبهت نصح أن تكون مكتوبة أكثر من صلاحيتها للاستماع لأنها تقوم على الإحصاء
وجردول وتحسين لإحصائي والمعلومات المجردة.

ولأن دراسة لغوية

لم تتبع تكلمات مستعملة في تعاملنا اليومي كلها. فذاك عمل معجمي. إنما
خترت ما حفظته لذكره مداخل يرتع في البرادي والريف ووقف عند أبواب المدينة
لتي بتعدت قليلاً عن طبيعة ووظيفة الريف لتعيش ما يلائم وجودها كمدينة.
وخترت بعض عيون متداولاً لم تحجزه أسوار المدينة عن التجوال ولم يأنف الريف

منه ، فقد أفسح له مكاناً مع الثغاء والحلاب .

أقدم بعضاً من هذه الكلمات كعينة عشوائية وقد تبين لي بعد إعادة النظر فيها انها فصيحة معجمية ، خلاف ما يظن انها عامية حتى إذا ما عاد الانسان الى معانيها كتب اللغة ومعجماتها فاجأته تلك الفصاحة وأذهلته تلك الحافظة الشعبية التي استطاعت رغم تراكم المحن وانحسار اللغة أن تهضم تلك المفردات وتعيد تشكيلها بمنطوق شعبي بعد أن أعطتها من روحها ولهجتها وطريقتها في النطق والتلفظ وخاصيتها في الإمالة دون أن تفقد فصاحتها أو تهرب بلاغتها أو تخسر دقتها . واستطاعت هذه الكلمات أن تعطي الفعل حركته الطبيعية وتعبر عن أبعاده الذاتية كلها فيأتي الوصف دقيقاً ، والمعنى مستوفياً كل حالاته .

فكلمة (دعس) تعني الوطء الشديد الذي يحتاج الى ضغط وقوة في الفعل و(ناوش) تعني التناول من بعد وهذا يتطلب مسافة ، ويفرض اعمال الجهد ، و(طس) تعني الايغال في الارض دون بيان جهة ، و(دغر) تعني الهجوم بغتة وبسرعة و(الثر) تعني الجذب بقوة وغلظة سواء في العقل او في القول ، و(السرط) تعني البلع من غير مضغ ، و(زمع) تعني الرعدة ، و(فطس) تعني موت الحيوانات . ولهذه الكلمات أبعاد نفسية فأكثرها يدل على الحركة والسرعة في التنفيذ مما يدل على الحيوية والنشاط ، وقسم منها يدل على الخفاء والستر مما يكشف سيطرة روح الحذر والخوف الذي يكشف فعالية الصحراء المترامية ، والأرض الواسعة التي تحمل الرهبة ، وتدعو الى الحذر والتربص وهناك ألفاظ تعكس روح العنف والقوة والنصب مما يدل على غياب السلطة المانعة والرقابة القائمة .

إن هذه الأبعاد النفسية والسلوكيات كلها مما يلائم البيئة الصحراوية التي كانت منطلقاً للقبائل العربية الرقية قبل هجرتها من الجزيرة العربية ، أو كانت محط رحلتها الأخيرة في بيداء الرقة .

* برطم : عبس وانتفخ من الغضب ، وأدلى شفتيه ، والبرطم هو تضخم الشفة ، والمثل عندنا يقول (العبد يعرج من برطمه) .

* بلص : بلص الشيء إذا طلبه في خفاء ، وبلصه ماله سلبه إياه ولا بد من وجود خفاء أي دون دراية ، إنما بيحلة بمعنى ضحكك عليه واستغفله ، والحيلة نوع من الخفاء لأن فيها ستر القصد وغموض الطريقة .

* تخّ: إذا تخمر العجين وحمض ولان، أي تلف، ونحن نقول تخّ الثوب إذا بلي واهترأ من القدم وطول العهد.

* تلّ: جذبه الى قدام، وهو الشد بقوة، وتلّ صرعه وألقاه على عنقه وخده وفي التنزيل الكريم (وتلّ للجبين) الصافات ١٠٣ وتله الناقة أناخها وأبركها، ونحن نستخدمها بمعنى السحب والجر بقوة.

* ثبر: هلك وخسر، وفي التنزيل العزيز (لاتدعو اليوم ثبوراً واحداً وادعو ثبوراً كثيراً) الفرقان ١٤ وثمره خيبه وطرده، وثمر عن الشيء حبسه عنه فهو مثير وفي التنزيل العزيز (وإني لأظنك يافرعون مثيراً) الاسراء ١٠٢ ونحن نقول لمن نريد طرده «انثير».

* الجذل: جذل: انتصب وثبت، والجذل هو الأصل الخشبي للشجر، ويقال عاد الشيء الى جذله أي الى اصله، ونقول قطعه من جذله اي من اساسه واصله.

* الجرزة: هي الحزمة من الشيء، أو الحزمة من القت ونحوه، ونحن نقول جرزة بصل، أو جرزة بقدونس ولانكاد نتعدى ذلك.

* جمز: سار سيراً قريباً من العدو، ووثب وأسرع، ونحن نستخدمها لمن يركض أو يتابع عدوه قفزاً، أو نستخدمها لمن هبّ من مكانه فجأة لأمر أهمه.

* حذافير: هو أخذ الشيء بجميعة وجوانبه، ونحن نستخدمها عند إرادة بيان الشيء بكل تفصيلاته، وكل أجزائه حسب الواقع دون إهمال أي شيء منه.

* حرش: أعرى بين القوم بعضهم ببعض للغضب أو القتال فأفسد بين الناس وتحرش به تعرض له ليهجيه ويجعله يثور.

* حسوة: هي القليل من الماء، ونحن نقول أعطني حسوة ماء أبل ريتي.

* خبص: خلط الأشياء ببعضها، ونحن نقول جعلها خبيصة أي خلطها حتى ضاعت معالمها واختلطت بغيرها.

ونستخدمها استخداماً خاصاً فنقول عمن تورط في دعوة فوق طاقته (خبصها) أو لمن خلط في كلامه ما يقال فيما لا يقال.

* خبط: الضرب بشدة مع إخراج الصوت، ومن حديث سعد (لاتخبطوا خبط الجمل، ولا تمطوا بأمين) وقال طرفة بن العبد
تخبط الأرض بصم وقح
وصلاب كالملاطيس سمر

وقال علقمة بن عبدة :

وفي كل حي قد خبطت بنعمة
فحق لشأس من نلاك ذنوب
* خبن : القبض والنقصان ، وخنت الثوب إذا رفعت ذلأله حتى يتقلص بعد أن
تخيطة وتكفه وعند الخبن ينقص طول الثوب .

* خربش : أفسد الكتابة ، وأفسد الخط ، ونحن نستعملها للدلالة على الخط
السيء الذي لا يفهم او ما كتب بخط رديء .

* خرط : هو الادخال فخرط الدلو في البئر ارسلها فيه ، وخرط ثيابه جميعها
وادخلها في سراويله ، وخرط العقال نزعته عن رأسه وأرسله على طول له واستخدمه
في الضرب والقتال ، ومنه اخترط سيفه إذا سله .

* خرع : دهش ، والخرع هو الجزع ، والخوف والجن والخور وأصل الخرع اللين
والرخاوة ، اي الضعف في بنية الشيء ، ثم استعمل للضعف في الإرادة والتماسك ،
فصار خوفاً ودهشة ، قال ابو طالب عندما حضرته الوفاة (لولا رهبة ان تقول قريش
دهره الخرع لفعلت) .

وفي الرقة نستخدم طاسة الخرعة لمن أصابه الخوف وهي طاسة من نحاس فيها
رسومات وكتابات دينية يشرب منها من أصابه الخوف على اعتقاد أن يزول خوفه .

* خمش : هو الخدش ، وقاربه في المعنى كالجرح الخفيف ، ويكون نتيجة عراك
بالأيدي وجروح بالأظافر كما في قول الشاعر :

هاشم جدنا فإن كنت غضبي

فاملئي وجهك الجميل خموشا

* خمط : هونتف الشعر وسلخه ، ونحن نقول خمط شعري أي أدخل يده في
شعري وأمسك به وجره بعنف حتى اقتطع منه خصلات .

* الخنة : خروج الصوت من الأنف ، وهو زكام الإبل ، ونحن نستعملها بمعنى
مفرزات الأنف وهو المخاط عندما يسيل على الشفة .

* خنابة : الخنب اللين والرخاوة ، ونحن إذا أردنا أن نعيب أحداً نقول عنه (إنه
خنابة) أي ضعيف لا يملك رأياً ولا قراراً وهو الأحمق .

* دج : الدج الدب في السير ، ودجج لبس سلاحه ، وكلها كلمات تعطي معنى
القوة ، ونحن نقول فلان يدج في كلامه اي يلقيه رغم مافيه من قسوة او حماقة او

احراج ، وهي تعابير في روحها معنى القوة .

* دحم : هو الدفع الشديد ، ونستخدمها بمعنى الاندفاع والدخول بشدة او بمعنى الهجوم . فنقول جاءك داحما ، ونقول دحم علينا اي هجم واندفع بشدة .

* دعس : وطئ وداس ، يقال دعست الابل الطريق إذا وطئته بشدة ، ونحن نقول (دعس على صدره) إذا وطئ بشدة ، وضغط ، أي هناك قوة في الفعل ، وقسوة ونقول (دعس بالسيارة) إذا ضغط على البنزين وجعلها تنطلق بسرعة ، قال الحارث بن حلزة يصف ديار محبوبته التي أقوت من ساكنيها :

لمن الديار عفون بالحبس آياتها كمهراق الفرس
لا شيء فيها غير أصورة سفح الخدود يلحن كالشمس
أو غير آثار الجياد بأعراض الجماد وآية الدعس
* دغر : هجم من غير تثبت واقتحم بغته ، وهو توثب المختلس ودفعه بنفسه على المتاع ليختلسه . وفي الرقة نقول (جاءنا داغراً ، أو دغر علينا) أي هجم فجأة ، ونقول (دغر دغرة) اي مد يده بسرعة واختطف ما يريد على غفلة منا ، ومنه حديث علي (لاقطع في الدغرة) .

* دفر : هو الدفع في الصدر أو في القفا ، وهو يختلف عن الضرب فالضرب يكون لمجرد الإيلاء ، بينما الدفر يكون بالدفع والضغط ونحن في الرقة نقول (دفرته) اي وضعت قدمي في ظهره ودفعته الى الأمام .

* دلس : هو الستر والظلمة ، ومنه دلس الظلام إذا حل وانتشر ونحن نستخدمها بمعنى اندس اي دخل بسرعة دون علم ، لأن الدلس يدل على الخفاء ، لأن الظلمة تخفي الأشياء ، ونقول أيضاً (دلس في جيب) إذا وضع فيه ما يريد خفية وبسرعة .

* داس : هو الوطء بالأرجل ، والضغط بالأقدام والدواسة كل ما يضغط عليها بالأرجل لتؤدي عملاً فيه حركة وجهد وهي اسم آلة فهناك دواسة البسكليت ، ودواسة البنزين ، ودواسة النول .

* الرباق : الربق هو حبل فيه عدة عرى يشد به البهم الصغار من عنقها او يدها لئلا ترضع ، ونحن نستخدم (الرباق والشباق) الرباق لربط صغار الغنم ، والشباق لربط النعاج ليتمكن حلبها .

* رضخ : كسر وددق ، وضرب رأسه بالحجر ، ونحن نستخدمها بمعنى قبل وانقاد

للأمر مرغماً، أي كسرة راس بما تحمله من ذل وضعف .

* رغوث : من الرغشاء ، وهو عرق في الثدي يدر اللبن ، (وهو مفرد) والرغوث في المرضعة ، ونحن هنا نحصر ذلك في الحيوانات ولا نستخدمها للإنسان .

* رفس : هو الصدم في الصدر ، ويكون باستعمال القدم .

* رك : هو تراكم بعض الشيء على بعض ، وهذا يعطي ثقلًا وضغطاً ، ونحن نستخدمها بمعنى الضغط فنقول رك زين أي اضغط جيداً ، ورك الأرض اضغط عليها بقوة ، ورك الكيس املاه مع الضغط .

* زحر : هو التنفس بشدة وهو اخراج الصوت او النفس مصحوباً بأنين عند انجاز عمل شديد ، وزحرت المرأة بولدها عند الولادة تألمت .

* زعل : ضجر ، واضطرب واستاء وانزعج وهي أبلغ من أي دلالة على عدم الرضا ، أو حالة الغضب ، ففيها جماع المعاني النفسية كلها .

* زنخ : تغيرت رائحته ، وفسد ، فنخ الطعام ، وزنخ الماء ، ورائحة زنخة كلها دلائل على التغير والفساد .

* زمع : رعدة تصيب الإنسان إذا هم بأمر ونحن نقول زمع إذا اهتز جسمه وارتجف بعد أن فاجأه خبر ، أو إذا انفعل بأمر ما وقرر أن يفعل شيئاً ما بسرعة نتيجة ذلك فينهض بجسمه كله .

* سجم : أبطأ وانقبض ، ونحن نستخدمها للساكت بشرود أو من هو في غيبوبة وعجز عن الكلام .

* سحل : نحت ، برد ، قشر ، كشط ، ونحن نستخدمها بمعنى السحب والجر ، لأن السحب يؤدي الى ثقل المسحوب وتقشيره أو برده ويؤدي الى تجريده مما عليه .

* سدح : بسط على الأرض كسدح القربة المملوءة إذا طرحتها على الأرض ، وسدح ارتقى بما يشبه القتل قال أبو النجم يصف قتيلاً :

ثم يبيت عنده مذبحاً
مشدح الهامة أو مسدوحا

والسدح هو الصرع بطحاً على الوجه وعلى الظهر ، ولا يقع قاعداً ، ومتكوراً ونحن نقول (انسدح على طوله) لمن ارتقى من التعب فتمدد على ظهره أو بطنه .

* سרט : هو البلع من غير مضغ ، فنقول ، فلان يسرط الطعام سرتاً إذا كان يأكل دون مضغ وفيه كناية عن الشراهة والعجالة .

* السفط : وعاء كالقنفة أو العلبه والسفط عندنا وعاء من معدن يحفظ فيه التبن والدخان المفروم ، وقد نستعمله لكل وعاء على شكل متوازي المستطيلات سواء استخدم للدخان المفروم ، أم للحلويات أم حفظ الأشياء .

* سلت : ذهب فلتة ، ونحن نستخدمها بمعنى انسل أي خرج خفية دون أن يشعر به أحد ، ونقول أيضاً سلت مني إذا سقط وانساب دون تحكم أو دراية .

* سولف : السالفة الماضي ، وسولف تحدث عن الماضي ، ونستخدمها بمعنى القصص الخرافية ، والتحدث مطلقاً .

* السير : هو النطاق من الجلد ، وهو ما يقدّ طولاً ، وهو الشراك والجمع سيور ، ونحن نفرق بين السير وبين المحزم ، فالمحزم نطاق من صوف وغيره ، والسير نطاق من جلد .

* شعف : أعالي الشيء ورأسه ، والشعفة رأس الجبل ، وهي عندنا خصلة الشعر في اعلى الرأس ، فنقول (أبو شعفة) .

* شلح : من التعرية شلح ثيابه نزعها وأصبح عارياً ، ومنه تشليح قطاع الطوق للمسافرين أي تعريتهم مما يملكون ، وربما كانوا يشلحونهم ثيابهم بقصد التحري عما يخفون ، ونقول شلحني مامعي أي أخذ كل مالدي وأصبحت عارياً منه .

* شمط : الشمط هو القطع والنزع ، نقول شمط الغصن اقتلعه من جذوره وذلك لا يكون إلا لما هو ثابت يحتاج الى بذل الجهد .

* الشنينة : كل لبن يصب عليه الماء ، حليباً كان أم حقيناً (والحقين هو اللبن في السقاء ، أي في الظرف ، وهو وعاء من جلد الماعز أو الغنم يهياً لاستعماله في حفظ الحليب أو السمن) .

ونحن نستعمل لفظة الشنينة بخصوصية أكثر من الرائب المتبقي في الظرف بعد خضه واستخلاص الزبدة منه ، فهو اللبن الخالي الدسم .

* صك : سكه ضربه ضرباً شديداً بشيء عريض أو بأي شيء ، أو لطمه وفي التنزيل العزيز (فصكت وجهها) الذاريات ٢٩ أي لطمته تعجباً والصك اضطراب القدمين والركبتين ، ونحن نستخدم الصك لضرب الدابة أحداً برجلها .

* طحر : هو النفس العالي الذي يخرج بضيق وصعوبة نتيجة بذل الجهد قال الكميت :

بأهازيج من أغانيها الجش واتباعها الزفير والطحيرا
ونحن نقول لمن جاء متعباً ونفسه عال (مالك تطحر)

* طس: الطس هو الابعاد في السير والايغال في الأرض ونحن في الرقة
نستخدمها إذا أردنا التعبير عن الذهاب الى مكان بعيد لانعرف جهته ونجهل مقداره،
فنقول (طس) ونقول لمن أردنا غيابه (طسك طسة).

والطسيس لعبة لانعرف توصيفها كانت العرب تلعبها كما في قول رؤبة بن
العجاج:

هماهماً يسهرن أورسيا قرع يد اللعبة الطسيا
ونحن في الرقة نستخدمها على أنها لعبة فنقول لمن حيرنا وتلاعب بنا (لقد لعب
بنا الطسة) ونستخدمها بمعنى نول الشيء مصادفة دون جهد فنقول (جاءته طسة) أي
دون تدبير أو تخطيط إنما لعبة حظ.

* طفح: امتلاً وارتفع حتى فاض، ونحن نقول طفح الخزان اي امتلاً، وقلبي
طفحان بالحلب أي ممتلئ.

* طفش: خرج هائماً على وجهه، وفي الرقة نستخدمها بمعنى أنه ترك أهله
نتيجة مواقف خاصة ومغاضبة فخرج دون رضاهم أو علمهم، فلا تعرف له وجهة أو
مكان.

* طلس: محاو ازال، طلس الكتابة محاها، وطلس الأثر ازاله، ونقول انطلس
على عيوني أي غشي وخفي، وكنا نستخدم الطلس بمعنى الورق وهو فصيح أيضاً.
* طمس: انطمس انمحي واندرس ولم يبق منه أثر.

* عفس: صرع ووطئ، وهو الطرح على الأرض مع الضغط الشديد وانعفس
في التراب انعفر، وفي الرقة نقول عفس الشيء إذا رماه على الأرض وضغط عليه.
* عفت: نشر الحيوان مافي أنفه مع اخراج الصوت، وعفت بشفتيه ونحن
نستخدمها بهذا المعنى.

* الغبشة: ظلمة آخر الليل، ونقول خرج غبشة أي خرج آخر الليل أول الفجر
والظلام لايزال مخيماً.

* غمس: هو إدخال الشيء في ماهو سيال، فغمس يده في الماء، أدخلها وأصل
الغمس الارساب.

* فحّ: الفحيح صوت الحية من فيها، ونحن هنا نستخدم هذه الكلمة بمعنى اخراج الهواء من فيه، وهو كناية عن التعب لهذا نقول فح من الركض، أو ركضت حتى فحيت .

* فطس: مات من غير داع أو سبب واضح، والفطيسة هي (شفة الانسان أو مشفر ذوات الخف، وطرايم السباع . .) ونحن نستخدمها لموت الحيوانات، أو موت من هو سيىء وشرير .

* القرط: هو القطع من صوت يصدر عنه عند أكله، وهو أكل مافيه قسوة وصلابة، فيحتاج الى قطع مثل الخيار والقتاء والسكاكر .

كتب الدكتور عبد السلام العجيلي أنه عندما يتزاحم المرضى في عيادته ويشتد الحاحهم من أجل المعاينة والعلاج يعمد الى وضع موازين الحرارة في أفواههم ليضمن سكوتهم فكان عندما يعطي أحدهم الميزان وهو من زجاج ويقول له ضعه في فمك فبعضهم يحتار ما يضع به فيسأل بسذاجة وحيرة، دكتور أسرطه أم أقرطه .

* كتّ: انكّ أي انصب بمعنى نزل من عل الى خفض، فنقول انكت من راس علوة، أو من فوق جبل، ونستخدمها بمعنى افرغ .

* كشّم: قطع الشيء أو قصره، والأكشم هو الناقص الخلق، ولحسان بن ثابت يهجو ابناً له:

غلام أتاه اللؤم من نحو خاله له جانب واف وآخر أكشم
ونحن نقول كشّم الثوب قطعه، والكشمة القطعة من كل شيء .

* لبد: تكرر الشيء بعضه فوق بعض، واللبد من الرجال الذي لايسافر ولا يغادر منزله ولا يطلب معاشه، ولبد في الأرض لزمها، وأقام فيها، ونحن نقول لبد أي جلس بلا حرك ولم يتزعزع .

* لبط: ضرب الأرض، ولبط به رماه وصرعه صرعاً عنيفاً، ولبط اضجع وتمرغ ونحن نقول (صار يلبط) أي ارتقى على الأرض وأخذ يضرب برجليه ويديه .

* لتّ: لتّ السويق بالسمن خلطه، وفلان يلت إذا كان ثرثاراً يبيدي ويعيد فيما يقول .

* لخبّ: اللطم والضرب على الخد، ومنه لخبه كفاً أي صفعه، واللخ يدل على الاختلاط في العقل فنقول سكران ملتخ أي مختلط في عقله أو به جنون ومس .

* لزّ: اللزّ يدل على الملازمة والملاصقة والاقتراب، ونحن نقول لزّاي اقترب مني .

* مشرمح : هو الطويل من الرجال والنساء، قال الأخفش :

فلا تذهبن عيناك في كل مشرمح

طوال فإن الأقصرين أمازره

والأمازره هو الرجل الظريف، أو الفاضل الشديد القلب، ونحن نستخدمها بمعنى الطول المجازي فنقول : (سأذكر القصة بالمشرمحي) أي سأذكرها بكل تفصيلاتها ووضوحها، ولا يكون ذلك إلا بالتطويل .

* مشّ: هو مسح اليد بالشيء الحشن لتنظيفها وقطع دسمها، قال امرؤ القيس :

نمّشّ بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهّب والمضهّب: غير الناضج .

والمش يختلف عن المسح الذي هو الإزالة، ففي المش مبالغة، والممشة عندنا المنديل، وقبل ظهور المناديل الورقية كان هناك اعتناء بالمشة، (منديل الجيب) فكانت تطرز بخيوط ملونة وينقش على إحدى زواياها رسوم جميلة والفتيات يتغنين بممشات خطابهن

ياشوك هلت ايدك عاجسر نتمشى غابت علينا الشمس وأني انكشلك ممشة
* مرمط : المرط التتف، مرمطه نتفه قطعة قطعة، ومن يهدد الآخر يقول له «والله لأمر مطك» أي لا قطعنك قطعاً قطعاً .

* ملص : سقط متزجاً وهو كل شيء نزل انسلاً متزجاً لملاسته فتزلق الكف عنه، ولا يمكن القبض عليه، فنقول (ملص من بين أيدينا) أي تفلت ولم نقدر على الإمساك به كما قال أحدهم :

فرّ وعطاني رشاً ملصاً كذب الذئب يعدّي هيصاً
تملص الكف به تملصاً

* ملفع : من لفع وهو الاشتمال والغطاء، لفعه غطاءه، والملفع قطعة من قماش ملونة من حرير وغيره نستخدمها لغطاء الرأس كنوع من الحجاب .

* موّص : هو الغسل السريع دون اتقان، ماص الثوب بلك ولم يحسن غسله،

قال امرؤ القيس :

بأسود ملثف الغدائر وارد وذي أشر تشومسه وتموصه
* نتخ: نزع وقلع، وذلك لا يكون إلا مع الشيء الثابت الذي يتطلب معالجة،
ونحن نقول (نتخ الحبل، أو الغصن أي شده بقوة حتى اقتلعه) يقول زهير بن أبي
سلمى:

تنبذ أفلاءها في كل منزلة ينتخ أعينها الغربان والرخم
وبما أن النتخ يعنى في روح معناه القوة فنحن نقول (فلان ينتخ وهو نتاخ) إذا كان
يكذب كذبات كبيرة وكأنها قوية.

* نتر: جذب بشدة وجفوة، ومنه تغليظ الكلام وإلقاء الألفاظ بشدة وعنف، مع
ما فيها من قسوة وجفاء، ونحن نقول (لماذا تنتر بالكلام) أو (قام يناتر) ونقول (نتر
الثوب من يدي) جذب بشدة.

* نتش: جذب لحمه قرصاً ونهشاً ويقال مانتش منه شيئاً أي مأخذ.

* نشد: من النشدان وهو طلب الضالة والسؤال عنها، ونحن نستخدمها بمعنى
طلب المعرفة عن المجهول، وأحياناً نخصصها بالسؤال فنقول (أنشدك بالله) أي أسألك
بالله.

* نتع: جذب بشدة وقوة، وفي الرقة نستخدمها بهذا المعنى ونقول أيضاً نتعه
على ظهره أي جذبه بقوة وحمله على ظهره ومضى.

* نتق: جذب، نقض، حرك قال تعالى (وإذ نتقنا الجبل) الأعراف ١٧١ أي
زعزعناه ورفعناه، ونحن نقول: نتق من بينهم إذ خرج، ونتقت له وملسة أي
خرجت وارتفعت.

* نشل: وهي السرعة في أخذ الشيء وخطفه، وعندنا تعني السرقة
والاختلاس، مع أننا نستخدمها بمعناها الأصلي وهي السرعة في الأخذ فنقول (نشل
من الماء) أخرجه بسرعة.

* نشمي: من النشم وهو شجر جبلي من الفصيلة الزيزفونية كانت تتخذ منه
القسي، وأحدثه نشمه، والمنشم عطر صعب الدق، ومنشم امرأة من همدان كانت
تبيع الطيب للمحاريين كما في قول زهير بن أبي سلمى:

تداركتما عبساً وذيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
ونحن في الرقة نستخدمها لوصف الإنسان بالجرأة والنجدة، وكأنه يتصف

بأخلاق الفرسان .

* نصل : النصل شحوب اللون وتغيره ، وفي الرقة نقول في هذا المعنى «مالك ناصل» إذا رأينا وجهه متغيراً من مرض .

* نكت : ضرب به الأرض وطرحه على رأسه ، ونحن نقول (رفعه ونكته) اي رماه على الأرض .

* نكر : النكر لسعة الحية أو الطعن بسنان أو شيء حاد ، ومن تنكره الحية لا أن يهب مذعوراً ، ونحن نستخدم النكر لمن نهض بسرعة إثر شيء آله أو أهمه .

* ناوش : تناول وأخذ ولا بد أن تكون هناك مسافة مما يستدعي مد اليد وإعمال الجهد ، لهذا نفرق في الرقة بين ناوش وأعطى ، وتناوش وأخذ ، فالأخذ والعطاء لا يتطلبان جهداً ولا يفترضان بعداً في المكان ، فلهذا نقول ناوشني إذ كانت هناك مسافة ، واعطني نقولها في كل الحالات ولكل الأشياء ، جاء في التنزيل الكريم (وقالوا آمناً به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) سبأ ٢٢ وقال المثقب العبيدي يصف الطعائن :

كـغـزلان خـذلن بذات منال تنوش الدانيات من الغصون
* هجّ : كلام زجر للحيوانات من كلب وغنم لتبتعد ، ونحن في الرقة نستخدمها بمعنى البعد وليس طلب البعد ، فنقول (هجّ فلان) إذا ترك أهله ، وابتعد عنهم مهاجراً ، لا يعلمون وجهته وهي أقرب الى الهرب ، وكل الوجوه تحمل معنى البعد أو الابعاد أو الابتعاد .

* وجم : سكت على غيظ أو فزع او عبس وأطرق وعجز عن الكلام .

* ورش : النشاط والخفة ، وولد ورش كثير الحركة لا يكف عن اللعب والعبث .

ثانياً : الدراسة الصوتية

قمت بعملية احصائية لمجموعة الكلمات التي سبق أن اخترتها كعينة للدراسة لبيان فصاحتها ودقة تعبيرها ، ثم فكفكتها الى حروفها المشكلة لها ووزعتها حسب الأصوات اللغوية لاستكشاف من خلال الدراسة البنوية وعلاقتها بعام الأصوات الوصفي وعلم وظائف الأصوات^(٧) الخصائص اللهجة الرقية وأبعاد الكلمات الصوتية .

لقد اخترت احدى وتسعين كلمة عدد حروفها مئتان واربعة وتسعون حرفاً

اتخذتها مجالاً للبحث الصوتي والتحليل الاحصائي وتوصلت الى النتائج التالية :

١ - قلة ورود حروف الاصوات المنقبضة^(٨) وبمجموع ٢٥ وهي الصاد ٦ مرات والصاد مرة واحدة، الظاء لم ترد مطلقاً، أما الطاء فقد وردت كثيراً ١٨ مرة ولم أجد كلمة واحدة حروفها جميعاً منقبضة بينما الكثرة كانت من الأصوات المفتحة^(٩) بمجموع ٢٦٩ .

٢ - عدم اجتماع الحروف الذلاقة في الكلمات الرباعية، أو الخماسية وهي (م.ن.د.ل.ب.ف).

٣ - نكاد لا نجد كلمات حروفها مضطربة في الانحدار من مناطق الجهاز الصوتي ومخارج الحروف وذلك يعطي راحة في النطق وانسجاماً في السمع، بينما الانحدار المضطرب يخلق نشازاً وصعوبة .

٤ - أغلب الحروف المستعملة هي من أصوات الانتفاح الضيق، وفيه تتقارب اعضاء النطق في المحبس تقارباً شديداً بحيث لا تترك للهواء إلا منفذاً ضيقاً يمر فيه محدثاً باحتكاكه بأعضاء النطق صوتاً ضعيفاً يشبه صوت الحفيف وهو ما كان يسمى بالأصوات، الرخوة وهي (ت، ح، خ، ذ، ز، س، ش، ص، ظ، ع، غ، ف)^(١٠).

٥ - خلو الكلمات من الهمزة يدل على أن الرقة لا تهمز، لأن الهمزة صوت شديد لاهو بالمجهور ولاهو بالمهموس لأن فتحة المزمار معها مغلقة اغلاقاً تاماً فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور الى الحلق الا حين تنفجر فتحة المزمار ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة ولا شك أن انحباس الهواء عند المزمار انحباساً تاماً ثم انفراج المزمار فجأة عملية تحتاج الى جهد عضلي يزيد على ما يحتاج اليه اي صوت آخر مما يجعلنا نعد الهمزة اشق الأصوات^(١١) وكون الرقة لا تهمز يقربها من الأصل العربي اذ أكثر العرب لا يهمز لأن الهمز يطيل زمن نطق ما قبله وبخاصة الألف مما يجعل الفم مفتوحاً لمدة طويلة فيكشف تجويف الفم في وجه الآخر المتلقي مع ما فيه من إحراج .

٦ - الكثرة المطلقة كانت من الكلمات الثلاثية لذا فهي خفيفة في النطق جميلة في السمع وهي اقرب الى اللغة الشعرية، والنبر فيها يقع في الأحرف الأولى منها لأنها تشكل المقطع الثاني لأن المقطع الأول لا ينبر مطلقاً .

والنبر هو نشاط فجائي يعترى أعضاء النطق اثناء التلفظ بمقطع من مقاطع الكلمة

ويؤدي هذا النشاط الى زيادة في واحد أو أكثر من (مدة المقطع، أو شدته، أو حدته) (١٢).

٧- ليس في الكلمات التي احصيتها خورعام وهو حذف نهاية الكلمة بما يشبه الترخيم في النداء مع أن ذلك موجود في استعمالنا اللغوي مثل قولنا (ياول، أي ياولد).

٨- التخلص من التقاء المتماثلين بالجنوح الى الادغام كما في قولنا (دجّ، ركّ، صكّ، طسّ، فحّ، كتّ، لتّ، لجّ، لزّ، هجّ).

٩- جاءت حروف الكلمة الواحدة مشاركة بين المجهورة والمهموسة (١٣) (دعس) الدال والعين مجهودان والسين مهموس، (ناوش) النون والواو مجهوران والألف والشين مهموسان وهناك كلمات حروفها جميعاً مهموسة (طسّ) وكلمات أخرى حروفها جميعاً مجهورة (دغر) (١٤).

ذلك كله يعطى الكلمات جرساً موسيقياً ويضفي عليها جمالاً ويمنحها قبولاً في السمع والنفس.

١٠- ليس هناك وضع صوتي خاص، وإن كان الاحصاء يدل على غلبة قليلة للاصوات المجهورة هذا على المستوى الاجمالي، أما على المستوى الفردي فالحروف تتباين وروداً كثرة وقلة (١٥)، وان وجود الاصوات المجهورة الى جانب المهموسة يدل على شمولية في استخدام الامكانات الصوتية كلها، فتتكشف صحة مخارج الحروف، وينتفي وجود أي انحراف لفظي، وان التوازن هو الغالب وانه السمة الواضحة مما يبعدها عن النشاز.

١١- خلو اللفظ الرقي من عيوب اللهجات العربية.

١٢- خلو اللفظ الرقي من عيوب النطق غير العربي المتفشى في المدن الأخرى فلا ترانا نقول: (هزا، ولا الزلم، ولا سم، ولا سلاسة) بدلاً من هذا، والظلم، وثم، وثلاثة.

١٣- قلة ورود حرف الهاء في الكلمات التي أحصيتها تدل على ابتعاد النطق الرقي عن الاجهاد وجفاف مجرى التنفس لأن الهاء حرف جوفي يحتاج الى كمية كبيرة من الهواء للنطق به.

١٤- قلة ورود حرفي (الزاي، والصاد) تبتعد بالنطق عن الصفير الحاد، وتنجو به

عما يؤذي السمع .

١٥ - غلبة حروف مجهورة بعينها مثل (ل، م، ن) في نطق الرقة وهي من الحروف المتوسطة بين الشدة والرخاوة (١٦) عدا حرف واحد مهموس شديد هو التاء وعدم غلبة ورود حروف مجهورة بعينها مثل (ظ، ض، غ، ز) وهي من الحروف الرخوة عدا عن حرف واحد مهموس هو (التاء) مع أنه حرف رخو، فقد كانت قليلة الورد.

هذا كله يؤكد ان النطق الرقي يمتاز بالوضوح والسلامة لأنه يجمع بين الجهارة والرخاوة، أو بين الجهارة والتوسط بين الشدة والرخاوة.

الحواشي :

- (١) دوسوسير : فرديناند، محاضرات في الألسنية، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، دار نعمان للثقافة بيروت، طبعة بلا، تاريخ بلا ص ٤٠.
- (٢-٣) عزام : محمد التحليل الألسني للأدب، منشورات وزارة الثقافة السورية، طبعة أولى دمشق ١٩٩٤ ص ٥٣ وجاء فيه قول المتنبي : كريق الجرشي، والصحيح كريم، كما في الديوان والجرشي : النفس.
- (٤) عزام : محمد المرجع السابق ص ٥٤.
- (٥) عزام : محمد المرجع السابق ص ٥٦.
- (٦) عزام : محمد المرجع السابق ص ٦٣ واطلختم : اشتد، الغيس : الليل والظلام، دهريس : الدواهي.
- (٧) علم الأصوات الوصفي : هو العلم الذي يتناول بالدراسة عنصر الأصوات للسان مافي فترة ما . . ليوقفنا على مافي هذا اللسان من أصوات وعلى مخارجها وصفاتها وخصائصها.
- وعلم وظائف الأصوات، هو علم يهتم بوظيفة كل صوت في اللغة فيتساءل عن كثرة ورود هذا الصوت أو قلته في هذا اللسان، انظر : الانطاكي، محمد، الوجيز في فقه اللغة، مكتبة دار الشرق، حلب الطبعة الثانية، تاريخ بلا، ص ١٥٠.
- (٨) الانقباض : هو انحصار صوت الحرف بين اللسان والحنك وهي (ص . ط . ظ) انظر الانطاكي محمد المرجع السابق ص ٢٨١
- (٩) الانتفاخ : ضد الانقباض وهو الا ينحصر صوت الحرف بين اللسان والحنك الأعلى (بقية الحروف) الانطاكي محمد المرجع السابق ص ٢٨١.
- (١٠) انظر الانطاكي، محمد، المرجع السابق ص ١٦٤.
- (١١) انيس : د. ابراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الانجلو، القاهرة الطبعة الرابعة ١٩٧١ ص ٩١.
- (١٢) الانطاكي، محمد، الوجيز في فقه اللغة، المرجع السابق ص ٢٦٢، وجاء فيه (ويتجلى هذا النشاط في امور عدة منها ان الحجاب الحاجز ينشط حين النبر نشاطاً كبيراً، كما تقوى حركات الوترين الصوتيين ويقترب احدهما من الآخر حتى لا يسمحان إلا بتسرب أقل مقدار من الهواء فتعظم لتوترهما الذبذبات، ويترتب على ذلك

زيادة في حدة الصوت المنطوق، هذا في حالات الأصوات المجهورة اما مع الأصوات المهموسة فيبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر أكثر من ابتعادهما في حالة الصوت غير المنبور فيتسرب مقدار أكبر من الهواء يجعل الاحتكاك أو الانفجار أقوى وأوضح في السمع) ص ٢٦٢.

(١٣) أنيس: د. ابراهيم الاصوات اللغوية، المرجع السابق ص ١٩-٢٠ وجاء فيه أيضاً (الجهير، هو الصوت الذي يهتز معه الوتران الصوتيان وذلك «حين تنقبض فيه فتحة المزمار ويقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر فتضيق فتحة المزمار ولكنها تظل تسمح بمرور النفس خلالها، فإذا اندفع الهواء خلال الوترين وهما في هذا الوضع يهتز ان اهتزازاً منتظماً ويحدثان صوتاً موسيقياً تختلف درجته حسب عدد هذه الهزات او الذبذبات في الثانية، كما تختلف شدته او علوه حسب سعة الاهتزازة الواحدة والحروف المجهورة هي (ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، و، ي).

والمهموسة هي: (ء، ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ) والمهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حين النطق به، وهناك من جعل (ا، ء، ط، ق) مجهورة.

(١٤) انظر الجدول التفصيلي للكلمات المدروسة وتوزعها بين المجهورة والمهموسة.

(١٥) انظر الجدول الاحصائي والمخطط البياني لحروف الكلمات المدروسة.

(١٦) الصوت الشديد - وهو ما يسميه المحدثون انفجارياً - هو الصوت الذي يحدث (حين تلتقي الشفتان التقاء محكماً فينحبس عندهما النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن من بعد أن تنفصل الشفتان انفصالاً فجائياً، يحدث النفس المنحبس صوتاً انفجارياً والأصوات العربية الشديدة هي:

(أ. ب. ت. ط. د. ر. ك. ق).

أم الأصوات الرخوة فهي التي عند النطق بها لا ينحبس الهواء انحباساً محكماً وإنما يكتفى بأن يكون مجراه عند المخرج ضيقاً جداً وهي (ث، ح، خ، ذ، ز، س، ش، ص، ض، ظ، ع، ف، هـ، و، ي).

أما المتوسطة بين الشدة والرخاوة فهي تلك التي تحدث حين لا يتم انطلاق الصوت ولا انحباسه وهي (ر، غ، ل، م، ن) راجع أنيس د. ابراهيم، الأصوات اللغوية، المرجع السابق ص ٢٢ وكذلك الصالح، دصبيحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين - بيروت الطبعة العاشرة ١٩٨٣ ص ٢٨١.

المراجع

أولاً - الكتب

* الأنطاكي: محمد، الوجيز في فقه اللغة، مكتبة دار الشرق - حلب - الطبعة الثانية، تاريخ بلا.

* أنيس د. ابراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الانجلو، القاهرة - الطبعة الرابعة، ١٩٧١.

* دوسوسير: فردينان: محاضرات في الألسنية، ترجمة يوسف غازي، ومجيد النصر، دار نعمان للثقافة.

بيروت، طبعة بلا، تاريخ بلا.

* الصالح: د. صبيحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة ١٩٨٣.

* عزام: محمد، التحليل الألسني للأدب، منشورات وزارة الثقافة السورية، طبعة أولى دمشق ١٩٩٤.

ثانيا: المعجمات :

- ❖ أساس البلاغة، ابن عمر الزمخشري، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢ .
- ❖ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، التراث العربي، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت رقم ١٦ .
- ❖ قاموس رد العامي إلى الفصيح، الشيخ أحمد رضا، دار الرائد العربي، بيروت- الطبعة الثانية ١٩٨١ .
- ❖ المعجم المدرسي، محمد خير أبو حرب، مطبوعات المؤسسة العامة للمطبوعات والكتب المدرسية، الطبعة الأولى ١٩٨٥ .
- ❖ المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة والعشرون .
- ❖ المعجم الوسيط، عدد من المؤلفين (الدكتور ابراهيم أنيس، الدكتور عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد)، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- الطبعة الثانية، ١٩٨٧ .

كشف تفصيلي بالكلمات التي درست في هذا البحث

تسلسل	الكلمة	الحروف				تسلسل	الكلمة	الحروف			
		١	٢	٣	٤	٥		١	٢	٣	٤
١	برطم	ب	ر	ط	م		٣٠	ر	ض	خ	
٢	بلص	ب	ل	ص			٣١	ر	غ	و	ث
٣	تخ	ت	خ	خ			٣٢	ر	ف	س	
٤	تل	ت	ل	ل			٣٣	ر	ك	ك	
٥	ثبر	ث	ب	ر			٣٤	ز	ح	ر	
٦	جذل	ج	ذ	ل			٣٥	ز	ع	ل	
٧	جرزة	ج	ر	ز	ة		٣٦	ز	م	ع	
٨	جمز	ج	م	ز			٣٧	ز	ن	خ	
٩	حذافير	ح	ذ	ا	ف	ي ر	٣٨	س	ج	م	
١٠	حرش	ح	ر	ش			٣٩	س	ح	ل	
١١	حسوة	ح	س	و	ة		٤٠	س	د	ح	
١٢	خبص	خ	ب	ص			٤١	س	ر	ط	
١٣	خبط	خ	ب	ط			٤٢	س	ف	ط	
١٤	خبين	خ	ب	ن			٤٣	س	ل	ت	
١٥	خربش	خ	ر	ب	ش		٤٤	س	و	ل	ف
١٦	خرط	خ	ر	ط			٤٥	س	ي	ر	
١٧	خرع	خ	ر	ع			٤٦	ش	ع	ف	
١٨	خمش	خ	م	ش			٤٧	ش	ل	ح	
١٩	خمت	خ	م	ط			٤٨	ش	م	ط	
٢٠	خنة	خ	ن	ة			٤٩	ش	ن	ي	ن
٢١	خنابة	خ	ن	ا	ب	ة	٥٠	ص	ك	ك	
٢٢	دج	د	ج	ج			٥١	ط	ح	ر	
٢٣	دحم	د	ح	م			٥٢	ط	س	س	
٢٤	دعس	د	ع	س			٥٣	ط	ف	ح	
٢٥	دغر	د	غ	ر			٥٤	ط	ف	ش	
٢٦	دفر	د	ف	ر			٥٥	ط	ل	س	
٢٧	دلس	د	ل	س			٥٦	ط	م	س	
٢٨	داس	د	ا	س			٥٧	ع	ف	س	
٢٩	رياق	ر	ب	ا	ق		٥٨	ع	ف	ط	

الاحرف					تسلسل الكلمة	تسلسل الاحرف	تسلسل الكلمة
٥	٤	٣	٢	١			
		ص	و	م	٧٦	غ	غبشة
		خ	ت	ن	٧٧	ش	غمس
		ر	ت	ن	٧٨	س	فح
		ش	ت	ن	٧٩	ح	فطس
		ع	ت	ن	٨٠	ط	قرط
		ق	ت	ن	٨١	س	كت
		د	ش	ن	٨٢	ك	كشم
		ل	ش	ن	٨٣	م	لبد
ي		م	ش	ن	٨٤	ب	لبط
		ل	ص	ن	٨٥	د	لت
		ت	ك	ن	٨٦	ب	لخ
		ز	ك	ن	٨٧	ط	لز
ش		و	ا	ن	٨٨	ز	مشرمح
		ج	هـ	هـ	٨٩	ح	مش
		م	و	ج	٩٠	م	مرمط
		ش	و	ورش	٩١	ر	ملصر
						ص	ملفع
						ل	
						ف	
						ع	

بيانات إحصائية

❖ عدد الكلمات المدروسة (٩١) كلمة عدد حروفها (٢٩٤) حرفاً توزعت كما يلي:

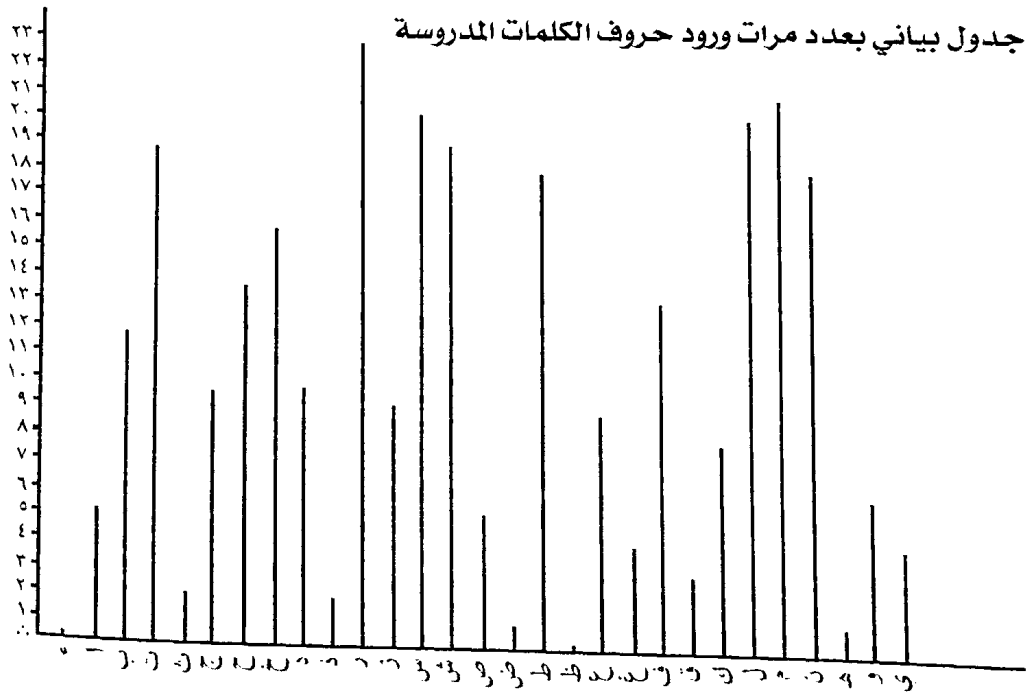
٥	١	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
٠	٥	١٢	١٩	٢	١٠	١٤	١٦	١٠	٢	٢٣	٩	٢٠	١٩	٦
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي	
١	٨	٠	٩	٤	١٣	٣	٨	٢٠	٢١	١٨	١	٧	٤	
ء	ظ	هـ	ض	ث	ذ	ق	ي	غ	ا	ص	و	ك	ع	ز
٠	٠	١	١	٢	٢	٣	٤	٤	٥	٦	٧	٨	٩	٩
ج	د	ب	ف	ح	خ	ن	ط	ش	ت	س	ل	م	ر	
١٠	١٠	١٢	١٣	١٤	١٦	١٧	١٨	١٩	١٩	٢٠	٢٠	٢١	٢٣	
ب	ج	د	ذ	ر	ز	ض	ظ	ع	غ	ل	م	ن	وي	
١٢	١٠	١٠	٢	٢٣	٩	١	٠	٩	٤	٢٠	٢١	١٨	٤٧=١٥٨	
ا	ت	ث	ح	خ	س	ش	ص	ط	ف	ق	ك	هـ		
٥	١٩	٢	١٤	١٦	٢٠	١٩	٦	١٨	١٣	٣	٨	١	١٤٦=	

جدول بالكلمات المدروسة موزعة إلى مجهورة أو مهموسة أو مشتركة

تسلسل	الكلمة	الحروف المجهورة	الحروف المهموسة	النتيجة	الكلمة	الحروف المجهورة	الحروف المهموسة	النتيجة
١	برطم	ب. ر. م.	ط	مشتركة	رك	ر	ك	مشتركة
٢	بلص	ب. ل	ص	مشتركة	زحر	ز. ر	ح	مشتركة
٣	تخ	ت. خ		مهموسة	زعل	ز. ع. ل		مجهورة
٤	تل	ل	ت	مشتركة	زمع	ز. م. ع		مجهورة
٥	ثبر	ب. ر	ث	مشتركة	زنخ	ز. ن	خ	مشتركة
٦	جذل	ج. ذ. ل		مجهورة	سجم	س. ج. م	س	مشتركة
٧	جرزة	ج. ر. ز	ة	مشتركة	سحل	ل	س. ح	مشتركة
٨	جمز	ج. م. ز		مجهورة	سدح	د	س. ح	مشتركة
٩	حذافير	ذ. ي. ر	ح. ا. ف	مشتركة	سرط	س. ط		مشتركة
١٠	حرش	ر	ح. ش	مشتركة	سقط	ر	س. ف. ط	مهموسة
١١	حسوة	و	ح. س. ة	مشتركة	سلت	ل	س. ت	مشتركة
١٢	خبص	ب	خ. ص	مشتركة	سولف	و. ل	س. ف	مشتركة
١٣	خبط	ب	خ. ط	مشتركة	سير	ي. ر	س	مشتركة
١٤	خبين	ب. ن	خ	مشتركة	شعف	ع	ش. ف	مشتركة
١٥	خربش	ر. ب	خ. ش	مشتركة	شاح	ل	ش. ح	مشتركة
١٦	خرط	ر	خ. ط	مشتركة	شمط	م	ش. ط	مشتركة
١٧	خرع	ر. ع	خ	مشتركة	شنيئة	ن. ي	ش. ة	مشتركة
١٨	خمش	م	خ. ش	مشتركة	صك	ص. ك		مهموسة
١٩	خمط	م	خ. ط	مشتركة	طمر	ر	ط. ح	مشتركة
٢٠	خنة	ن	خ. ة	مشتركة	طس	ط. س		مهموسة
٢١	خناية	ن. ب	خ. ا. ة	مشتركة	طفح	ط. ف. ح		مهموسة
٢٢	دج	د. ج		مجهورة	طنش	ط. ف. ش		مهموسة
٢٣	دحم	م. د	ح	مشتركة	طلس	ل	ط. س	مشتركة
٢٤	دعس	ع. د	س	مشتركة	طمس	م	ط. س	مشتركة
٢٥	دغر	د. غ. ر		مجهورة	عفس	ع	ف. س	مشتركة
٢٦	دفر	د. ر	ف	مشتركة	عفت	ع	ف. ط	مشتركة
٢٧	دلس	د	س	مشتركة	غبشة	غ. ب	ش. ة	مشتركة
٢٨	داس	ر. ب	ا. س	مشتركة	غمس	م. غ	س	مشتركة
٢٩	رباق	ر. ب	ا. ق	مشتركة	فح	ف. ح		مهموسة
٣٠	رضخ	ر. ض	خ	مشتركة	فطس	ف. ط. س		مهموسة
٣١	رغووث	ر. غ. و	ث	مشتركة	قرط	ق. ر. ط		مهموسة
٣٢	رفس	ر	ف. س	مشتركة	كت	ك. ت		مهموسة

جدول بالكلمات المدروسة موزعة إلى مجهورة أو مهموسة أو مشتركة

الترتيب	الكلمة	الحروف المجهورة	الحروف المهموسة	النتيجة	الترتيب	الكلمة	الحروف المجهورة	الحروف المهموسة	النتيجة
٦٥	كشم	م	ك، ش	مشتركة	٧٩	فتش	ن	ت، ش	مشتركة
٦٦	لبد	ل. ب. د		مجهورة	٨٠	نتع	ن، ع	ت	مشتركة
٦٧	لبط	ل. ب	ط	مشتركة	٨١	نتق	ن	ت، ق	مشتركة
٦٨	لت	ل	ت	مشتركة	٨٢	نشد	ن، د	ش	مشتركة
٦٩	لخ	ل	خ	مشتركة	٨٣	نشل	ن، ل	ش	مشتركة
٧٠	لز	ل. ز		مجهورة	٨٤	نشمي	ن، م، ي	ش	مشتركة
٧١	مشرمح	م. ر	ش. ح	مشتركة	٨٥	نصل	ن، ل	ص	مشتركة
٧٢	مش	م	ش	مشتركة	٨٦	نكت	ن	ك، ت	مشتركة
٧٣	مرمط	م. ر	ط	مشتركة	٨٧	نكز	ن، ز	ك	مشتركة
٧٤	ملص	م. ل	ص	مشتركة	٨٨	ناوش	ن، و	ا، ش	مشتركة
٧٥	ملفع	م. ل. ع	ف	مشتركة	٨٩	هج	ج	هـ	مشتركة
٧٦	موصل	م. و	ص	مشتركة	٩٠	وجم	و، ج، م		مجهورة
٧٧	نتخ	ن	ت، خ	مشتركة	٩١	ورش	و، ر	ش	مشتركة
٧٨	نتر	ن. ر	ت	مشتركة					



الحكاية الشعبية

الفراتية

محمد جاسم الحميدي

الحكاية الشعبية الفراتية

لقد أردنا أن تكون هذه المقدمات النظرية شاملة وموجزة في آن واحد حتى لا نكرر كلاماً كثيراً، أو نغرق في محاحكات نظرية، ونجهد انفسنا فيما لا اجتهاد كبير فيه، حتى إذا وصلنا الى غايتنا وهي الحكاية الفراتية، وصلنا مجهدين ومتعجلين مع أن هذا هو الميدان الذي يحتاج الى جهودنا وتديقنا وتفصيلنا.

وشاملة لتبين آفاق البحث العلمي وتعدد مناحيه واتجاهاته ومناهجه وليكون حديثنا عن الحكاية الشعبية الفراتية متسماً بالوضوح والدقة، ولتتمكن من ذكر نقاط الاختلاف بين تلك المقدمات النظرية، وبعض مانراه او لنضيف فروقاً بين الأجناس القصصية في تراثنا الشعبي التي لم ينته اليها احد من قبل، ثم لنبين مدى التنوع في اساليب القص وغزارة النتاج الفراتي في هذا الميدان.

ابتداء لا بد من الإشارة الى أن الحكاية الفراتية ليست إلا جزءاً من الحكاية الشعبية العربية حيث تنبع هذه الحكايات من الأسس نفسها وتنطلق من الجذور ذاتها، وتخضع للشروط نفسها التي خضعت لها الحكاية الشعبية العربية.

وسكان الفرات هم قبائل عربية بدوية أو نصف متحضرة او مازالت على حافة البداوة، حيث يقيمون منازلهم ليهجروها في مواسم أخرى وهذه القبائل نزحت في اوقات متباعدة او متقاربة من الجزيرة العربية، إذ ظلت الجزيرة العربية منذ الهجرات السامية الاولى الخزان البشري الذي يفيض على الاطراف الى بادية الشام ثم الفرات، أو سلكت طريق العراق، ثم استقرت في وادي الفرات في الجزيرة والشامية.

واختلاف الحياة ونمط المعيشة بين البدو والريفين نصف المتحضرين ساهمت في تنوع اساليب القص، وموضوعات الحكى والسوالف وإذا كانت اساليب القص المنتشرة عند هؤلاء وأولئك لا تختلف اختلافات جوهرية إلا أن لكل منهما اساليبه

المتميّزة التي تسعى لتوكيد ذاتها .

فالبدو مثلاً ، يميلون الى الحكى عن شخصيات حقيقية كانت فيما مضى وهذه الشخصيات إما رؤساء قبائل أو شعراء أو عشاق ، أو يجمعون هذه الصفات في شخصية واحدة .

وحكايات الابطال هي حكايات عن الاسلاف إذ أن هؤلاء شخصيات حقيقية كان لها أثرها الكبير في حياة القبيلة ، في صراعها مع الطبيعة والجفاف او المرض او في صراعها مع القبائل الأخرى .

أما حكايات العشاق والشعراء فهي أيضاً غالباً ما تدور حول شخصيات واقعية وتحدث حكاياتهم عن عشق متميز ونادر ، أو ثار ، أو بطولة نادرة ، أو كرم لامثيل له ، أو وفاء ، أو شهامة ، أو ندالة ، أو فراسة . . وقد تحدث عن عزيز قوم ذل ، غدر به الزمان وانحطت به الحال وعمل عبداً يدق القهوة عند الشيوخ ، او ضيفاً . . ويظل هذا تدل عليه افعاله وتصرفاته وتنبئ عن اصوله الكريمة ، الى أن يحدث ما يجعله يكشف عن شخصيته الحقيقية .

وحكاياتهم هذه وان كانت تبدأ في قبيلة تمجيداً لابنائها واسلافها ، وتعظيماً لشأن ابطالها وعشاقها وشعرائها إلا أنها لا تلبث ان تشيع بين القبائل جميعاً ، يتناقلونها ويتحدثون بها تزجية للفراغ وتذكراً في البطولات وطريقة واسلوباً لنقل القيم والمعارف فالحكي هو أهم اسلوب تربوي ينقل قيم الجماعة ، ويصوغها ويحافظ عليها وقد قيل عن البدو ان (مدارسهم مجالسهم) ، او بالعكس .

وحكايات الاسلاف خاصة تشيع في كل قبيلة على حدة ، إذ لكل قبيلة اسلافها وعظماؤها الذين تعز بهم وتفتخر بهم ، وتباهي بهم بين القبائل الاخرى وحكايات الاسلاف هي مادة اساسية للفخر فكل يذكر حكايات اجداده ويبهرها لتسطع ولتخمل حكايات اجداد الآخرين .

أما حكايات الشعراء والعشاق والناس العاديين فتشيع وتنتشر بينهم جميعاً . وهذه الحكايات لا تخلو في حقيقتها من القصيد المحب الى قلب البدوي ، ففي المواقف الحرجة تبرز القصيدة كأسلوب أعلى من اساليب التعبير ، يحب النثر ويرتقي الى سدة الاقناع بما يحدث او يصدّق الحديث النثري ويؤكدده وحين تسمتع الى هذه الحكايات يخيّل اليك انه مامن بدوي او بدوية إلا ويقول القصيد ويفهمه ، فالعاشق

الذي يرى فتاة للمرة الأولى تبهره بحسنها وجمالها يقول بيتاً أو أبياتاً من الشعر فتزد عليه الفتاة بيت آخر يكون جواباً لما ورد في أبياته، وقد يقع الرجل في ضيق فيقول بيت شعر فيفهمه من حوله فالشعر ابن التجربة ينبع منها، ويتفاعل معها، ولا يقال هكذا جزافاً، بل لابد من ارتباطه بحدث ما.

كذلك فإن الحوار في حكايات العشاق خاصة ليس حواراً مباشراً إنه لمحات او اشارات او كنايات او توريات تحتاج الى سرعة بديهة لادراكها او خبرة طويلة لمعرفة فحوى تلك الاشارات او الكنايات او الاجابات المبهمة.

وتمتاز تلك الحكايات بفطنة ابطالها، وقدرتهم على ادراك اللوحة العابرة والاشارة السريعة، كما يمتازون بسرعة البديهة والشهامة والنخوة، والفراسة بل ان حكايات الفراسة غير المعللة احياناً تشكل تراثاً كبيراً بين حكايات البدو، ففي هذا المجتمع الذي لا شيء يسجل فيه، ولا دوائر للنفوس، والفرد لا يفصح عن نفسه، ولا ينسب نفسه الى قبيلته، إن كان في أرض غريبة خوفاً من الثأر، فإن ذلك يجعل الفراسة هامة حيث ينسبون الناس الى قبائلهم، أو حتى الى آبائهم دون أن يتكلم هؤلاء، أو يفصحون عن أسمائهم.

وفي هذا المجتمع حيث العرف والعادة، لا القوانين المكتوبة هي التي تفصل في المنازعات والخلافات، يظهر العارفة، وقد يكون رجلاً أو امرأة واضح الرؤية دقيق الحكم.

إن الكثير من الحكايات تتحدث عن هؤلاء وتؤكد صواب نظرتهم ولعلها بذلك إنما تهدف الى وظيفة محددة، وهي عدم الشك، في أحكامهم. وللغزو أثر كبير في نشأة ونقل حكايات البطولة حيث يجدون ابطالهم، ويعبؤون النشء بأفكار البطولة في مجتمع يؤرخ له بأيامه وغزواته، كما كانت الحال من قبل عند اسلافهم الجاهليين.

أما حكايات العشاق والشعراء التي تتحدث عن العشاق فإنها غالباً ما تكون تعويضاً عن الحرمان الواقعي، فضلاً عن أنها تتغنى بالرحيل والهجرة والاحبة الذين بانوا استجابة لواقع الحال القائم على حياة التنقل والرحيل عندهم. ويشارك الريفيون البدو في هذا فينقلون الحكايات البدوية، ويعجبون بها ويستلذون بها، ويحفظون قصائدها، ويروونها مقلدين اللهجة البدوية في الحوارات

وفي القصيد على نحو خاص .

لكنهم بالمقابل ينشئون حكاياتهم الخاصة التي من هذا القبيل ، فيتحدثون عن شخصيات بطولية في حياة العشيرة هم غالباً أسلافها وشيوخها الأولون الذين امتازوا بالفراسة او الفروسية والشجاعة النادرة ، والكرم الحائمي .

وكثيراً ما يتحدث الشخص صاحب البطولة عن بطولته ، ثم ينقلها ابناؤه ، او افراد قبيلته وفي هذه المرحلة حين يعاصر صاحب البطولة فإنه يسند القول الى صاحبه فيقول «قال : قلت : لاصحابي» او قال : التفت الى جماعتي . . وحملت بارودتي .

ثم بعد ذلك تنتشر الحكاية ويغيب راويها «الصحابي» الذي سمعها مباشرة من فم صاحبها ، وبالتالي يغيب الاسناد ، وفي حالات كثيرة تظل هذه الحكايات تروى على لسان صاحبها ، فلاتذكر سلسلة الاسناد ، ولكن الراوي يسند القول مباشرة الى البطل نفسه ، إذا كان هو من روى الحكاية عن نفسه ، وقد تتحول هذه الحكايات الى حكايات عامة تنقل الى القبائل الأخرى ، وذلك حسب قوة القبيلة وانتشارها ، وتأثيرها في محيطها من القبائل المجاورة .

وطرائق النقل متعددة فإذا حدثت مناسبة عامة أو شجار بين قبيلتين وجاء الشيوخ والعارفون ليكونوا حكماً بينهما ، واستضافتهم احدى القبيلتين ، فإن الشيوخ يطلبون من الرواة المتميزين فيها ان يتحدثوا عن حكايات اجدادهم واسلافهم فيذكرون الحكايات بحسب ما امتاز به جدهم فقد يكون عارفة ، وقد يكون مشهوراً بالبطولة ، وقد يكون مشهوراً بالكرم فيتحدثون بحكايات تناسب المقام .

وقد يقصر الضيوف انفسهم بعضاً من حكايات اسلاف القبيلة المضيفة اظهاراً لاحترامهم لها ، وتودداً وقد شهدنا حكومة من هذا القبيل ، في قرية «قصيرة محمد الجربوع» في محافظة الرقة .

وعلى كل حال فهذه احدى الطرق في انتقال الحكايات ، وانتشارها ، وفي صراع القبائل المميت تنظر كل قبيلة الى الأمر من وجهة نظرها ، فعن غزوات واحدة ومتبادلة بين طرفين ، ينشئ كل طرف حكاياته التي تمجد ابطاله ، ويعتمد حكاياته ، ولاينقل حكايات الطرف الآخر ، اما إن كان الصراع موجهاً الى عدو مشترك لتجمع قبلي ، أو كان ضد عنصر أجنبي فإنهم يحافظون على هذه الحكايات ، ويتناقلونها ، مثل الحكايات البطولية الفردية أو الجماعية ضد الأتراك أو الفرنسيين ، أو ضد عدو

مشارك من تجمع القبائل ، وهذا كثير جداً خبرته العشائر الفراتية في صراعها مع
تجمعات عشائرية مناوئة لها : مثل البدو ، وحيس . . . إنها أيام كأيام الجاهلية ، يوم
لك ويوم عليك ، الصراع سجال ، والنصر سجال ، وكل يصوغ حكاياته التي
تمجده ، لكن هذا الصراع انقرض منذ وقت غير قليل .

وتنشأ الحكايات أيضاً وتنتشر من خلال الصراع الاعلامي بين القبائل ، فالقبيلة
نفسها تمجد ابطالها ، فتحكي عن اسلافها الابددين والاقربين حكايات عن كرمهم
وفروسيتهم وذكائهم وشهامتهم وبالمقابل تخلق حكايات مزرية تحط من شأن اسلاف
قبيلة معادية فتصفهم بالبخل او بالجبن او بالكذب ، أو عدم الرصانة ، او قلة الدين . .
وتكون حكاياتهم عن خصومهم اقرب الى النكت والظرائف والنوادر .

وكل قبيلة تخلق اساطيرها التي تدور حول الاسلاف ، وتكون الاسطورة عادة
متناسبة مع ما يشيع عن هذه القبيلة ، فالقبيلة التي تعرف بالكرم وتشتهر عادة به ،
تخلق اسطورة تتناسب مع ذلك والتي تعرف بالبطولة والفروسية تخلق اسطورتها
البطولية ، والتي تشتهر بالتدين تخلق اسطورة كراماتية من كرامات الاولياء من ذلك
أن الحليين قبيلة اشتهرت بأنها من اولاد الشيخ عيسى ، وبأن نسبهم يرجع الى
الحسين بن علي بن أبي طالب ، اي انهم (حسينية) ، وهم يفسرون تسميتهم باسم
الحليين بأسطورة تعود الى أحد أجدادهم ، إذ كان جدهم في بيته عندما قدم عليه
عدد كبير من الجنود الاتراك ، فقدم لهم كل ما يملك في بيته ، ولكن هؤلاء رأوا ان
يسخروا منه ، فقالوا له : نريد حلياً .

قال : ليس لدي إلا هذا التيس . . !

قالوا : احلبه ! .

وراحوا يقهقهون ساخرين ، فنخا الشيخ اجداده ، وشمر عن سواعده ، وقد تملكه
الغضب ، ومد يديه الى التيس مسمياً بسم الله الرحمن الرحيم ، فراح التيس يحلب
وارتفعت الرغوة اشباراً فوق الحليب ، وشرب الجند التركي وغيرهم حليب
التيس . . !

أما حكايات العشق - عند الريفيين - فهي احياناً حكايات واقعية ، وحياناً خيالية
وحتى تلك التي لها أصول واقعية فإن الخيال ، وميلهم الى الدهشة والابهار تجعلها
بعيدة عن الواقع ومغرقة في الخيال ، وفي كل الاحوال فهي حكايات تنتهي غالباً

بالفشل الذريع والخيبة والجنون والموت وتتشابه مع حكايات العذريين .
هذه الخيالية في حكايات العشاق عند الريفيين ، تقابلها الواقعية في حكايات
العشاق البدوية ، وإذا كانت هذه الأخيرة لا تنتهي غالباً بنهايات فاجعة ، فإنها تمتاز في
كثير من الأحيان بسرعة البديهة وبحيوية مدهشة .

وتلك الحكايات البدوية تحتفل بالقصيد أيما احتفال ، فتغص بأبيات الشعر ، أما
عند الريفيين فإنها تحتفل بالأغاني فتغص بها .

إن حكايات العشاق لا تكون دون قصيد أو أغان .

إن الكثير من حكايات البطولة أشبه بملاحم عن شخصياتها ولكن هذه الملاحم
تقتصر غالباً على حدث أو فعل معبر هو مقصد الرواية من روايتها ، إنها أشبه
بالأخبار التي تتناولها كتب التراث العربي في حديثها عن شخصية ما ، فتروي
بطولتها أو طرفاً من أخبارها ولا تروي حياتها كاملة ، بل إنها لا تعنى بإيراد حياتها ،
بل تعنى فقط بالموقف المعبر ، واللحظة المختارة التي تستحق أن تسجل وحتى حين
تحدث باستفاضة فإنها تحشد جملة من المواقف أو الحوادث كل موقف أو حادث
يقوم بنفسه والجامع بينها هو الشخصية ، فحياة الشخصية ليست استمراراً بل هي
ما يبقى فقط من مواقف أو حوادث تستحق التسجيل ، ويمكن أن تكون شيئاً مؤثراً
وماثوراً .

إن هذه الحكايات لا تقع ضمن حكايات البطولة ليس لأنها تفتقر إلى البعد
التراجيدي ، ذلك أن السير الشعبية ، وهي حكايات بطولية تفتقد إلى البعد
التراجيدي ، ولكنها حكايات شعبية ، فهي واقعية المنحى ، تهتم بالتجربة والبيئة
وتهدف إلى غاية أو غايات معينة ، وإبطالها واقعيون لا يقتلون حيوانات خيالية
خرافية ، بل يواجهون شخصيات حقيقية من لحم ودم يبرزون لهم فيقاتلونهم قتال
رجل لرجل ، أو يواجهون حيوانات كاسرة (الأسد - الذئب) فيتغلبون عليها
بشجاعتهم وقوتهم .

إن البعد التراجيدي في الحكاية غالباً ما يظهر في حكاية العشاق الريفية ، فالموت أو
الجنون أو الضياع هو المصير النهائي للبطل أو البطلة .

والحكايات الشعبية متنوعة جداً فالحكايات الساخرة منها أشبه بالطرائف ويمكن أن
نسميها (النوادر) وذلك بالمعنى اللغوي الأصلي لهذه الكلمة ، أي ذلك قليل الوقوع

وما يحدث نادراً وقليلاً وكل ما هو خارج عن المؤلف يحدث قليلاً ونادراً شأن هذه الحكايات .

إن النوادر حكايات شعبية بحد ذاتها ، انها حكايات ساخرة لكنها غالباً قصيرة جداً تقتصر على حدث يبرز سلوكاً مستهجنأ أو طبعاً سيئاً . . يثير الضحك ويبرز ذلك من خلال المفارقة بين ما يجب ان يكون عليه السلوك او الاستجابة ، وبين ما يحدث فعلاً وقد نما - اغلب هذا النوع من الحكايات في الصراع الذي كان مستعراً بين البدو والريفيين ، وبين هؤلاء والمدنيين . . !

كل ينشئ حكاياته ونوادره للسخرية من الآخرين ، وقد تكون هذه الحكايات في غير ذلك أيضاً ، وهم يطلقون على هذه الحكايات كلها كلمة (الحكي) ، أو (السوالف) ، ونادراً الحكاية . والحكي كلمة عامة ومنها اخذت الحكاية وهي ذات شكل معين من الحكي وهم بالتالي يكادون يستخدمون كلمة (الحكي) بمعنى الجمع اي الحكايات اي في جلسة واحدة لا يحكون حكاية واحدة ، بل يتذكرون الحكايات ويذكر كل منهم بعض ما يعرف منها .

أما كلمة (السالفة) فهي أيضاً تدل على الموضوع فالسالف هو المتقدم ، والسلف والسليف والسلفة : الجماعة المتقدمون .

والأثم السالفة : هي الماضية ، وتجمع : سوالف هذا ما تجده في اللسان ، ولكن معناها تطور فيما بعد نتيجة الاستخدام الكثير ، فبدلاً من أن تدل على الأثم السابقة ، او الجماعة المتقدمة اصبحت تدل على الحكاية التي تروى عن هؤلاء ، ولهذا الانتقال في المعنى نظائر كثيرة في العربية .

ولم يستخدم العرب فعلاً لهذه الكلمة ، ولكن الفراتيون اشتقوا منها وتصرفوا فيها تصرفاً واسعاً بحسب حاجتهم فقالوا : سولف يسولف سالفة وسلوفة ، والجمع السوالف والسواليف ولعل جمعاً لسلوفة ، جمعاً للجميع ، وعلى كل حال فإن الانسان هنا لا يحكي الا عما سلف ، عما حدث وانتهى واصبح في ذمة الزمن .

وهم عادة يميزون بين السوالف والحكي من جهة وبين الخرفات من جهة ثانية ، فالخرافة غير السالفة ويقولون ايضاً (الخروفة) ويجمعونها على (خواريف) والفعل : خورف يخورف خروفة .

وتكاد تقتصر الخرافة على الأسرة ، فالأسرة وحدها هي التي تتناقل «الخروفة» او

تتذكرها الفتيات من الاسر المختلفة حين يجتمعن ، أما المجالس الأخرى فلا تذكرها ولم اصادف قط جمعاً من الرجال او جلسات عدة عائلات مع بعضها بعضاً «يتخورفون» بل هم يحكون فقط ، أو يتسولفون وهذا يساعدنا كثيراً في تصنيف الحكايات الشعبية والحكايات الخرافية ، فنستطيع ان نفصل بينها بسهولة نسبية .

وهم حين يتحدثون فيحكون الحكايات الشعبية ، كثيراً ما يقدمون لذلك بالحديث عن غرضهم من عرضها خاصة إذا كانت حكايات وعظية او يذكرون غرضهم في نهاية الحكاية مقارنين بين ماتقوله الحكاية وواقع الحال فلعرضها غرض انتقادي فهم يقصون حكاية تتشابه مع واقعنا الحالي وتدل عليه وتنتقده .

وقد يغيب الغرض النقدي ، فالمقصود برواية الحكاية هو مجرد التسلية ، وحكايات التسلية وتزجية الفراغ دون هدف محدد كثيرة .

وعلى كل حال فإن إحدى أوجه الاختلاف بين الحكاية الشعبية والخرافة ، أن الخرافة لا تستخدم الشعر أبداً كالحكاية الشعبية ، ولكنها تستخدم عبارات مشجعة في المواقف الحرجة او الدقيقة او الهامة ، وتؤكد المعاني من خلال تكرارها .

والخرافة خلافاً للحكي والسوالف والنوادر ، لا تحكى في النهار مهما كان السبب لأن (اللي يخورف بالنهار يصير حمار) .

بقي أن نتحدث هنا عن الاحاجي والألغاز والنكت ، إذ نجد أحياناً أن الحكاية تتألف من احجية او لغز او نكتة ، والحقيقة ان هذه هي احدى الطرائق لتوصيل الاحجية او اللغز او النكتة الى المستمع ، فهذه ليست من اشكال القص ولكنها قد تكون هي العنصر الرئيسي او السائد او المسيطر في الحكاية ، انها من موضوعات الحكاية فهذه العناصر تدخل في الحكاية ، وتحمل لها طابع التشويق والتسلية والمتعة او النقد .

كذلك نلاحظ أن بعض الحكايات تقوم على شرح مثل شعبي أو عدة امثال شعبية ، وعموماً فإن استخدام هذه العناصر (الاحجية - الامثال الشعبية) لا يجعل الحكاية مقبولة ومفعمة بالحكمة فقط ، بل إن هذه العناصر نفسها تصبح مقبولة من المستمع ، ويقبل عليها بشغف ، ويستوعبها بسرعة لأنها وردت في إطار حكاية فالذهن الشعبي لا يلجأ الى الأسلوب التعليمي المباشر بل يصل الى هدف التربية عن طريق المتعة .

أما الحكاية التعليلية او التفسيرية وهي كثيرة فيمكن ادراجها تجاوزاً في مفهوم الاسطورة ، الاسطورة بالمعنى العام للكلمة ، ذلك أن الاسطورة تدور حول الآلهة والاحداث الخارقة ، وتشرح بمنطق العقل البدائي ظواهر الكون والطبيعة والعادات الاجتماعية ، وما زالت هذه الحكايات ذات طبيعة اعتقادية وخاصة تلك المرتبطة بالدين الإسلامي .

بنية الحكاية الشعبية الفراتية

م تتألف الحكاية؟ وكيف تكون؟ وما شكلها؟ وما دلالاتها؟

لأنزعم هنا أننا سنقدم دراسة مورفولوجية على غرار دراسة فلاديمير بروب آخذين بمنهجه ، معيدين الحكاية كلها الى شكل او قالب واحد تنطلق منه بالرغم من تنوعها واختلافها الظاهر ، ولكننا سنتناول الحكاية بطريقة تقليدية مستفيدين بشكل ضمني من منهج بروب ، منطلقين اساساً من اعترافنا بالنتيجة التي توصل لها وهي أن الحكايات الخرافية بالرغم من تنوعها الظاهر ترجع كلها الى نمط واحد تصدر عنه .

آ - البداية «الاستهلال» :

تبدأ الحكايات الخرافية الفراتية على النحو التالي :

- كان ياما كان نحكي ألا نام؟

- نحكي

هذا هو الأكثر ، ولكن قد يبدأ الراوي بالقول :

- أكسبكم الصلاة على رغيف وبصلة .

- اللهم صلي على سيدنا محمد .

أو :

- أول ما نبدي بالصلاة على سيدنا محمد .

- اللهم صلي على سيدنا محمد .

أو :

- كان ، وأنتم سالمين .

- الله يسلمك .

الحكاية هي اتفاق بين طرفين الملقي والمتلقي ، وهنا لا يكون المتلقي واحداً إلا في حالات نادرة ، صحيح ان الحكوي لا يكون إلا باثنين ولكن المتلقي هنا متعدد اطفالاً

وفتيات ونساء .

وإن لم يبد الملقي اهتمامه ورغبته في الحكيم فإن الحكاية لن ترى النور كما يجب ، بل لن يبدأ الملقي في روايتها أصلاً فحلاً للكتاب فإن فنون الأدب الشعبي التي تروى شفاهاً ومواجهة تشبه المسرح في هذا ، إذ قد ينصرف المتلقي عن الاهتمام بالحكاية إن لم تعجبه ، وسينصرف عنها إن لم تشده ، وابتداء لا بد أن يعلن وبصوت مسموع كل من الطرفين رغبته في الحكاية .

يبدأ الملقي بتنبيه المستمعين إلى أنه سيبدأ الحكاية فماذا يختارون النوم أم الحكاية؟ . . (كان ياماكان في قديم الزمان نحكي ألا نام؟) إن الاتفاق حقاً ، وقع قبل هذا ولكن هذا القول تأكيد له ، وتنبيه للمستمع كي يصغي ، أما إن أراد النوم فلينصرف منذ الآن ، ولا يقطع الحكاية ، بعد ذلك ، أو يقاطعهما لأن أشد ما يزعج الراوي هو أن تقاطع حكايته ، وهو يرويها وإن رأى انصرافاً عنها ، أو تدخلاً فيها ، أو سخرية من أحد المستمعين انصرف عن القائها غاضباً ومنزعجاً فيزجر بقية المستمعين المستمع المشاغب ، ويرجون الراوي الاستمرار في روايته وقد يستجيب أو لا يستجيب وهم في زجرهم للمستمع المشاغب ، أو في زجر الراوي له يسخرون قائلين : ابعض الراوي ولا تبعض السالفة ، أي لا تتدخل فيها ، لأن ذلك يتساوى مع هذا الفعل المنافى للحشمة .

والراوي أصلاً ، يدرك سلفاً أنه إن لم يسيطر على المستمعين فإن حكايته فاشلة يجب أن يتحقق الإيهام ، ويجب أن يتحول المستمعون إلى آذان صاغية ، وعيون مفتوحة ومندهشة ولا يتدخلون في الحكاية ويقاطعون الراوي بأنه أخطأ هنا وأن الرواية الصحيحة ليست على هذا النحو ، مثلاً بل هي على نحو آخر .

إن الراوي وإن كان يشير أحياناً إلى أن حكايته هي كذب في كذب ، من أولها إلى آخرها إلا أنه حين يباشر في روايتها يباشر بجدية ، ويصبح الإيهام الذي نبه المستمعين إلى عدم الوقوع في شراكة هو الهدف الذي يؤكد ما إذا كانت الحكاية تسير في طريق الفشل أو النجاح .

وقولهم (نحكي ألا نام) تفصح من جانب آخر عن اعتقاد شعبي يرى أن (الخرافة) لا تحكى إلا ليلاً ، ويحذر من روايتها نهاراً تحذيراً قاطعاً (اليخورف بالنهار يصير حمار) ، ولا ندري السبب الحقيقي الكامن وراء ذلك ، ولعله يعود لأدراكهم أن النهار

هو للعمل والكسب والسعي وراء الرزق ، أما الخرافات فهي تلهي الانسان وتصرفه عن عمله ، لذلك حذروا من حكاية الخرافة نهائياً واجازوها ليلاً ، لأن الليل بهدوئه وسكونه وتوحده يفتح المجال واسعاً للخيال المبدع ، ويقتصر هذا التحذير على الخرافة ، أم الحكايات الشعبية الأخرى فلا تبدأ بهذا الاستهلال ، وتحكى في كل وقت .

وغالباً ، إن لم نقل دائماً فإن الاجابة تكون نحكي . . . ! فمن ينصرف عن الحكاية الى النوم ، النوم فعل البهائم ، والحكي فعل الانسان ، كما تعبر بعض الاغاني الشعبية عن ذلك (النوم للبهائم وأهل الهوى بالويل . .) .

وقد يكون تنبيه المستمعين بشكل آخر ، فبعد أن يجري الاتفاق على الحكي يبدأ الملقي منبهاً المستمعين قائلاً : اكسبكم الصلاة على رغيف وبصلة .
ويكون الجواب : اللهم صلي على سيدنا محمد .

أو :

- أول مانبدي بالصلاة على سيدنا محمد .

- اللهم صلي على سيدنا محمد .

أو :

- كان ، وأنتم سالمين .

- الله يسلمك .

وفي الأخيرة يكون قد بدأ الحكاية فعلاً والجملة الاعتراضية وأنتم سالمين ، تكون رداً على (كان) تلك التي تشير الى أن من ستحكي عنهم الحكاية اصبحوا في عداد الأموات ، مضوا وانتهوا والراوي يطلب البقاء والسلامة للحاضرين ليتجنبوا مصير السابقين السالفين .

كل ما ذكرناه يعتبر استهلالاً ، وتنبيهاً للبداية لم تبدأ بعد ، إن الاستهلال ليس جزءاً من الحكاية ، ولا بداية لها ، ولكنه يسبق البداية لينبه السامعين ، ليشير فضولهم ، وليهيئهم للاصغاء وليذكرهم بشروط الاصغاء ايضاً .

أما البداية نفسها فغالباً ما تبدأ على النحو التالي ، في كل حكاية خرافية (كان ياماكان في قديم الزمان رجل ومرته) أو (كان ياماكان ، كان رجل ومرته) او (كان ياماكان ، كان في قديم الزمان رجل ومرته . .) ان الزمن دائماً هو الزمن الماضي ،

إضافة الى ذلك يذكر هذا الزمن صراحة (قديم الزمان)، وقد تبدأ الحكاية (كان رجل وبنته . . .) أو (كان هناك امرأة لا تحبل ولا تجيب . .) أو (هناك رجل ومرته . .) أو (بيته ملك وعنده ثلاثة أولاد . .) ان «بيه» تعني وجد وذلك في الزمن الماضي، وقد تستخدم «بيه» او (هناك) مركبة مع كان فيقال (كان بيه . .) او (كان هناك . .) اما المكان فهو يقع ايضاً بعيداً عنا كالزمن، فهناك وجدوا لاهنا.

وتستمر المقدمة بعد ذلك، ولناخذ مقدمة كاملة لإحدى الحكايات (كان هناك رجل ومرته عاشا بعيداً عن ابنتهما المتزوجة وفي يوم من الايام، وقد احسا بالوحشة قال الرجل لزوجته: لنذهب يامرة ونزور بنتنا الوحيدة اشترى الرجل محرمة وحذاء وعكة سمن وثوباً وسارا . . .).

هذه هي المقدمة كاملة، وبعدها تبدأ مغامرات الزوجين (قيقة وما قيقة)، حين يتوجهان الى ابنتهما، ما يلاقياه في سفرتهما الملحمية، ومغامراتهما الدونكيشوتية. والمقدمة تصنف وضعهما وما قرراه ليبدأ جسم الحكاية من بعد، وقولهم (في يوم من الأيام) هو نقطة البداية عادة في الانتقال من المقدمة الى جسم الحكاية، إذ منذ هذا اليوم ستبدأ سلسلة الحوادث تترى وتتنامى، أو تتكدس وتتابع.

فهذا اليوم يختلف عن غيره لأن الحوادث تبدأ به، بغض النظر عن زمنه قبل الأحداث . . ولا يحدث هذا في المقدمة فقط، بل قد يقع أيضاً داخل جسم الحكاية، بل إنه يستخدم بشكل دائم عند حدوث نقطة تحول، إنه يشير دائماً الى بداية التحول، فقد تمر الأيام تسير على حال واحدة من الرتبة الى أن يأتي (يوم من الأيام) فتبدأ الأمور بالتحول، إن الزمن الماضي قبله متشابه، لا تفرق فيه الأيام عن بعضها بعضاً، وبه يبدأ الزمن الحقيقي، زمن الحدث، زمن التحول، فهو نقطة فاصلة، إن الزمن الحقيقي يبدأ بالحدث، بنقطة فاصلة تغير الرتبة فيما قبلها، وعلامة هذا التغير قولهم (في يوم من الأيام) فالزمن بالنسبة لهؤلاء الذين يعيشون حياة متشابهة، وأياماً متشابهة هو الحدث الفعل مايقع وسط الأيام المتشابهة ليفرق بينها، ليفرق بين عماء غير متحدد ولاشكل له، وبين الجديد الحي.

على كل حال فإن حكاية قيقة وصاحبها تبدأ عند سيرهم الى ابنتهم، وإن كان قولهم (في يوم من الايام) هو نقطة التحول او بداياته، فهما زوجان يعيشان بعيداً عن ابنتهما المتزوجة، وهما يعيشان حياة متشابهة رتيبة حتى يقررا السفر (في يوم من

الأيام) فيبدأ التبدل في حياتهم بل انهما يتخلصان من العماء الزمني ليدخلا في الزمن الحقيقي وهو وإن ظل مبهماً إلا أنه لم يعد متشابهاً مع ماسبقه، ما سبقه هو الموت، لا حياة ولا وجود ولا حكاية قبله، إنه كالموت في الحياة، الحياة الحققة والوجود الحقيقي يبدأ بالفعل، بالتحول ما قبل الحدث كانت الحياة موتاً أو كالموت، ومع الحدث تبدأ الحياة، فالحدث الحكاية إحياء.

وفي حكاية خنيسر «كان ياماكان... خلف الله لهم من كرشة ساق العجوز ولداً صغيراً سموه خنيسر... كان الأب يخرج الى الحقل... وخنيسر مع امه في البيت... وذات يوم...».

(وذات يوم بداية التحول، وبالرغم من انهم مروا بتحول كبير فيما سبق وهو ولادة(خنيسر) من كرشة ساق العجوز الا ان حياتهم بعدها اصبحت رتيبة -إنها ايام تجري الاب يذهب الى الحقل، والأم مع خنيسر في البيت الى ان قال خنيسر لأمه (ذات يوم) سأخذ غداء أبي الى الحقل، عندها بدأت الحكاية بالتطور.

وفي حكاية الكلب الأسود ان امرأة لا تحبل ولا تحب تنذر نذراً إن اطعمها الله بنتاً ستعطيها للكلب الاسود فتحبل وتلد بنتاً، وكما تلاحظ فالمقدمة موجزة غالباً، وما يحدث فيها يحدث تواء، فهي تطلب من الله ان تحبل فتحبل وتلد، لافرق بين الامنية والحبل، ولا فرق بين الحبل والولادة كل ذلك يتم بمجرد النطق بالكلمة (كن فيكون).

وهذه سمة اساسية في الخرافة، إذ كثيراً ما يحدث هذا الايجاز داخل الحكاية نفسها، فلا فرق بين النطق بالكلمة وحدث الفعل ففي حكاية (وديعة والحنفيش) تطلب وديعة من الله ان يحول الحنفيش الى (مدق صوان على مفرق الدروب)، ويطلب الحنفيش ان تتحول وديعة الى (سلوقية عرجاء) فيتحولان تواء.

وفي حكاية بقيرة اليتامي (... رجل ومرته وعندهم ولد وبنت وبقرة، وذات يوم توفيت المرة، فتزوج الرجل اخرى...) إن وفاة الام ومجيء الخالة زوجة الأب هو الذي يحدد نقطة التحول هنا، بين استقرار فيما مضى وبين اضطهاد مقيم، ولكن هذا التحول ايضاً بفعل استمراره يصبح حالة من الثبات دائمة ومقيمة لا تختلف عما سبق.

الاستقرار في عهد الام والاضطهاد في عهد زوجة الاب، ان حالة التحول تتهدد

بفعل التكرار لتكون حالة ثبات دائمة الى أن يأتي يوم تشك فيه الحالة في الأمر فترسل ابناؤها ليتجسسوا على اخوتهم فيكتشفون السر . . يكتشفون لماذا يسمن أخواهما ولماذا يزدادان هما نحافة . . وهنا يبدأ التحول من جديد وعموماً فإن السرد في الحكاية هو مراوحة بين استقرار ثم كسر لهذا الاستقرار ، بين حالة ثبات ثم نقطة تحول ثم عودة الى حالة الثبات ، ثم نقطة تحول وهكذا .

وقد تطول المقدمة أحياناً ، وهذا في حالات نادرة ، وعندها تكاد المقدمة أن تشكل حكاية بنفسها ، بل لعل الأصل انهما حكايتان ربطتا معاً مثل حكاية (جمل غيدة) فالمقدمة طويلة حيث تذهب غيدة مع أترابها لجمع الحبتوث فتصعد الى الشجرة وتهزها لهن فيلتقطن الحبة الجيدة لقداحهن والحبة الفاسدة لقده غيدة ، وحين تكتشف خداعهن تعود وحدها من جديد لتقطف الحبتوث . . وحين تعود الى القرية يتلقينها ويقلن لها ان اهلن اشتروا في غيبتها اساور لهن ، فتسأل اهلها ، امها وخالتها وحبابتها ، ومن اجل الحصول على الاساور تخرج وراء البياع لتبدأ سلسلة الأحداث ، والملاحظ هنا أن القسم الأول على طوله لا يكاد يشكل حكاية نستريح لها ، فتأخرها له وظيفة وهو تبرير عدم حصولها على الاساور .

وعلى كل حال فإن المقدمات الطويلة نادرة ، ومن ذلك حكاية (فروة السبع) إذا تضم على الأغلب حكايتين فالعزيمة المتبادلة بين الحج لقلق والشعلب تشكل حكاية مكتملة تقريباً ، وقد رويت منفصلة بالفعل ، ولكن أحد ابطالها تغير إذ بدلاً من اللقلق نجد (الديك) ، وذلك في حكاية (عزيمة الحصيني للديك) .

واستمرار حكاية (فروة السبع) بعد سقوط الثعلب يتمثل في تبرير كيفية حصول الثعلب على الفروة .

وعموماً فإن حكايات الحيوان غالباً ما تبدأ مباشرة بالأحداث بعد الاستهلال ، وإن كان لابد من المقدمة فإنها لا تتجاوز بضعة جمل ، وهذا ما نتيقنه من خلال حكاية (عزيمة الحصيني للديك ، وإمام الجامع والقنفذ والحصيني ، والهدهد يتمرجل) . وهذه أيضاً هي حال حكايات التسلية : كما في حكاية ماتم البرغوث التي تبدأ بأن تطبخ مرة البرغوث شوربة فيقع فيها البرغوث فتأتي القملة ثم الفريخة . ولا تكون البداية طويلة في حكاية الحيوان إلا إذا كانت في الأصل حكاية ثانية ارتبطت بأخرى ، كما اشرنا سابقاً في حكاية (فروة السبع) فالعزيمة هي بداية الأولى

التي تنتهي بسقوط الحصيني فوق فروة الراعي وسلامته، وبعد ذلك تبدأ حكاية الحصيني مع السبع، أما إذا اعتبرنا الأولى (مقدمة) فإنها مقدمة طويلة جداً لتعليل حصول الحصيني على الفروة،

أما المقدمات التفسيرية فإنها نادرة، وهي تبرز في حكايات الوعظ وفي الحكايات الشعبية، إذ غالباً ما يقدم الراوي معللاً الأسباب التي من أجلها يروي الحكاية، أو قد يذكر ذلك في نهاية الحكاية رابطاً بين ما حدث قديماً وما يحدث الآن، كما قد يبرر بعض مانراه غريباً في حكايته فيقول مثلاً (بالزمان الأولى كان الناس يفهمون لغة الطير والحيوان)، مبرراً بذلك حديث الناس مع الطير والحيوانات، وقد يقول (بالزمان الأولى كان الناس عدهم لله).

أي عندهم لله، فقد يقومون بأفعالهم دون أن يطلبوا أجراً عليها، ولا تدفعهم لذلك مصلحة كما هي الحال الآن، وفي هذا نقد للحاضر، أو قد يقول (أولي كانت الناس تسافر على الجمال . . .) وقد يرد ذلك في ثنايا الحكاية، أي حسب المواقع التي تتطلب تعليقاً من الراوي، والتي يرى ضرورة لتفسيرها وشرحها، لأنه يحرص على صدق حكايته، وهذا لا يقع إلا في الحكايات الشعبية، وحكايات الوعظ منها بصورة خاصة، أما في الخرافة فلا أحد يحرص على التبرير أو التفسير، عليك أن تأخذ ما يحدث بقضه وقضيضه سواء أكان مقنعاً أم لا . .

ب- جسم الحكاية (العرض) :

بعد المقدمة يبدأ جسم الحكاية أو الأحداث، لأن جسم الحكاية هو سلسلة من الأحداث تنتهي بالخاتمة، فالخرافة أحداث متلاحقة متتابعة، أو متكررة تنتهي بالخاتمة إذ لا يتلبث الراوي واصفاً أو مفسراً، وكثيراً ما يعبر عن ذلك بطرائق محددة، إضافة إلى طريقة أدائه ونبرات صوته وإشاراته وانفعالات وجهه .

ففي (جمل غيدة) تبدأ الحكاية منذ اللحظة التي تذهب فيها وراء البياع لتحصل على الأساور فيخطفها ويحبسها، ثم يخلصها أخوها ويعود بها، ولكن الحنفيش يخطفها مرة أخرى فتدعو عليه فتتحول هي إلى سلوكية عرجاء ثم يعيدها الحب إلى صورتها الأولى .

والحكاية طويلة وتكاد تتألف من سلسلة من الوحدات أو الحكايات كالاتي :
البنات والحبثوث ، غيدة يخطفها الحنفيش وخلصها منه ، الحنفيش يعود إليها مرة

أخرى وخلاصها الثاني منه ، غيدة وقد تحولت الى سلوكية ثم عودتها الى صورتها الأولى على يد من يحبها ويتزوجها .

ولا تشكل هذه السلسلة إلا حكايتين نشعر معهما أن الكلام انتهى ويمكن الوقوف عنده ، الأولى : تبدأ من البداية حتى خلاصها من الحنفيش ، أما رجوع الحنفيش في المرة الثانية فليس إلا مبرراً لتحولها الى سلوكية عرجاء ، وهذه هي الحكاية الثانية التي تبدأ من تحولها الى سلوكية حتى عودتها الى صورتها الآدمية ، والحكاية ككل الحكايات الخرافية تعتمد على التكرار : غيدة تسأل امها عن الاساور ، ثم خالتها ثم جدتها ، والسؤال والإجابة عنه تكون بالصيغة نفسها ، وبالطريقة ذاتها .

وهي تلحق البائع فتناديه ثلاث مرات بالنداء نفسه ، وهو يجيبها ثلاث مرات بالكلمات نفسها وهذا ما يحدث ايضاً حين يكشف الراعي انها محبوسة فيخبر اخاها ، ويناديه ثلاث مرات لترد عليه في النهاية .

وهذا التكرار نموذج متكرر لكل الحكايات وهو الذي يشكل عادة جسم الحكاية سواء اكانت مصاعب لا بد للبطل من تجاوزها او حواراً أو نداءً أو سؤالاً يتكرر ثلاث مرات غالباً ، وسبع مرات احياناً كما في (شجيرة الليل) ، حيث تجلس الفتاة المطرودة من بيت اختها تحت الشجرة فيمر عليها الحنفيش ، ويسألونها عن سبب وجودها هناك فتجيبهم : أختي المسيخيمة المليخيمة طردتني في ظلام الليل ، فيرد عليها الحنفيش : لاتخافي مني وخافي من الحوي السبع الأذرع ذاك) .

وهذا يتكرر سبع مرات على عدد الحنفيش ، ولكنها تنادي اباها ثلاث مرات وامها ثلاث مرات حين يشرط عليها الحنفيش ذلك ، فإن لم يردا عليها أكلها .

وفي (بقيرة اليتامى) يتكرر المشهد نفسه عدة مرات حين يذبحون البقرة ، وفي حكاية (ابن الخطاب) تتكرر المطالب ، وتكرر الشروط ، وكذلك في (وديعة الحنفيش) حيث يأتيها الحنفيش ليطلب اصبعها في كل يوم بالطريقة نفسها ، وكذلك الأمر في حكاية (محمد والملك الأعمى) والشاطر حسن (الخ) .

اما حكاية (حمامة وفرت) فإنها تقوم على اساس واحد هو الندم والاسف لما فات وتتألف من سلسلة حكايات كل واحدة تحيل الى الاخرى ، والاصح ان كل واحدة هي ثمن للاحرى ، إذا لا يروى صاحب الحكاية حكايته إلا إذا رويت له حكاية أخرى تحيره وتشبه بطبيعتها حكايته هو بالذات ، إن الحكاية هنا هي ذات قيمة ، إنها تجربة

وخبرة، لا أنقلها إلا إذا نقلت اليّ بالمقابل تجربة وخبرة الآخرين من خلال حكاياتهم، إن مثل هذا التداخل في الحكايات هو أيضاً كقيمة الحكاية اسلوب من اساليب حكايات (الف ليلة وليلة)، فالحكاية هناك لها قيمة ولها ثمن فقد نشأت في الاصل لغاية في نفس شهرزاد، كذلك فإن المطلوب بثأر يمكن افتداؤه بحكاية او بعدة حكايات كما في حكاية الجنّي .

كذلك فإن الحكاية تحيل الى اختها، او تحبل بحكاية ثانية، وحكاية حمامة وفرت هي من حكايات الف ليلة وليلة ولكنها هنا غير مكتملة .
ج - النهاية :

النهاية دائماً سعيدة حيث ينال الشرير جزاء افعاله، ويكافأ الخير، ويصل الى النتيجة التي يود الوصول اليها، مهما كانت قوى الشر قوية وقادرة حيث يتعرض الخير عادة للامتحان، وتحشد للوقوف ضد كل القوى الشريرة من بشر وجن، فيواجه قوى خارقة تفوقه قوة وقدرة، ولكنه يتغلب عليها في النهاية لا بقوته وفطنته فقط، بل وبإيمانه الذي لا يتزعزع بانتصار، وبالنية الطيبة .

والنية الطيبة وحدها كافية للانتصار وكثيراً ما تكون هي السلاح الوحيد الذي يملكه البطل او البطلة، فالنية الطيبة هي التي تخلص الاخت في حكاية (بقيرة اليتامى) لقد تعرضت للظلم، هي واخوها من زوجة ابيها، ثم تعرضت للظلم من زوجة اخيها، ولكن الحق ظهر في النهاية .

والفتاة الطيبة في حكاية (حسنة) لا تملك الا نيتها الطيبة، وفعلها عادة يكون من نوع نيتها لذلك فإن «السعلا» نفسها تشنشلها بالجواهر والآلئ، وتحول كلامها الى ذهب، اما اختها الشريرة فإنها تتردى الى الدرك الأسفل .

أما بطل حكاية (القط الأسود) فإنه يصبح غنياً ويتزوج ابنة الملك ويشترط عليها ان تهتم بأمه وإلا طلقها، وهذا ما لم يفعله أبناؤها الحقيقيون الذين طردوها بناء على رغبات زوجاتهم، فتلقفها «البطل» الذي لا أم له، وجعلها بمثابة امه، وبرّ بها فكانت النتيجة ان كوفئ على افعاله، أما أبناؤها الحقيقيون الخاضعون لرغبات زوجاتهم فإن احوالهم تسوء، وينزلون الى اسفل السلم الاجتماعي فينتشلهم اخوهم الجديد .

وتتجاوز (سعدية) في حكاية (الكلب الاسود او قمر مدور) كل الصعاب التي توضع في طريقها وتحرق الجنّيات وتهرب بحبيبتها وتفوز به .

وابن الخطاب يصبح غنياً، وذا شهرة واسعة، بل يصبح ملكاً في النهاية، ويتزوج ست بدور، وقل مثل ذلك عن بقية أبطال الحكايات الأخرى.

تتحقق السعادة بشيين في الحكايات: الغنى والزواج ومعهما تأتي السلطة أحياناً، لادائماً ولكن الشاطر حسن يرفض السلطة، ويعطي التاج لأبيه، إذ يرى فيه عائناً عن تحقيق حياة الرفاهية والسعادة والبسط، فرفضه للسلطة ليس زهداً فيها، ولكن لأنها عائق في طريق "تفرغه" للحياة السعيدة، وهذه الروح التي ترى السعادة في ملازمة الحبيب والبعد عن أوجاع السلطة ومشاكلها، وهمومها، لانجدها في العادة إلا في حكايات ألف ليلة وليلة، حيث يفضل هؤلاء الحب على الملك، ويتنازلون عنه لمصلحة الحب، علماً أن الشاطر حسن قد نال ذلك كله دون أي شطارة، فهو كسول لا يستطيع ان يقدم لنفسه الطعام، وعندما يطرده ابوه يذهب الى سائس خيل ليعلمه مهنته وهناك يلتقي بالبغلة الجنية التي تغدق عليه بغير حساب.

ولا أعتقد ان الأمر يقتصر على شيء من روح الف ليلة وليلة تسرب الى هذه الحكاية، بل إنها في أصلها، من حكايات ألف ليلة.

وحتى حين يتنازل الشاطر حسن عن السلطة لأبيه لا يرتاح إذ يحاول الأب ان يفوز بزوجة ابنه، فيكلفه بمهام صعبة ان لم ينجزها قتله، ولكن الفتى يتغلب في النهاية وينجز تلك المهام لابططارته وإنما بجهود بغلته، ان رفضه للسلطة كان سبباً لاستمرار الحكاية، او لتوليد حكايات أخرى، وهو لن يرتاح مادام هناك من يتسلط على رقبته، ويملك ان يزعجه، او يهدد امنه وحياته، فتكون النتيجة قتل الأب والعودة الى كرسي المملكة.

وفي حكاية (حمامة وفرت) نرى المصائر مختلفة، والنتائج مختلفة فكل واحد من ابطال الحكايات المتضمنة في الحكاية الام يخفي مرارة ومأساة تثقل على قلبه، حيث ضيع نفسه نتيجة رعونته او طبيته او حسن نيته والحكاية اقرب الى الحكاية الشعبية منها الى الخرافة، فهي حكاية وعظية اهدافها ومقاصدها واضحة وبينة في مصائر ابطالها، لذلك فإن نهايتها تختلف عن نهاية الحكايات الخرافية الأخرى، وقد سبق ان قلنا ان هذه من حكايات ألف ليلة شأنها شأن حكاية الشاطر حسن.

والجدير بالذكر ان بطل الحكاية وهو الراوي الذي يستمع الى حكايات الآخرين بعد ان يسأل عنها، لم تفصح الحكاية عن مصيره، ولكننا نعتقد انها تشير بشكل

ضمني الى ندمه كأصحابه لانه فقد الليرة الذهبية التي كانت تعطى له في الجامع الأول، إذ طمع وذهب يبحث عن الزيادة، فضيع المضمون لبحثه عن المحتمل، إنه الجشع والبطر شأنه شأن ابطال الحكايات الأخرى.

أما الشرير، الطاغية، ذو النية السيئة، فإن نهايته معروفة ومحتومة فالملك الطاغية الظالم الذي يرسل البطل عادة الى المهالك ليتخلص منه او يطلب منه مطالب صعبة ان لم تكن مستحيلة، إن هذا الملك ينتهي غالباً مقتولاً ويتسلم البطل التاج ليحكم بالعدل وذلك مانجده في (محمد والملك الأعمى وابن الخطاب، والشاطر حسن).

وذو النية السيئة ينتهي نهاية سيئة ايضاً، فزوجة الأب في (بقيرة اليتامى، وحسنة، والطير الأخضر) تنتهي نهاية بائسة إذ تقتل في الحكايتين الاخيرتين وتنسى في الحكاية الأولى، ينتهي دورها دون عقوبة قاسية، إن العقوبة تكون بشكل غير مباشر عندما تتحول عظام البقرة الى ذهب تعين اليتامى: وتخرجهم من تحت سطوتهم لقد ارادت تدميرهم بقتلهما لبقرتها ولكن ذلك ارتد عليهم خيراً.

وكثيراً ما تكون الاخت هي الشريرة، وهي الحقود الحسود، كما في (دهيم الليل ونجمة سهيل) وقد يكون الاخوة كما في (محمد والملك الاعمى) ونادراً ما تكون الام هي الخائنة.

والنهاية غالباً ما تكون قاسية، فالابن يقتل اباه (محمد والملك الاعمى) او يقتله غيره لحسابه (الشاطر حسن) والاخوة يقتلون وكذلك الاخوات الشريرات الحقودات وقد يتم الانتقام منها بقتل فلذة كبدها كما في (شجرة الليل).

وقليلاً ما تسكت الحكاية عن بعض الشخصيات الشريرة ولا تشير الى مصيرها او تتناساها كما في (دهيم الليل ونجمة سهيل) فالأختان يتم نسيانهما تماماً، أما في (بقيرة اليتامى) فإن زوجة الأب بعد ذبح البقرة، لا تصاب بسوء مباشرة ولكن اولاد زوجها يخرجون من تحت سيطرتها وتحسن احوالهم وهذا عكس ما كانت تأمل فيه. ويشير الانتباه ان الاخت كثيراً ما تلعب دور الأم بالنسبة لاختها، وتكون امأ ثانية له، وذلك ما يحدث في (الطير الأخضر) حيث الاخت هي الوحيدة التي تحنو على الولد، وهي وإن لم تستطع ان تجنبه مصيره القاسي، إلا أنها تحزن عليه، وتحمل عظامه وتدفنها في المرج الأخضر فينبعث من جديد في صورة طائر اخضر. إنها ام ثانية لقد اعادته الى الحياة وان بصورة طائر الا يذكرنا هذا بالحكايات

الاسطورية حيث الأخت - الزوجة في اسطورة ازبس واوزوريس تعمل على جمع
اشلاء زوجها لينبعث من جديد .

كذلك فإن الحكاية تشير الى اعتقاد مفاده ان «الأطفال» الذين يموتون ابرياء ، انهم
طيور الجنة .

وقد تكون الصورة أقل وضوحاً كما في (بقيرة اليتامى) حيث تدفن الفتاة عظام
البقرة لتتحول هذه الى ذهب فتعطيه لأخيها لتساعده على الزواج والحياة السعيدة .

إنها تقف الى جانبه ، تحنو عليه ، وتخبيئ كنزها الثمين الى أن يشب ، ويصبح
رجلاً يمكنه ان يفكر بشكل سليم ، ويمكنها ان تطمئن الى حسن تصرفه ، فتعطيه الكنز
الذي يعينه على بداية جديدة .

إنه إحياء آخر ، فهي تمنع ضياع أخيها ، وتعمل على ألا يموت في الحياة إنها أم ثانية
بحق .

أما في قصص الوعظ ، فإن النهاية معروفة سلفاً ، ومحددة منذ البداية ، وقد
يفصح عنها العنوان (الملبح بالبحر ماراح) والمكتوب مامنه مهروب والمكتوب على
الجبين لازم تشوفه العين .

إن النهاية تستجيب دائماً لأحلام وطموحات الناس الفقراء المستضعفين الذين
لا يجدون ملاذاً من واقعهم القاسي الظالم إلا في الأحلام ، إنه نوع من التعويض عن
الحرمان وتحقيق التوازن بين الذات والواقع القاسي .

تلك هي نهايات الحكايات ، فماذا عن كلمات الخاتمة . . ؟

الكلمات في الخاتمة متقاربة جداً ، فإن كان الحديث عن واحدة ، وقد انتهى يقول
الراوي «وهي راحت وآني جيت» اي هي ذهبت لأنها اصلاً من الماضي المنتهي ، أما
أنا فما زلت حياً مقيماً أنا الواقع وهي الحلم أنا الحقيقة وهي الخيال .

وهو ينبه المستمعين الى أن عالم الخيال الذي كانوا يسبحون فيه قد انتهى .

وقد يقول الراوي (هي راحت ليغادي واني جيت ليجاي) اي هي ذهبت الى
هنالك الى عالمها عالم الموت ، وأنا عدت الى عالمي عالم الناس والحياة .

وبالمعنى نفسه يقول الراوي (هم راحم وآني جيت) إن كان الحديث عن جماعة ،
وقد يضيف : (وآني جيتكم سالم) .

ويقولون أيضاً منهين الحكاية في عبارات مسجوعة : (لو بيتنا قريب جبتلكم قدح

زينب) او (لوبيتنا هين جببتلكم طبق عوين) ولا غاية لهذه العبارات الا في تنبيه السامعين الى أن الحكاية انتهت ، ودعوة للخروج من جوها ، ووجهها الى الواقع وان بصورة امنية كاذبة ، وقد يقولون ايضاً : (وهذي الجيرة من العشيرة) .
د- ملاحظات وإضافات :

ذلك هو تكوين الحكاية وبنيتها التي لا تخرج عنها ، مع هذا نرى أننا اهملنا بعض التفاصيل او الجزئيات التي تساهم في تكوين الحكاية ، واطهارها بصورتها المثلى ، وخاصة فيما يتعلق بالأسلوب وبلغة السرد وطرائقه سنلاحظ سلفاً أن الراوي في المواقف المتشابهة يعتمد على اساليب وأقوال ثابتة لا تتغير احدى وظائفها هي تثبيت الحكاية في ذهن المستمع ، ووظيفتها الثانية والأهم هي المحافظة على ثبات الحكاية وعدم تغييرها ، او الحد من التغير والتبدل الذي يمكن ان يحدث في انتقالها من راوية الى أخرى ، وبهذا نرى أن حرية الراوي محدودة جداً ، فهو لا يعيد ابداع الحكاية ، بل انما يتبع طريقة محددة وثابتة ، وهذا عكس ما يراه الاستاذ عادل ابو شنب الذي لا يستحسن جمع الحكايات وتثبيتها في صورة معينة لأن في ذلك قتلاً لإبداعيتها المستمرة إذ حين تظل تتناقل شفاهياً فإن كل راو يعدل ويضيف ويبدع ، وعندما نسجل الحكاية سنكون قد حكمنا عليها بالثبات .

والحقيقة ان الراوية لا يبدع غالباً ، ولا يشق طريقاً خاصة به في الحكاية بل يتبع طريقاً ممهداً ومنهجاً قائماً في الوصف ، والأفعال ، والسلوك ، وبالتالي في السرد عموماً .

فإذا أراد أن يعبر عن مرور الزمن مثلاً قال : راحت وجت ايام (أي جاءت) او راحت شهور وجت شهور ، أو راحت سنين وجت سنين ، وذلك بحسب ما يتطلبه الحدث من زمن يقاس بالأيام أو بالشهور أو بالسنين .
وإن أراد أن يعطي للأحداث أهمية ، ويشير الى بداية تحول محتمل في مسار الأحداث قال : وفي يوم من الأيام : أو نهار من النهارات حدث كذا . . وإذا أراد أن يعبر عن أن البطل قطع أرضاً واسعة ، قال في وصف مجمل : مشى الرجل قاع تشيله ، وقاع ترميه الى أن وصل الى . . . أي أنه تجاوز جبلاً ، ونزل ودياناً .
وقد يضيف الى ماتقدم (قاع تشيله ، يهين أرنب ، يهين غزال) مشيراً الى أنه رأى حيوانات متعددة ومتنوعة بتنوع الأرض التي قطعها .

وهو حين يعبر عن السير الطويل يلجأ الى تكرار الفعل : مشى مشى . . مشى . . دي . . دي . . دي ، أو ركض . . ركض . . ركض . .

والوصف في الحكاية الخرافية يتم بعبارات متعارف عليها ، وإن كان الراوية أحياناً يتدخل في هذا بحسب قدرته فإنه لا يخرج عن الشائع والمتداول في المأثورات الشعبية في مثل هذا المجال ، فإن وصف فتاة ، قال (بنت أربع طعش) أو (تقول للقمر قوم لأقعد مطرحك) ، أي كالقمر حين يكتمل ، أو أجمل أو يقول (مثل القمر ليلة أربع طعش) ، أو رأى بنتاً (سبحان الخالقها ومصورها) ، أو (بيضة مثل القمر) ، أو (بيضة مثل الحليب) . أو (بيضة مثل الخاصة) أي بيضاء ، والخاصة : قماش أبيض ، فإن وصفها بالسواد (قال سودة مثل قطعة الجير) ، أي سوداء كالزفت ، أو سودة مثل الليل ، أو سودة مثل الفحمة ، فإن كن متعدّدات فإن كل واحدة أحسن من أختها . أما الرجل فإن أخته تعشقه ، أو بعارة أخرى : تعشقه بنت أمه لشدة جماله .

وبعضهم يردف كل كلمة أو جملة بما يناسبها من الدعاء أو التحية من الكليشيات المعروفة فإن ذكر رجلاً مقطوعاً قال : كان مقطوعاً الله لا يقطع حداً ، فإن كان رجلاً وحيداً ، فالله واحد .

وحين يذكر النوم ، يقول : ناموا ، يترحون الصباح ، أو ناموا سبحان من لا ينام .
وحين يذكر الصباح يقول : أصبحوا ، تصبحوا على خير ، فإن ذكر المساء ، قال : تمسوا ، تمسون على خير .

وحين يشير الى أن رجلاً ما سار متخفياً يقول : لبس الليل ، أو يامن سترت لا تفضح ، واستعمال الكناية كثير جداً في الحكايات .

وقد ينسى الراوي بعض الحوادث ، ويقفز الى غيرها ، وحين يتذكرها ، يقول معتذراً « فتك بالحقى » . . . ويعود على آثاره قصصاً ليذكر لك الحوادث التي نسيها أو التي فاتته ذكرها في موقعها .

وإذا أراد الانتقال من شخصية ليقص عليك ما حدث لشخصية أخرى ، قال : « نترك هذا ، أو هذول لحالهم ، ونرجع لفلان » أي نترك هؤلاء حيث هم ، ونتابع ما حدث مع فلان .

وإن أراد الاختصار حتى لا يتسرب الملل الى السامع ، قال : مالك بطولتها أو مالك بطولتها ، أو مالك بطول السيرة ، أي ليس لك علاقة بالتفاصيل ، ولا حاجة

لإطالة الوصف والحكي، فلنصل الى النتيجة رأساً.

والراوي لا يتعمق الحالة النفسية، ولا يصفها إلا في عبارات محفوظة ايضاً، وهو يذكر الحالة دون ان يتوقف عندها: فهي تبكي او وجهها اصفر، او باين عليها الهم، او بتعبير كنائي: امسكه خياط الابرتين، للقلق المتردد الحائر، (ونامت وهي تصرخ) للقلقة.

وهو لا يتوقف ايضاً عند الملامح أو الوجوه أو الشيا ب ولا يصفها إذ لا يهتم بالتفاصيل والدقة فإن كان الوصف ضرورياً قال مثلاً: أن (ثيابه مكشمة، وحالته حالة) اي انها ممزقة.

وبشكل عام فإن الحكاية تتناوس بين ضدين: التكرار: وهو ضروري في الأحداث والمواقف الحرجة، يطيل الحكاية، ويمتد بها، ويشتها والاختصار الشديد: مالك بطولتها، أو ولد الحكاية يكبر بساع (أي بسرعة).

والحدث والتلفظ بالعبرة لافرق بينهما، إذ بمجرد التلفظ بالعبرة يكون الحدث قد

تم.

الحكاية تحافظ على المجتمع وتحميه:

وذلك بما يثبه فيه من قيم الخير والعدالة، والحق، أبطالها يحملون لواء الخير، ويقودون الناس من خلفهم، ليدلوهم على الطريق، وهي بهذا ايضاً تنبذ الشر، وتذمه، وتؤكد على انتصار الخير في النهاية.

الحكاية تحافظ على حلم العدالة:

وغالباً ما يكون هذا حلماً مقموراً ومضطهداً ومطارداً، لأن قوى البغي قاهرة وظالمة، والتفاوت الاجتماعي يجعل من كان في الأدنى ذليلاً مقهوراً ومستباحاً، والسلطة تستعيده وتستغله، ولكن الحكاية تترك الأمل أفقاً رحباً مفتوحاً على مصراعيه، فالإنسان سينتصر في النهاية يتعرض دائماً لقوى البغي والطغيان، يذل ويضطهد، يقمع ويستلب، ولكن لا يمكن تدميره، حسب تعبير همنجواي.

إن بطل الحكاية يفصح عن لاوعي الجماعة فيحل مشكلاتها ويتجاوز ازمتها، وينتصر لها، ويحقق احلامها ويقيها من الوقوع في وهدة العجز، وهاوية الإحباط،

أو الشعور باستحالة الأمل أو الطموح. وهي بتحقيقها لقيم الحق والحكاية تشكل تعويضاً عن شيء مفقود أو مسلوب: فهي بتحقيقها لقيم الحق

والعدل والمساواة، والحب والخير إنما تحقق تعويضاً عن القهر الاجتماعي وقهر الطبيعة الذي يتعرض لهما الإنسان، إنها تعيد للإنسان توازنه وتقدم له عزاء، وتشعره بامتلاك المفقود، إن الحرمان الحقيقي الذي يتعرض له الإنسان في واقعه يعوض في الحكاية، فالفقير لن يظل فقيراً، بل يمكن أن يتحول إلى إنسان غني، والمهم هو أن يسلك سلوكاً صادقاً ونبيلاً والضعيف لا يظل ضعيفاً والمحكوم قد يصبح حاكماً.

الحكاية تدعو إلى التعاون والحكمة والذكاء:

فمن كان ضعيفاً، ويواجه قوى أكبر منه وأشد بطشاً يمكن أن يتغلب عليها، إما بالتعاون وإما بالذكاء أو بهما معاً.

فالشعب الضعيف يواجه السبع القوي، ويتغلب عليه بالحيلة والدهاء والذكاء. والدريك الضعيف يتغلب على الشعب بحسن تدبيره، وتعاونهم والقنفذ الضعيف يواجه الشعب بالتعاون المثمر مع أبناء جنسه فيتغلب على الشعب. الحكاية أسلوب تربوي وتعليمي:

إذ قد تصوغ الحكاية الحكمة في أمثال شعبية مركزة، تنتشر في الحكاية، وتأتي في سياقها، بحيث تتحول بعض الحكايات أحياناً، إلى مجموعة من الأمثال الشعبية، والأقوال المأثورة، يصدق هذا على الحكاية الخرافية كما يصدق على قصص الوعظ التي غالباً ما تتحدث عن القدر الذي لا مهرب منه، وعن المكتوب الذي لا سبيل إلى تغييره.

وقد تعلم بعض العادات والتقاليد، وتدعو إلى احترامها والاحتفال بها، وقد تعلم بعض المهن مثل حكاية (فروة السبع) التي نكاد نرى أنها حكاية تعليمية بحتة، إنها تتحدث عن مراحل صناعة الفروة.

ألوان الغناء الشعبي

في وادي الفرات

الدكتور محمود النجرس

ألوان الغناء الشعبي في وادي الفرات

على شواطئ نهر الفرات وروافده نشأت حضارات عريقة، تأسست مدن واندثرت أخرى ومازال الفرات عبر تاريخه الطويل مصدر رروحي وإلهام لغالبية شعراء الذين عاشوا على ضفافه وضاف روافده. نستطيع أن نقول وبكل فخر إن منطقة الفرات والجزيرة خزان ضخم للتراث الشعبي بكافة أشكاله المادية والشفاهية، والصلة هنا وثيقة ما بين البادية والفرات لأن قبائل الفرات والجزيرة غالبيتها ترجع في أصولها إلى الجزيرة العربية التي تعتبر من أكبر منابع البداوة في العالم. وخلال المئات من السنين تكونت لدى السكان القاطنين على ضفاف هذا الشريط المائي شخصية موحدة يشكل الشعر الشعبي الغنائي واحداً من أهم مكوناتها نلمس في السكان وحدة اللهجة والسلوك والعادات والتقاليد وكأن ظروف العيش قد طبعتهم بميسم واحد.

إن الأشعار الغنائية كانت تخضع في شكلها اللغوي واللحني وفي مضمونها من حيث الغناء والتطور الأولي للبيئات التي نشأت فيها أو التي هاجرت إليها. إن أداء النوع الواحد منها يختلف من قبيلة لأخرى ومن منطقة لأخرى وعندما تنتقل أغنية أو لون من الغناء من البادية إلى مراكز الحضارة المدنية فإنها تخضع إلى مؤثرات بيئية تكون وراء ما يعتريها من تغير اللهجة واللفظة واللحن لتكون مناسبة للأذواق والمناخات الجديدة.

إن الغناء أعلى أشكال التعبير عن الروح وهو شعور إنساني نبيل يعبر عن همسات النفس ويفصح عن خوارج القلوب والأغاني الشعبية في واقعها هي لوحات تعبيرية عن خصائص ولهجات كل شعب من الشعوب وصنحة معبرة عن حياة كل أمة وواقعها وصورة عن طبائعها وأهوائها واستعاراتها وتشبيهاتها في شتى مناسبات الحياة.

لقد خلد الشعب نفسه في أغانيه وعلى مدى العصور الإنسانية لم يكن الغناء بدعة أو ملء فراغ أو هرباً من حياة صعبة الانقياد وإنما كان الغناء الشعبي لوحات رسمت بدقة متناهية بريشة الشعب وبمداد من معتقداته وإيمانه لتصور مختلف أوجه الحياة لقد كانت الأغنية رفيقة الإنسان في بيته وحقله ومرعاه وشكلت لنا مع الزمن تراثاً ضخماً يضاف إلى أي تراث تعتر به منطقة الفرات وتفتخر بوجوده .

تتماز الأغنية الشعبية بصفات أساسية البساطة في الكلمات والعمق والمعنى كما أنها تعتمد بشكل أساسي على أدوات موسيقية بسيطة كالربابة والدف والمزمار ومن خصائصها الأخرى الصدق والعفوية فالأغنية الشعبية تلبي حاجات الإنسان ورغباته أكثر من الأغنية الفصيحة لأنها أقرب إلى القلب بمضمونها ومعناها، فالألوان الغنائية الشعبية متعددة ومن أهم هذه الألوان الرئيسية :

/ العتابا، المولية، الناييل، السويحلي، الميمر، الأبودية/
العتابا

من قسم الأدب الشعبي الغنائي في منطقة الفرات ومن أشهر الألحان التراثية على الإطلاق هناك آراء كثيرة حول أصل تسمية هذا اللون بالعتابا ولكن يؤكد الباحثون أن العتابا كفن من فنون الأغنية الشعبية جاءت من العتاب والمعابة .

شاعر العتابا يعاتب حبيبه لما يبيده من الصد والهجران ويلوم صديقه على مجافاته وصدوده ويلوم دهره ويعاتب دنياء وقومه ويصور نفسه وكأنه الوحيد المستهدف من دون سائر البشر، وهو لون بدوي ريفي أداه الإنسان الفراتي مع بدايات الاستقرار عندما انتقل الإنسان الفراتي من حياة التنقل والترحال إلى حياة شبه مستقرة على ضفاف الأنهار حيث يعتمدون على الاقتصاد الزراعي الثابت وهو حصيلة التفاعل بين أغاني الصحراء النقية (الأغاني البدوية البحتة) وبين الأغاني الريفية البحتة .

تغنى العتابا مع الربابة وهذا ما كان شائعاً قديماً ويجوز غناء العتابا بدون الربابة أي أن تقرأ كالشعر وتغنى كذلك مع الفرقة الموسيقية الشرقية وهذا اللون لا يغنى بشكل جماعي بل يغنى بشكل فرادي من قبل الشاعر أو المغني .

ترافق غناء العتابا بعض الألوان الغنائية كالنايل والسويحلي لإراحة المغني من أداء العتابا كما ترافقه بعض أنواع الدبكات لاضفاء نوع من السرور على جلسة العتابا كالميمر والمولية والماني والهلابا .

طرقت العتابا أكثر أغراض الشعر العربي حيث شملت المدح والفخر والغزل والوصف ومعاتبة الدهر . وبيت العتابا يشكل وحدة معنوية كاملة يعتمد على فن بديعي جميل هو الجناس بالإضافة الى إجازة البليغ ومافيه من قدرة الشاعر على حشر أقصوصة صغيرة أو معنى جميل في بيت من العتابا وقلما نجد بيت عتابا إلا فيه صورة من صور التشبيه والاستعارة .

تركيب العتابا :

يتركب بيت العتابا من أربعة اشطر الأشطر الثلاثة الأولى متحدة في اللفظ مختلفة في المعنى أما الشطر الرابع ويسمى قفلة العتابا أو الرباط فيجب أن ينتهي بالألف والباء أو الألف الممدودة أو الألف المقصورة ويجوز أن ينتهي بقواف أخرى على الألف والهاء المهملة أو التاء المفتوحة وأن كان بشكل قليل .

نصوص من العتابا

أريد أبجي على روعي وناحي	بعيني ضاكت الدنيا وناحي
اخوي المانفعني بيوم وأنا حي	شلي بيـه يوم ردا تـراب
شح مي الرواية وظل مي من جود	راح الصدك وظل الجذب موجود
أنا شلون أرجى العبد والرب موجود	وحرفاتو على المثلي كراب
حسافة يادهر شتميل وتعليل	وحسباتك تفت الجيد وتعل
تبني للعفونة كصور وتعل	وتفتك بالرجال أهل الضحا
تبات الناس منسرة ونابات	وأعض الشف عالضاحك ونابات
نوبات أبجي على حالي ونوبات	اسفة للدليل من الغشا
حبابي الكوطرو عني بعيد	مالي حيل فركاهم باع أيدين
عسى الله يجمعنا بعيد	بفرح ويزول عن جبدي الغشا
فشك درب النمل فنجان وزهور	خديده من عذي الورد وزهور
يدادن يا خنافر كول وزهور	البليخ البين جروة والفرا
هلي عز التريل وعز منكال	ثكال الروز ماهم حجر منكال
نجد الناس مي وهظل من كول	هلي نيسان طعم العاليات
عكب ماجنت للشبان مثله	كل جيل أتي ما اريد مثله
لفاني طارش الماشفت مثله	صبغ ريش الغدا في بلادوا

أبات الليل عالجلان مالوم على جمع تشنت جان مالوم
عسى يالمت حالي تبات مالوم يصيبك مثل دلالي غثا
المواليا أو الموليه

من أشهر فنون الشعر والغناء الشعبي في الوطن العربي عامة وقد جذب هذا الفن اهتمام مؤرخي الأدب العربي ودارسيه لا باعتباره شكلاً من أشكال الإبداع الشعبي ولكن باعتباره واحداً من الفنون الملحونة انحرفت عن الفنون القولية المعتبرة عند النقاد ودارسي الأدب الفصيح تلك الفنون التي تخضع للقوالب التقليدية في التعبير ولا تشذ عن الإطار اللغوي .

والمواليا لون من ألوان الشعر الشعبي الذي يمكن التعبير عنه بأنه برزخ بين الأدب الفصيح والأدب الشعبي أو أنه نشأ في بيت مجاور للفصيح وسمي بالبرزخ لأنه من الفنون الشعرية التي تحتل الأعراب واللحن وإن كان اللحن فيه أجمل وأليق مثال عن المواليا القديمة

يا نفس قاسي صبابات الهوى قاسي
الحب من بعد لين قد غدا قاسي
وقد ملا من مدام الهجر لي قاسي
حتى غدا بثياب السقم لي قاسي
فهذا البيت من المواليا يمكن قراءته معرباً وكأنه من الشعر الفصيح ويمكن أن نقرأه ملحوناً عن طريق تسكين أواخر الكلمات .

وقد اتفق الدارسون على أن المواليا فن غنائي شعبي محبوب لدى الناس في كل أنحاء الوطن العربي على اختلاف الاسماء التي يأخذها ويشتهر بها في هذا القطر أو ذاك .

اختلفت الآراء حول نشأته وأصله فمنهم من يقول انه نشأ في أواخر العهد الأموي في واسط في العراق وعندما اخترعه الواسطيون العرب تعلمه عبيدهم ومواليهم المسلمون عمارة بساينهم وحقولهم فكانوا يغنون به في رؤوس النخيل وعلى سقي الماء وينهون غنائهم بكلمة يا مواليا إشارة الى ساداتهم الجدد من العرب فغلب عليه هذا الاسم وعرف به .

ومنهم من يرجعه الى عصر هارون الرشيد بعد نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ فقد امر

الخليفة ان لا يرثيهم أحد بشعر معرب وتنكر لمن يفعل ذلك فرثت إحدى جوارى جعفر البرمكي سيدها بنوع من الشعر الملحون لتتقي غضب الخليفة وجعلت تقول بعد كل شطر ياماليا فعرف بهذا الاسم وتناقله الناس فيما بينهم .

وآخرون ينسبونه الى الأنباط الذين كانوا يسكنون سواد العراق ومشارق بلاد الشام فهؤلاء عندما أفلت دولتهم أصبحوا فلاحين ومزارعين لدى سادة المنطقة الجدد من العرب وذلك بعد الفتح الاسلامي لتلك المناطق حيث كانوا يغنون بأغان خاصة بهم أثناء العمل في المزارع والحقول وينهون غناءهم بكلمة يا مواليا ومنه جاء غناء المواليا .

ومؤرخون آخرون نسبوه الى أهل بغداد حيث كان لعامتهم نوع من الشعر الملحون يسمونه المواليات مثال هذا البيت الذي استشهد به ابن خلدون في مقدمته .

طرقت باب الخبايا قالت من الطارق

فقلت مفتون لانا هب ولا سارق

تبسمت لاح لي من ثغرها بـارق

ورجعت حيران في بحر ادمعي غارق

هناك من يقول سمي بالمواليا لتوالي القوافي المتشابهة وهناك آراء كثيرة لامجال لذكرها لضيق الوقت وكل رأي من هذه الآراء له مؤيدون من المؤرخين .

عندما وصل فن المواليا الى البغدادية من أهل واسط (وهذا الرأي هو الأكثر صحة لانني أؤكد على عروبة هذا الفن الغنائي الشعبي) . كان معرباً وفصيحاً وغير ملحون فلفظه البغداديون وحذفوا الإعراب منه فزادوه باللحن سهولة وعذوبة حتى عرف بهم دون مخترعيه ونسب اليهم ثم شاع هذا اللون من الشعر الغنائي في الأوساط الشعبية بعد أن تسلمه البغداديون الذين طوعوه للغناء .

نستنتج من كل ما سبق أن المواليا كصفة أدبية منبعه العراق سواء أكان من واسط ام من بغداد أم من حيث زمن ظهوره فيمكن ان نربط نشوء المواليا بعصر امتزاج الثقافات واختلاط الأنسال وتقهر اللغة العربية الفصحى أمام انتشار اللهجات العامية ولعراقة الترفة الشعرية والغنائية عند العرب مالت عاميتهم الى الشعر الملحون بدلاً من الشعر الفصيح وخاصة إذا علمنا ان الشعر الملحون قابل للغناء أكثر من الشعر الفصيح .

بقي المواليا في العراق حتى سقوط بغداد تحت حكم المغول عن ١٢٥٨م حيث تعرض هذا القطر للانحسار الثقافي وانعكس على هذا الفن الشعبي وقل الاهتمام به فهاجر هذا الصنف من الأدب الشعبي من موطنه على ضفاف دجلة والفرات الى مصر مروراً ببلاد الشام .

وعرف هذا الفن بعد خروجه من العراق تطوراً واشكالاً جديدة وخاصة الانتقال من صيغته الرباعية الى الصيغة الخماسية التي طورها المصريون ثم السباعية التي طورها البغداديون .

أما عن المواليا الفراتية التي نعرفها اليوم فهي نوع متطور شكلاً ولحناً ومضموناً عن المواليا القديمة الرباعية ، فالموليا القديمة بأربعة شطرات ومن قافية واحدة ، أما المولية الفراتية اليوم فتتكون من أربعة شطرات الثلاثة الأولى متحدة في اللفظ مختلفة في المعنى تأتي على الجناس التام والناقص أما الشطر الربع فينتهي بياء مشددة وهاء مهملة على نفس قافية المولية دوماً وتكتب على البحر البسيط على نفس وزن المواليا القديمة .

أما عن كيفية انتقالها الى منطقة الفرات وشيوعها في منطقة الرقة بشكل خاص فأنا أعتقد أن سكان منطقة الرقة وهم من القبائل الزبيدية التي كانت تسكن العراق في حويجة العبيد قبل مجيئها الى هذه المنطقة فربما قد نقلوها معهم عند نزوحهم واستقرارهم في مناطقهم الحالية وذلك في اواسط القرن السابع عشر حيث عرفت الموليا بشكلها الحالي المتعارف عليه حيث طوره الرقيون وحدثوا تبديلاً في بنية الموليا وذلك بتغير الشطر الرابع من الموليا وجعله من قافية اخرى .

وتعتبر المولية حالياً في محافظة الرقة من ارقى الفنون الشعبية الغنائية حيث ابداع الرقيون في هذا الفن وبرز فيها شعراء أجادوا في نظم هذا اللون ومغنون بارعون جسدوا هذا اللون غنائياً ولها عشاق كثيرون وجمهور واسع من المحبين .

والغناء في المواليا والموال قديماً ينتهي بشكل تلقائي الى زجل تسمية العامة (بسة أو موشح) وهو نوع من الأغاني الخفيفة وذلك لتنويع الغناء وابعاد الملل عن الجلسة الغنائية وجعل المجلس اكثر فرحاً ومرحاً وطرباً وهذا مايشاهد حالياً في جلسات المولية حالياً حيث نلاحظ ان المغني بعد ادائه لمجموعة من ابيات المولية وقبل ان يمل الجمهور ويخف تفاعلهم مع المغني فينتقل لاداء بعض التشايطيف وهي كذلك بعض

الاجاني الفراتية الرقية كالميمر والهلابا وكل الهلا بالناهي وياحرام وياحرام اوف
مشعل اوف مشعلاني وغيرها وذلك ليعث روح الحركة والتفاعل مع الجمهور .
وتسود جلسة الموليه الهدوء والالتزام بالصمت والانصات بدقة الى مضمون
الاغنية وان تفاعل الجمهور مع المغني يدل على مدى تقدير واحترام الناس لهذا اللون
من الغناء .

ويتفاعل الجمهور مع المغني من خلال الكلمة واللحن وذلك بالتصفيق الايقاعي
المنضبط بعد اداء كل بيت من الموليه .

ومن منطقة الفرات انتشرت الموليه الى مناطق اخرى في القطر ولكنها أخذت
ألحاناً مغايرة اسرع من المولية الرقية فقد اوجد هؤلاء مطالع خاصة بهم مثل :

هيهات يابو زلف عيني ياموليا

يشرب حصانك هنا ولو عكر المية

والمولية موسيقاها متكررة عند الغناء وتغنى بشكل افرادي بمصاحبة آلات تراثية
بسيطة كالزمارة والدف والربابة وحالياً مع الآلات الموسيقية الشرقية .
وتُغنى الموليا في كافة المناسبات ما عدا مناسبات الأحزان .

استخدمت المولية قبل القرن العشرين لأغراض المدح والثناء ولأغراض دينية وفي
بداية القرن العشرين ادخل محمد الذخيرة أحد شعراء المولية الكبار في الرقة المولية
الهواوية وبرع في نظمها .

أما أغنية ياعين موليتين ياعين مولية فهذه اللازمة او المذهب حديثة الورد وغناها
المطربون وفق اللحن العراقي السريع والمولية او الملايه او الملا في عرف أهل الريف او
البادية .

هي المرأة التي تحسن القراءة والكتابة وتقوم بأدوار الامور النسائية كرسم الوشم
وغیره وبما أن هذه الملاية على قدر من المعرفة فهي وكما يتصورها أهل الريف وقياساً
على براعتها مثلاً للجمال وهكذا ولدت هذه الأغنية التي تسمى بالملاية الجميلة ،
وهناك عدة مطالع لهذه الاغنية مثل :

ياحباب لا ترحلو ظلوا حوايه
لا الراح جاني ولارد الخبر ليه

ياعين موليتين ياعين موليه
ياعين موليتين ياعين موليه

نصوص من الموليه

- ١- ياسايجين الظعن بالله تعيجونه
معكم حبيب الكلب محد خطم دونه
لكعد على المنهل الكل يوم تردونه
واتناك يابوزلف لمن تجي ليه
- ٢- الريمة الجاتلة الصباغ بالنيلي
لبست ثوب حمر ماتقبل النيلي
كالت ماريد العفن لونه يبنيلي
كصرين فضة وفوك الكصر عليه
- ٣- مطعون ياهل الهوى مطعون أنا مالوم
مثل الجنين البجه وعن الصدر مفظوم
اللي يعرف الهوى يشكي بحالي دوم
والماعرف الهوى مالو غرض بيه
- ٤- الريمة العللتنى والعرب نوميه
شاهودنا بالسما الكمر ونجومه
إن غبت عن عينها تكل مفظومة
وتلوح لوح الطعين البيه رباعية

السويحلي

لون من ألوان الغناء الشعبي في وادي الفرات لون جميل وشفاف يبرئ كلم
القلوب ويشفي جروح المحيين .

يصنف هذا اللون ضمن مجموعة الأغاني البدوية الريفية الى جانب العتابا والنابل
وهو من أغاني القبائل شبه المستقرة الذي يتميز غناؤها بالتقاء الغناء البدوي الذي يتم
التأكيد فيه على كل صوت بصورة واضحة دون وجود المحسنات بالغناء الريفي الذي
تتخلله مقاطع مهمة من الأداء الزخرفي والذي لا يعتمد على أهمية الكلمة بقدر
اعتماده على جمالية ومقدرة الصوت .

يؤدى في كافة المناسبات في الأعياد والأفراح والحصاد وقطاف القطن وأغراضه
المدح والفخر والوصف والحكمة وغيرها من الأغراض الشعرية الأخرى .

يغنى بمصاحبة الربابة ويمكن أن يستعاض عنها بالزمار أو المطبّك وحالياً يغنى السويحلي مع الفرقة الموسيقية الشرقية ويمكن ان يغنى بدون مصاحبة أية آلة موسيقية .

والسويحلي هو نوع من الناي المقلوب فأبياته مقلوبة لأبيات الناي يتميز عنه بالخفة والرقّة والرشاقة يختلف عنه من حيث التركيب الشعري ولكن لا يختلف عنه لامن حيث المجال الصوتي ولا من حيث مصاحبة الآلة الموسيقية .

وهو غناء محبب الى القلوب والنفوس ينعش عواطف الانسان وعادة مايتناوب في الغناء مطربان واكثر يغني احدهما بيتاً ويرد عليه الثاني الى آخر السهرة الغنائية .
وبيت السويحلي يختلف أدائه عن بيت الناي حيث ان السويحلي يكون انشاد ابياته مقلوباً عن الاصل يؤخذ الشطر الثاني من البيت ويغنى أولاً ثم يغنى الشطر الأول ، مثال :

لا تجعدونه	خلو العزيز ينام
ليلو سفونو	نهودو فرط رمان
أصل البيت :	خلو العزيز ينام
	نهودو فرط رمان
	ليلو سفونو

أما في الغناء فإنه ينشد كمايلي :

لا تجعدونه خلو العزيز ينام	ليلو سفونو نهودو فرط رمان
عينك وجيدك	يالريم إلك وصفين
عذبها بيدك	ياترف هاك الروح
أصله :	يالريم إلك وصفين
	ياترف هاك الروح
	عذبها بيدك
	ولبيدي ول بالكاع

مثال : والعلی متوني
ولو كطعوني
منكر ودادو هواي (ما جوز أنا عن هواي)

أصل :
ول بيدي ول بالكاع
ول على متوني
ماجوز أنا عن هواي
ولو كطعوني

ويشير الدكتور سعد الحديثي وهو حاصل على الدكتوراه في علم الفلوكلور يقول ان أصل هذا اللون هو نهر دجلة (من حويجة العبيد) انتقل الى منطقة الفرات بواسطة

العمال الذين كانوا يعملون في تمديد انابيب النفط من كركوك الى حديثة على الفرات ومنه عبر الأراضي السورية فانتقل بواسطة تلك التجمعات العمالية الى العشائر العربية الساكنة على ضفاف الفرات بقسميه السوري والعراقي وتكاتفوا معه واصبح من الألوان الغنائية المحببة والمفضلة عندهم، وأصبح له حضور متميز في دير الزور اكثر من محافظة الرقة وليس معنى ذلك أنه لا يغنى هنا وإنما انتشار لون الناييل كان أكثر منه هنا .

والسويحلي ضرب من الشعر الشعبي الغنائي ينظم على بحر البسيط ومجزوءه .
يوضح به المغني أبيات العتابا للتخفيف من موقعها المؤسسي .
وأنا شخصياً أعتبر أن تسمية هذا اللون بالسويحلي جاءت من طبيعة انشاده لأن منشده او مغنيه في مده لحروفه وانينه عند بعض مقاطعه كأنه يسحب سحباً او يسحله سحلاً لذا جاءت التسمية بالسويحلي وليس من كلمة الساحل كما يظن البعض لأن كلمة ساحل الفرات لاتستعمل عندنا كثيراً فنقول شاطئ الفرات ولانقول ساحل الفرات اضافة الى أن أكثر الألوان الغنائية منبعها الفرات فلماذا سمي هذا اللون بالسويحلي دون بقية الالوان الغنائية التي أخذت تسميات أخرى .
* تركيب السويحلي :

يتركب السويحلي من بيتين من الشعر الكلمتان الأخيرتان في صدري بيت السويحلي متجانستان جناساً ناقصاً والكلمتان الأخيرتان في عجزى البيتين طليقتان أو حرتان .

وفي الغناء عادة مايكرر المغني غناء صدر البيت بعد الانتهاء من اداء البيت غنائياً وهكذا ومنهم من لايعيد ترديد الشطر الأول (أو صدر البيت) وإنما ينتقل بعد أداء البيت الأول مباشرة لأداء البيت الثاني بعد أداء بعض المحسنات أو الاضافات الكلامية لتوازن اللحن .

المرض داخل	ماينفع الدكتور	١- المرض داخل
وشبيك باخل	حث بسلام العين	وشبيك باخل
سيل الطيبة	المرضان شنهو دواه	٢- اسيل الطيبة
شوف الخطيبة	يجلي صدى الدلال	شوف الخطيبة
أومي ونادي	ماصدوا المجفين	٣- اومي ونادي

أشوف الحوادي بسوك الظعن عجلين أشوف الحوادي
النایل

من ألوان الشعر الشعبي الغنائي في وادي الفرات وله خصوصية وشعبية متميزة في محافظة الرقة من الألوان الغنائية الحزينة في بدايته فقد اشتق من شعر الحزن والرتاء ثم تطور هذا اللون وتبدل مضمونه الى اللون العاطفي العتابي والنایل هو أكثر أنواع الغناء حزناً ولا يغنى إلا من قبل المتألمين والمجروحين لهذا يدخل في القراءات النسائية (النعي) وفي تهليلة الولد مع أن غرضه الأول هو الغزل والتوجع يغنى مع الربابة غناه ابن المدينة والريف والبادية وفي بيت النایل تتجلى أبهى صور الشوق والصدق وتزهو أبياته بجمال البناء والعذوبة إنه يحوي قصة جميلة مليئة بالمعاني .

لقد أجاد اهل الرقة في هذا اللون وأبدعوا فيه وطوروه وابتكروا ألحاناً جديدة له . يكتب هذا اللون على البحر البسيط ومجزوءه ونستطيع ان نقول ان النایل اقتطع من المواليا كموال ذي شطرين بقافية واحدة فإذا أخذنا الشطرين الأولين من بيت الموليا فإنه يصبح نايلًا هذا ككلام أما كلحن فإن لحنه يختلف عن لحن المولية، مثال :

مطعون يهل الهوى مطعون أنا مالوم
مثل الجنين البجه وعن الصدر مفطوم
اللي يعرف الهوى يشكي بحالي دوم
والمايعرف يعرف الهوى مالو غرض بيه

فإذا اقتطفنا أول شطرين من بيت المولية فإنه يكون نايلًا

تركيب النایل : يتألف النایل من بيتين من الشعر متحدي القافية يكتب علي الجناس الناقص بشكل اساسي ولايجوز غير ذلك ينشده المغنون بعد غناء العتابا للتخفيف من وقعها المؤسي ولاراحة المعني وأغراضه كثيرة ولكن أكثرها في الفراق والعتاب والغزل شائع هذا اللون في شمال غرب العراق على الفرات ثم انتقل الى وادي الفرات السوري وانتشر في دير الزور والرقة ولكن انتشاره في الرقة كان أكبر الى جانب فن المولية وبرعوا في نظمه واخذت كل عشيرة او منطقة تتغنى بالنایل بطريقتها الخاصة في الغناء يغنيه المزارعون واصحاب البساتين على شواطئ الفرات واصحاب السفن التي كانت تنقل الناس في نهر الفرات او تعبرهم من منطقة لأخرى

أو من شاطئ لآخر .

أصل تسمية هذا اللون : هناك عدة روايات حول أصل تسمية هذا اللون بالنايل فمنهم من يقول وهذا هو الرأي الأكثر اعتماداً عند الباحثين في التراث الشعبي الغنائي الفراتي هو أن أول من غنى النايل هو امرأة من قبيلة بني عذرة كانت تسكن مع عشيرة العبيد أحبت فتى من هذه العشيرة اسمه نايل وكان هذا الفتى حسن الوجه كريم اليد لبق نطقه وصدق قوله وسليم عقله إذا وعد وفى ومن هذه الصفات الحيرة التي تمثلت في شخص نايل جعلت المرأة تتغنى بجماله وأول بيت قالته :

نايل جتلتني نايل نايل غير ألواني

وناييل بشوكه سجين الروح خلاني

وللعلم إن من أشهر أنواع النايل وأقدمها هو النايل العبيدي .

وربما جاءت التسمية من فعل نال كأن يقال (نال مني مانال) وهي حجة تقال لمعاتبه الدهر وفواجع الأيام لأن لحن النايل ينال من القلوب ويشير الحزن والأسى بصورة مؤثرة ، ولربما سمي بالنايل بنوال المنى ، كأن يمينون مغني العتابا الذي أثقله الحزن والأسى وكما هو معروف أن النايل يغنى بعد العتابا ومترافق معه .

والنايل يصنف تراثياً ضمن الأغاني البدوية الريفية هذه الأغاني التي تولدت نتيجة التمازج بين الأغاني البدوية والأغاني الريفية ، وينظم النايل على ثلاثة أشكال :
الشكل الثلاثي :

(١) ين اليسوي فضلل لهواي يتغنى

ويكله عمري انكضى بالآه والونه

مدري يجيني بعد لو أقطع الظنة

(٢) يارايح جيب السفن خلّ الكلب يرتاح

وشما يطول السفر ما يتعب الملاح

نهار أصيرن الك ولظلمتك مصباح

(٣) دنياك ماهي سوا / ورد الربيع أجناس

والرمل ما ينعجن / والشوك ما ينلّس

والسر ما ينعطى / ألا لناس وناس

النايل الرباعي :

كالوا طويلة كلت جاووس للعسكر
كالوا قصيرة كلت يكضبة الخنجر
كالوا صغيرة كلت الزعفران اصفر
كالوا سميرة كلت ياريحة العنبر
كالولي ضاع الوفا كلت الوفا موجود
كالولي ولفك جفا كلت اليحب يعود
كالولي شمعك طفا كلت القمر موجود
ثاريني مالي كلب و امشي بدرب مسدود
(٣) أما الشائع في الناييل فهو الشائي الذي يتألف من شطرين متحدين بالقافية :
مثال :

- ١- البارحة مانت حسبة على بالي
 - لذبح جنين الكلب ولو سير الغالي
 - ٢- سيف بلا جنايد بالحرب مايشال
 - ويضيع حكك هدر يل ماوراك رجال
 - ٣- كل يوم أكل الولف باجر يدك بابي
 - وبكل عين اصيرن كحل لو عادوا احبابي
 - ٤- زعلان جنبه الترف ومن واجبه نرضيه
 - عينو غدير الحجر صافي كدر مايبه
 - (٥) خشوف مرن عصر جنهن حوارى جنان
 - والعين سودة كحيلة والخذ فرط رمان
 - (٦) لقمان ما طيبه جرح البدلالي
 - مثل النسيم اليمر وائته علي غالي
 - (٧) كلبى بلون السكاراة مورث وعلكان
 - ويازين ضم الحلو لي غرب الميزان .
- والنايل الشائي هو الشكل الأساسي للنايل وهو الشائع .
هناك أنواع للنايل حسب القبيلة التي تؤدي هذا اللون .
من أقدم هذه الألوان هو الناييل العبيدي وهناك نايل العزة والبوفهد ونايل الغربية

نسبة الى عشائر البوغريب ونايل الجبور والنايل الفراكي ، وهناك نايل مشهور جداً في الرقة هو نايل الزمارة من ابتكار أهل الرقة انفردوا به لحنه ثقيل وبطيء جداً ويغنى مع الربابة ولكنه يحتاج الى مطرب بارع لأداء هذا اللون ، وهناك نايل الوردات لحنه سريع يغنى مع آلة الربابة أو بدونها ، أما النايل الفراكي ابتكره المطرب الشعبي حسين الحسن وهو مزيج من ألحان النايل الثلاثة المعروفة في الرقة العبيدي والزمارة ونايل الوردات .

الطب الشعبي

في منطقة الرقة

محمود الذخيرة

الطب الشعبي في منطقة الرقة

مقدمة: عرف العرب الطب منذ القدم، وبرعوا في هذا المضمار، حتى أصبحوا منارة للعلوم الطبية، وخاصة في عصر الأندلس، فقرطبة وحدها كانت تضم ثمانى عشرة مدرسة كبيرة لتلقي العلوم، بما نسميه اليوم «الجامعة» وفيها مستشفيات ضخمة بمثابة كليات الطب البشري.

وخرجت الى الوجود موسوعة طبية ضخمة، استعملها الأطباء الأوروبيون خلال مئات السنين ككتاب للتعليم، واستعان بها صاحبها في تصريف أموره الخاصة وتعليم تلاميذه، وكان واضح تلك الموسوعة الهائلة رجل ذاعت شهرته في الآفاق حتى أنه لقب بأعظم طبيب في القرون الوسطى وبأحد اطباء العصور كلها إنه الرازي.

ومن في كوكب الأرض بأسره لا يعرف الشيخ الطبيب العربي الكبير «ابن سينا» واكتشافاته العلمية الكبيرة في مجال الطب.

وأنت عندما تبحث في تاريخ الطب، تجد ان الاطباء العرب هم الذين وضعوا اسس الطب الحديث، بينما كانت اوربا تدوي مرضاها بالشعوذة والأوهام، وظلت الدراسات العلمية الى عهد قريب تقدم لنا اكتشافات جديدة في الطب كان السبق فيها للعلماء العرب.

وفي عام ١٩٢٤ قدم طالب عربي شاب اطروحة باللغة الألمانية الى كلية الطب في جامعة فرايبورغ، أحدثت دهشاً وعجباً شديدين، وجرت حولها بحوث محمومة ومقارنات عديدة، فكانت النتيجة ان صادق الجميع على ماورد في الأطروحة من نتائج علمية، والدهشة لاتزال تملأ النفوس على المختصين أنفسهم والنتيجة تؤكد أن الدكتور «التطاوي» من مصر على حق بما جاء فيه.

إن أول من نفذ ببصره الى أخطار جالينوس ونقدها ثم جاء بنظرية (الدورة

الدموية) لم يكن سارفيتوس الإسباني ولا هارفي الانكليزي بل كان رجلاً عربياً أصيلاً من القرن الثالث عشر الميلادي وهو (ابن النفيس) الذي وصل الى هذا الاكتشاف العظيم في تاريخ الانسانية وتاريخ الطب، قبل هارفي بأربع مئة عام وقبل سارفينوس بثلاثمائة عام، وقد قيل فيه، لم يوجد على وجه الأرض قاطبة مثيل له. وابن النفيس وابن ابي اصيبعة، درسا الطب معاً، وكان استاذهما (ابن الدخوار) رئيس اطباء المستشفى النووي الكبير وقد اشتهر بمحاضراته القيمة، وبدروسه السريرية في المشفى.

ويروي الرواة عن ابن النفيس الذي قال: «لو لم أكن واثقاً من أن كتبي ستعيش مدة عشرة آلاف سنة لما كتبتها».

هذه نبذة يسيرة عن تاريخ الطب والأطباء العرب، تطلعنا على ماضينا المشرق في هذا المجال، مقارنة بما توصلنا اليه فيما بعد، وعندما أفلت شمس الحضارة العربية أقل معنها كل شيء لكن بقي شيء واحد في وجدان العربي، وهو أن الطب رسالة إنسانية.

الطب الشعبي عند أهل الرقة والفرات:

أهل الرقة كغيرهم من عرب البوادي والأرياف، مارسوا مهنة الطب الشعبي فيما مضى، هذا ما تمليه عليهم ظروف الحياة التي عاشوها، بمعزل عن العالم الذي سبقهم في هذا الشأن.

بحسب طويلاً عن الدواء الذي يدفع عنهم الألم، واعتمدوا في بادئ الأمر على بعض الأحاديث والأقوال الدينية التي تشخص الدواء الشافي للمرضى، كالعسل والقطران وقراءة الآيات القرآنية وأخيراً استخدام الكي بالنار.

لكنهم تجاوزوا هذه الأدوية بحكم الحاجة، وأخذوا يفتشون عن غيرها ولتأثرهم بالبيئة الرعوية والزراعية على حد سواء تعرفوا على مئات الأصناف من الأعشاب البرية والنهرية وبعض الطحالب، وأخذوا يتداوون بها، وقيل إنهم كانوا يتعرفون على الأعشاب الطبية عن طريق حيواناتهم في المراعي والحقول فكل واحد تلة أو سهل أو مستنقع نباتاته الخاصة به، واكتشفوا النباتات السامة منها، عن طريق التسمم الذي يصيب مواشيهم وتعرفوا عليها وشخصوها لبعض الأمراض التي تصيبهم. إن الطبيعة التي احتضنت الإنسان بأمر الله، ليسود على الأرض، وهبته الداء

والدواء معاً، ففي كل واد ألف دواء وفي كل غصن زهرة للشفاء .

ومن خلال ما نطالعه اليوم من الاكتشافات الطبية الحديثة، وخاصة مايتعلق منها بمعالجة الامراض الخبيثة التي دوّخت علماء الطب نلاحظ أن التقدم في علاجها يتم بواسطة أدوية مركبة من عناصر نباتية، ففي نشرة طبية صادرة عن علماء الطب في اليابان، اكتشفوا من خلال تجاربهم الطبية أن نواة ثمرة المشمش المرة تفيد في علاج بعض من أنواع السرطانات، وهناك نبات نسميه «القريص» يفيد في علاج اختلال الدورة الدموية، كما أن الليمون والحمضيات بشكل عام تساعد كثيراً على الشفاء من مرض الاسقربوط، أما أمراض الحمات الراشحة التي يتعرض لها كل الناس تقريباً لم تستطع الادوية الكيميائية علاجها، وهذا باعتراف أطبائنا الاختصاصيين الذين ينصحون دائماً في هذه الحالة بتناول نقيع الزهور الشعبية وخاصة «البابونج» وعليه فأهل الرقة والفرات في قرون سالفة، وقبل دخول الطب الحديث اليهم في النصف الثاني من القرن الحالي كانوا يعالجون مرضاهم بواسطة الأعشاب في أغلب الاحيان بمعنى ان ادويتهم كانت من مصدر نباتي .

ويشتمل الطب الشعبي عند أهل الرقة والفرات على ثلاثة عناصر وهي :

«الطبيب - الأمراض - الأدوية والعلاج» .

آ - الطبيب :يسميه أهل الرقة سابقاً «الحكيم» ونرمز له اليوم بالطبيب العربي، والطبيب العربي هذا ليس كالطبيب الذي نعرفه اليوم، يدرس العلوم الطبية ويتخرج من كلياتها، ويحصل على شهادة تخوله ممارسة مهنته، ثم يحصل على ترخيص يجيز له العمل في أي مكان، بعد ذلك يخصص مكاناً لمعاينة مرضاه يسمى «العيادة» كما نعرف تتصدرها من الخارج لوحة معدنية كتب عليها اسمه وداخل العيادة مجموعة من الكراسي لجلوس المرضى وتعج هذه العيادة بصراخ الأطفال وتأوهات الامهات وتعقب برائحة العقاقير مختلطة برائحة المرضى وفي غرفة المعاينة يجلس الطبيب على كرسي مريح واضعاً السماعه في عنقه، يستقبل مرضاه بشاشة تدخل الى نفوسهم الأمل والطمأنينة .

لكن طبيب أهل الرقة «الحكيم» الشعبي عكس ذلك، لا يدرس ليحصل على شهادة طبية، ولا توجد لديه عيادة عيادته الحقل الذي يشتغل به، أو المرعى الفسيح الذي يرعى به غنمه، او يجلس في بيت الشعر أو السباط او الدار، لا يحمل سماعة

ولاجهازاً لضغط الدم أو الحرارة .

ويمكن أن يكون الطبيب الشعبي في منطقة الفرات بشكل عام «امراة» تسمى حكيمة .

لكل طبيب عربي شعبي آنذاك اختصاص ، فمنهم للجراحة ومنهم للدخالية والنسائية والأطفال ومنهم للعظمية الكسور - ومنهم للرضوض ، ومنهم للكي بالنار ، تستثنى منهم الأمراض النسائية الخاصة بالولادة وغيرها فهي من اختصاص طبيبات شعبيات يسمونهن الدايات مفردها «داية» أو حرارات ، مفردها «صرارة» ولأمانة التاريخ وأصالة تراثنا لزاماً علينا أن نذكر مشاهير من زاولوا مهنة الطب الشعبي في منطقة الرقة خلال القرنين الماضيين وهم :

١- اختصاص الجراحة : صلعو الجاسم ، عبد الجبار الخلف ، علي الصران ، تبال الحمود توفي آخرهم عام ١٩٤٨ م .

٢- اختصاص الأمراض الدخالية العامة هم : حسن العباد ، علي الشطيحي ، عبدالله الكعود ، سطم العبو ، عبيد خضر الشيخ ، عساف الخلف ، عبدالله السرد ، سيد البيبي ، ذياب العران ، وهذا الأخير توفي عام ١٩٦٢ م عن عمر يناهز ١٢٨ سنة .

٣- اختصاص العظمية «الكسور» ويسمونهم «مجبّرين» مفرده «مجبّر» واشتهر منهم : شيخ الحمد - جاسم الشبلي ومحمود العيسى الشعبي وصالح الخلف وهذا الأخير لا يزال على قيد الحياة .

٤- اختصاص الرضوض : اشتهر منهم مطر الشواذيب : وكان من أبرع اطباء الرضوض في المنطقة .

٥- اختصاص الكي بالنار : حمد الجبل - حسين الحايك - علي الشواخ .

٦- اختصاص النسائية : لها حكيّمات ، اشتهرن : عمشة العبيدات ، ويسمونها عمشة الحكيمة لبراعتها ، وهلاله الصالح ، خود الحمود ، ندوة الفارس ، فضة الحسين المانعية ، هيلة المحمد ، نومة الخرصية ، وهؤلاء النسوة يزاولن الى جانب مانسميه اليوم القبالة : مداواة امراض النساء .

ب- الأمراض :

الأمراض الجراحية : كانت الأمراض الجراحية عند أهل الرقة كثيرة ، وربما كانت

أكثر الأمراض التي تصيبهم، والسبب يعود الى كثرة الخلافات بين العشائر والأسر نتيجة الثأر والصلوصية التي كانوا يسمونها «الحرامية» وينعتونها بمهنة «الحرمنة» وما يتعرض له هؤلاء من جروح كثيرة، تصل الى الموت في بعض الأحيان، زد على ذلك الغارات والغزو والقتال على الأراضي والمراعي، وآبار المياه، وكان سلاحهم الذي يتقاتلون به هو السيف «والكردة» وهي عبارة عن سيف مستقيم، وسلاح الشلفة، وهو كرأس الرمح والخنجر وغيره، وهذه الأسلحة تحدث جروحاً متعددة في كل أنحاء الجسد.

والجراحة بمعناها الحقيقي الذي تعرفه اليوم هي: كل ما يستأصل من الجسد في حالة عطبة، وتشتمل على جراحة القلب والمعدة والأمعاء، وكل الأعضاء الداخلية والخارجية والأطراف والجمجمة وغيرها، أي أنها جراحة راقية، تضطر أحياناً الى استبدال الأعضاء التالفة بأعضاء جديدة.

أما الجراحة الشعبية عند أهل الفرات في القرون الماضية، فتقتصر على ما يسببه مؤثر خارجي على جسد الإنسان كجرح نتيجة ضربة سيف أو طعنة خنجر أو دخول رصاصة أو دخول أي جسم غريب الى الجسد، ومن أهمها شوكة «الزر» وهو العوسج النهري، ولهذه الشوكة حكايات مع الجراحة الشعبية في وادي الفرات. كيف يداوي الطبيب الشعبي جراح مريضه أو مرضاه؟. يأتي الجريح محمولاً على عباة مستلقياً على ظهره، ويوضع أمام الطبيب فيشمر الطبيب عن ساعديه بعد أن يغسل يديه، ويلف منديله على فمه وانفه، ويغرز طرف المنديل بالعقال، كما يضع الجراحون اليوم الكمادات الطبية، فإن كان الجرح لايزال ينزف، يضع عليه سائلاً أصفر اللون، هو خليط منقوع ببعض الأعشاب يضاف اليه الشب وقليل من الملح وقليل من قشور السبته المطحونة، والسبته هي عبارة عن نطاق من الجلد يلف حول الخصر ويكون ملاصقاً لجلد الإنسان مباشرة، ونسميه في منطقتنا «السير» فيتوقف النزف، أما ما يتصل بتخدير المريض أو الجرح فلا توجد آنذاك مادة مخدرة كما هو الحال في عصرنا الراهن، إنما يخدر المريض، بتهيئته نفسياً لتحمل الألم، وشحذ همته بفضل تشجيع الحاضرين له، وخاصة النساء والفتيات الجميلات اللواتي يزغردن فوقه، ويرتدين أجمل اللباس والحلي، ويسمعن صيحات الثناء عليه، وينعتن بالشجاعة والسخاء والشيمة، وعلى أنه أخو «فلانة» لا شجاع قبله

ولابعد، هذه النعوت والثناءات هي المخدر الذي يأخذه المريض «الجريح» أثناء مداواة أو خياطة جرحه، لا يأخذ المخدر كما هو الحال عن طريق الوريد، بل يأخذه عن طريق السمع بوساطة الأذن.

في هذه الأثناء يكابد الجريح على الصبر ويتحمل الآلام الشديدة، خوفاً من العار الذي يلحقه أو يلحق أسرته أو حتى عشيرته، إن بدر منه شيء من الخوف أو الارتباك والتأوه.

يباشر الطبيب الشعبي الجراح بخياطة الجرح بالخييط والابرة، بعد وقوف الترف، وبعد ذلك يدهنه بمادة كالمرهم، مصنوعة من الدبس الأسود والشب، ثم يعالجه بعد ذلك بلبان البطم والصابون والبيض، لسحب القيح من داخل الجرح وتجنيفه، هذه المواد تمنع المضاعفات التي تصيب الجرح بعد العملية، أي انها تمنع مانسميه اليوم بـ«التهابات الجروح» يبقى الطبيب الى جانب مريضه إن كان الجرح بليغاً، ويعزله في ركن من بيت الشعر أو السباط، او في دبابه خاصة له، ويمنع الآخرين من مخالطته. وهذا ما نسميه اليوم بالحجر الصحي، كانوا يسمونه «الحجال» والحجال هو عزل المريض في حالة الجروح والأمراض المعدية، في ركن من بيته، وهو عبارة عن زرب ينصب بشكل دائري أو مربع يسمونه «حجته» يعزل المريض بداخله، باستثناء عضة الأفعى، يجتمع حول العضوض حشد من أقاربه وجيرانه، يغنون ويهزجون وينقرون على الدفوف حتى يمنعوا عنه النوم طيلة فترة تقارب اليوم الكامل، لأنه في اعتقادهم إذا نام من عضته الأفعى فمصييره الموت في الساعات الأولى من العضة.

أما إذا دُمِّل الجرح واشتد التهابه فيداويه الطبيب الشعبي الجراح «بالعنايا» مفردتها «عنية» وهي أقوى أدوية التهابات الجروح، وهي عبارة عن مزيج من جريش الشعير الأسود مختلطاً بنباتات برية مثل: «الدعجة والشيخ والطرطيع والزفرة مع مادة الحثحيت وبذور اللوبياء المشوية، ومما يدل على فعالية دواء العنية قول الشاعر الشعبي الفراتي:

يا جابر لف جرحي بالعنية

كبل ما بلاك عمداً بالعانية

هذا ما يقوم به الطبيب الشعبي الجراح، لكافة أنواع الجروح كبيرة كانت أم صغيرة، أما ما يتصل بغيرها مثلاً: إذا دخلت رصاصة الى الجسد، أو كرات صغيرة

من الحديد ما نسميه بـ«الخردك» أو جسم غريب آخر، يأتي الطبيب ويعاين المصاب، ويستدل على موضع الرصاصة أو غيرها بواسطة سيخ رفيع من الفضة، وبعد تحديد موضع الجسم الغريب في الجسد الأدمي، يأتي بالموس، ويشق مكان هذا الجسم ويخرجه بواسطة ملقطة من الحديد أو النحاس له رأسان مبريان، أما المجرى التي تتركه الرصاصة في الجسد، كي يجنبه الطبيب الالتهاب الشديد الذي يؤدي أحياناً إلى الموت نتيجة تلوثه بالهواء والجراثيم، فيضع به فتائل من الدبس الأسود ممزوجاً بمواد أخرى بعد تجفيفه، ثم حشوه بالمجرى الذي حفرته الرصاصة، بعد ذلك يعالجه بالعناية.

أما ما يتصل بالجروح التي تنشأ نتيجة عضه الكلب غير المكلوب «السليم» كما نسميه والذي لا يحمل داء الكلب، فإذا غارت أنيابه في العضلات فلها استطباب من نوع آخر.

حدثني عنه أحد المعمرين الذين عولجوا من عضه الكلب السليمة، السيد حسين الحمود فقال: كان أثره واضحاً لاربعة انياب عميقة في ساقِي، التهمت مواضعها فقدمت إلى الطبيب الشعبي الجراح بتال الحمود، وبعد أن شاهدها جاء على الفور بصلصال أحمر من التراب وعجنه بالماء، وشواه على النار بعد أن اعمل منه أربعة فتائل قطر الواحدة منها يساوي قطر ناب الكلب، وبعد أن أخرجها من النار بخها بسرعة برذاذ من الماء نفثه من فمه، وبعدها أدخل الفتائل الأربع بمواضع الأنياب الأربعة في ساقِي، وعندما أدخلها شعرت بألم لا يطاق لشدة حرارة الفتائل الطبية في بادئ الأمر وبعدها هدأ الألم، وزال الورم الذي كان في ساقِي، وبعد أيام شفيت تماماً ولا أدري أين ذهب الصلصال، لقد غاب عن ذهن السيد حسين قول الله سبحانه في سورة الرحمن «وخلقنا الإنسان من صلصال كالفخار».

٢- الأمراض الداخلية وعلاجها:

وتشمل هذه الأمراض عند أهل الرقة والفرات، كافة الأمراض التي تصيب الجسد بما فيها الجلدية والعينية والأذنية والأطراف، أي ما هو داخل الجسد وخارجه وتعالج هذه الأمراض بالكي بالنار والأعشاب وبعض اللدائن، والمساحيق التي يركبها الطبيب الشعبي، هذه الأمراض كثيرة سنتحدث عنها:

آ - الأمراض الخطيرة: وتشتمل على ستة أمراض وهي: الطاعون - الكوليرا - الحمى - الصيرة - الحنطية - الخنيزيرات .

١ - الطاعون: مرض خطير يسمونه «الهواء الأصفر» وسبب هذه التسمية هو أن المريض يشاهد الهواء وقد أصبح لونه أصفر، ثم يتراءى له خيالات، مثل فرسان يركبون الخيول يهيمون بطعن المريض ووحوش كاسرة، وطيور جارحة، وكل ذلك بسبب ارتفاع حرارة جسد المريض على حد قولهم، والطاعون من أخطر الأوبئة، عجزوا عن علاجه، وأكبر اجتياح له لمنطقة الفرات كان عام ١٧٦١م ومن ضحاياه والي الرقة آنذاك سعد الدين باشا العظم، ودفن في الجامع العتيق بالرقعة، ومازال قبره موجوداً ويتوهمه عامة الناس إنه قبر الصحابي وابصه بن معيد الأسدي .

٢ - الكوليرا: مرض خطير يسمونه «الخريطة» وفي العراق يسمونه «الهبضة» وهو من الأمراض التي لم يجدوا لها علاجاً، ويطلقون على هذين المرضين «الطاعون والكوليرا» اسم، الوجدع أو الوباء .

٣ - الحمى: وهي «الملاريا» من الأمراض الخطيرة التي كانت تفتك بالأطفال، وخاصة في فصل الخريف لكثرة البعوض الذي ينقل جرثومة هذا المرض والحمى من الأمراض التي لم يجدوا لها علاجاً .

٤ - الصيرة: وهو من الأمراض الخطيرة، لكنه قليل الانتشار، يصيب كافة أعضاء الجسد بالوهن والعجز وقلة النوم والأكل ويشبه إلى حد ما مرض «نقص المناعة» يؤدي إلى الموت لكن ليس في كل الأحوال، يشفى منه بعض المرضى، يعالجونه بأكل المأكولات التي تحمل مانسميه بالبروتين كلحم الضأن والأسماك والطيور البرية، بشكل مستمر، بالإضافة للمأكولات التي تحمل مادة الحديد، كلحم البقر والغزال والغراب والعقعر، ونبات الخبيزة والقليل وهو «السبانخ البري» وحب «الكرنية» وهي بذرة نبات السوس، وكانوا يتمنون للذين يكرهونه أن يصاب بهذا المرض، كما يرد على لسان الشاعر الشعبي الرقي عندما يقول:

دشرتني وكوطرت خلتي بحيرة

ليت للحرمني الولف بسل ووجع صيرة

٥ - هناك مرض خطير يسمونه «الحنطية» لكنهم يسيطرون عليه في أغلب حالاته، وهو من الأمراض التي تصيب الحنجرة وتقضي عليها، وطريقة علاجه صعبة ودقيقة

ولافئة للنظر .

يصاب المريض بطفحة يسمونها «حبة» داخل الحنجرة مابين اللوزتين على اللهاة ، ويقولون ان هذه الحبة خبيثة ولا تعالج الا بكيها بالنار ، وتعالج على الشكل التالي :
يأتون بقصبة جوفاء من البوص يدخلونها في فم المريض ، حتى يصل رأس القصبة الى موضع الحبة ويحيط بها ، ثم يأتون بمسمار مدبب الرأس يربطون مؤخرته بعود رفيع ، يحمون رأس المسمار على النار ، ويدخلونه في جوف القصبة ، ويلدعون به الحبة الخبيثة ، حتى تتلف ، وعلى أثر هذا العلاج يشفى المريض ، يستعملون قصبة البوص ، لحماية الحلق واللسان من مسمار الحديد المتوهج فبدونها لا يتم هذا العلاج .
٦- الخنيزيرات : وهو مرض خطير وخبيث ، نسميه اليوم «مرض سرطاني» يصيب الحلق بشكل أورام تشبه الدمامل ، علاجه كما يقولون : الكي بالنار بواسطة المنجل حيث يحمى على النار وتكوى به هذه الأورام ، لكل ورم منها ست لجعات ، بشكل خطوط مستقيمة ، تفصلها عن الجلد عجينة رقيقة ، كي لا يتلف المنجل بحرارته خلايا الجلد ، وشاهدت أحد المعالجين بهذه الطريقة ، ولا تزال آثار الأورام والكي ظاهرة على حلقة .

ب - الأمراض الأخرى :

١- الشارج : مرض يصيب الرأس ، نسميه اليوم بالصداع النصفي ، ويعالجونه بالفصد والفصد سحب كمية من الدم بواسطة دودة العلق من شريان الرأس ، أو يعالجونه بلدعة خفيفة بالنار على الصدغين .

٢- الكجل : ونسميه اليوم بمرض القرع ويصيب هذا المرض جلدة الرأس ، ويقضي على الشعر يعالجونه بمعدة «الشعلب» اي يخرجون ماتحويه معدة الشعلب ويضعونها عليه .

٣- الدوخة : وهو مانعرفه اليوم بانخفاض ضغط الدم ، يعالجونه بشرب اللبن الفرز مع الملح .

٤- الفجرة : مرض يصيب جلدة الرأس مع الوجه ، وعادة يصيب الأطفال وهو عبارة عن بثور تندمل تعالج بواسطة «شرارة كهربائية» يطلقونها من الزناد على حجر الصوان وبشكل ومضات متتالية ، وهذا علاج يدخل ضمن المعتقدات لأن الذي يقوم به ليس طبيباً ، إنما رجل شرط أن يكون سخيّاً ابن سخي أو فلاحاً ابن فلاح ، ويمكن

- للطبيب أن يعالجه بواسطة نبات القريص والشب .
- ٥- المولىه : ونسميها اليوم قرحة المعدة وتعالج بشرب الحليب مضافاً اليه عشبة تسمى عشبة النار تحمل هذه العشبة شحنة كهربائية وتعالج ايضاً بواسطة الكي بالنار ومادة الجنزار .
- ٦- ام ذويل : وهي مرض يصيب العين ، الشبكية ، يعالج بالكي بالنار او بمادة تفرزها نبتة تسمى «اللبينة» وهذه المادة تشبه الحليب .
- ٧- مرض الاخت : ونسميه اليوم شلل الاطفال ، يعالج بالكي على شكل لدعات متتالية على عدة مواضع من الجسد .
- ٨- النكطة : وهي مرض يصيب العين «البؤبؤ» يعالج بمصل اللبن الحامض .
- ٩- الشرى : وهو ما نسميه اليوم التحسس الهوائي أو الغذائي ويعالج بواسطة دواء من نبات يسمى «الخوين» لونه أحمر يشربه المريض ، او بثلاثة لسعات بالنار بواسطة المخاط على الذراع .
- ١٠- الريح : ونسميه اليوم «روما تزم المفاصل» يعالجه بواسطة الكي بالنار على الكعبين ويداوي ايضاً بواسطة نبات يسمى «عود الهوى جوّه» .
- ١١- عرج تسه : ونسميه اليوم «عرق النس» يعالج بواسطة عشبة نباتية اسمها على اسم المرض وبالكي ايضاً في بطن الفخذ أعلى الركبة وعلى أصابع القدم .
- ١٢- نادوف يسري : ونسميه اليوم «عرج المعدة» ويعالج بالكي وبنبات الشيخ الأخضر .
- ١٣- الحوينفر : ونسميه «الاسقربوط» ويعالج بالكي على اللثة وبنبات عود الهوى جوّه .
- ١٤- الرمذ : يصيب العين نسميه «التراخوم» يعالج بالرمث والخوين والغرمز .
- ١٥- أبو شكله : وهو مرض خطير لكنه كان قليل الانتشار ونسميه اليوم «الجلطة» وهو مرض يصيب القلب يعالجه بنبات بري طعمه مر يسمى «الدعجه» مع النعناع البري .
- ١٦- الطيحه : مرض يصيب الأطفال نسميه «الاسهال» وكانوا يعتقدون انه نتيجة تلوث حليب الأم اثناء الرضاعة يعالجه بماء منقوع نبات الشيخ ، وكي تتفادى الأم اصابة صغيرها بهذا المرض تأخذ جرعة من نبات «الدعجة» قبل الرضاعة بساعة .

- ١٧- شلعة السرة: نسميه عصب المعدة، يعالج بحزم السرّه وممارسة بعض التمارين الرياضية في الصباح الباكر قبل وجبة الإفطار .
- ١٨- حية الهوى: وهو مرض ينخر العظم والعضل، وهو مرض خطير يصيب الأطراف ويعطلها، يعالجونه بمعدة الثعلب، ومعدة طائر «الرخم» وهو أحد الأمراض التي يخافها أهل المنطقة .
- ١٩- المسقل: ونسميه «مرض المغص» يصيب الأطفال، ويعالجونه بالبيض والشب وصف اللباد البالي .
- ٢٠- المجفية: من فصيلة الدمامل لكنها خطيرة، تصيب المفاصل فتتلفها، إنما علاجها عندهم سريع جداً بواسطة الكي بعرض السكين على رقائص صغيرة، من العجين توضع على الصفحة «الحبة» .
- ٢١- الدويحس: وهو مرض يصيب أطافر اليدين والرجلين، فتلتهب وتورم على أثره، يعالج بالبصل المشوي والرمث والقطران .
- ٢٢- الكراضة: وهي من الدمامل ترافقها حرارة وألم شديد، تعالج بدقيق القمح المنخول والسكر والزيت الحلو، ونبات زهري يسمى «الكير» .
- ٢٣- الخازة: وهي عبارة عن «أكزمة جلدية» وتعالج بدبس قشور القمح، ورماد حطب الطرفاء الأخضر بعد حرقه، يدهن به موضع المرض .
- ٢٤- الحميرة: نسميها «الجمرة الخبيثة» وتعالج بمعدة الثعلب وخليط عينة من نبات الشيح والعصلك والدوادي تخلط وتطبخ على النار وتوضع على موضع المرض حتى يشفى .
- ٢٥- الخرويل: ونسميه اليوم «جدري الماء» ويعالج بدهون عود الهوى جوه .
- ٢٦- الجعيم: ونسميه اليوم «أبو كعب» يعالج بجريش الشعير الأسود الذي يخلط مع نبات الخمشة يوضع بالماء ويطنخ ثم يلف على شكل عينة ويوضع على موضع الورم .
- ٢٧- البويضة: من الدمامل الصعبة الشفاء، لكنها تعالج بمعدة الثعلب وخلطة اعشاب خريفية، والدمامل والخراريج تعالج بشكل عام بنبات عود الهوى جوه، والبيض والبطم الأخضر .
- ٢٨- الطريشة: هو مرض يصيب الأذن ونسميه التهاب غشاء الطب، يعالج

- بعضير «الفجيلة» الفجل البري .
- ٢٩- الحجة : ونسميه الجرب ، يعالج بقليل من القطران ، وندى انصوف وهي مادة تسمى «الحمط» ونبات القريص ايضاً .
- ٣٠- أبو رغيوة : مرض يصيب الفم واللثة لدى الأطفال ، يعالج بحليب الماعز يخلط مع الشب ، أو بمنقوع ورد الوحواح البري الخريفي .
- ٣١- المغص : ونسميه «تشنج المعدة» يعالج بنبات النعناع البري ، وبقشور الرمان الحامض .
- ٣٢- اللتقة : مرض يصيب اللسان ، وهو عبارة عن طفح يظهر على سطح اللسان يعالج بملح شجرة الطرفاء الفراتية ، بطريقة المضمضة عدة مرات .
- ٣٣- الصفرة : نسميه تضخم الكبد ، يعالج بنقيع كبدة الذئب الجافة مع نقيع شجرة الكبر الخريفية .
- ٣٤- ابو صفار : نسميه اليوم «اليرقان» ويعالج لفصد وبشرة اخضر نيري نر . يخلط بحليب الناقة الحلو .
- ٣٥- اللواه : وهو مرض نسميه «الكولون» يصيب البطن ، يعالج بنقيع ورد الحرمل البري مع الجنراز .
- ٣٦- الزاتية : ونسميه اليوم مرض «الزائدة الدودية» ويعالج بنقيع جذور وزهور نبات الدفلة المعروف لطرد الالتهابات ، ونقيع نبات القيصوم الربيعي .
- ٣٧- الزدي : وهو مرض عصارة المعدة يعالج بنبات يسمى «الكفشة» وهو نبات ذو زهور زرقاء اللون ورائحتها زكية ، يأخذها المريض عن طريق الشرب بعد غليه بالماء .
- ٣٨- الجرثام : وهو عبارة عن طفح يصيب اليدين والقدمين والوجه والظهر ، وهو مرض جلدي خطير كما يقولون ، يعالج بنبات القريص والخبيزة ، بالندك ونبات عود الهوى جوه .
- ٣٩- المرير : مرض عصبي ، يصيب الجهاز العصبي يعالج بنقيع اخرمل ، ونبات الكبر ، ومسحوق الحمحم .
- ٤٠- الزكمة : ونسميه اليوم «الانفلونزا» مرض اخمات الراشحة يعالج بمنقوع البابونج وبعض الزهور .

- ٤١- الحدفة : نسميه «النزلة الصدرية» يعالج بزهور النباتات المرة وخاصة زهور الدفلة .
- ٤٢- تفسير الشجر : مرض نسميه «الرمد الربيعي» يعالج ببذور وأوراق نبات بري يسمى «مخزك» بعد تجفيفه وسحقه ونخله .
- ٤٣- الثالول : مرض يصيب الجلد ، عبارة عن طفح صلب القوام ، تنبت له جذور في أدمة الجلد كما يقولون يعالجونه بربطه بخيط من الحرير الطبيعي ، وحب الشعير وكلاوي الخروف . ،
- ٤٤- الطنطاف : نسميه التهاب اللوزات ، أو بنات الأذن ، ويعالج بواسطة الزيت الحلو الدافئ ، وحب البركة «الحبة السوداء» ومرهم مركب من عود الهوى جوه .
- ٤٥- الحصار : وهو مرض يصيب المجاري البولية ، ونسميه اليوم ، التهاب المجاري ، يعالج بنقيع ثمار نبات السمرة الذي يوجد بكثرة على ضفاف نهر البليخ ، ونقيع البقدونس والخبيزة .
- ٤٦- النفخة : من أمراض الكولون ، يعالج بفحم القرب الفراتي ممزوجاً بالسمن البقري ، عن طريق الشرب .
- ٤٧- الكروة : وهو مرض فتاق الخصية ، ويعالج بالكي بشكل خفيف وباللبطم الأخضر .
- ٤٨- السراجة : وهو المرض الذي نسميه اليوم «الربو» يعالج بالببيض والودع والسماق تخلط وتنقع بالماء ، أو بأكل لحم الضب ، وهو من الزواحف البرية .
- ٤٩- الشعرة : مرض نسميه اليوم «كيس شعر» يعالج بالكي وبخليط من أعشاب متنوعة على شكل عنية وخاصة نبات «الوذينة» .
- ٥٠- كويصيص : مرض نسميه اليوم تقصف الشعر يعالج هذا المرض بالحناء مع قليل من مركب نباتي يسمونه الصبر .
- ٥١- البهضة : وهو مرض نسميه «تمزق العضلات» يعالج بواسطة عجين القمح المنخول مع الزبدة الحامضة وحب البركة ، توضع على شكل رقائق يلف بها الجسد .
- ٥٢- زلة الظهر : مرض نسميه اليوم «دسك الظهر» يعالج بمجموعة متواصلة من عنايا نباتية كنبات الشيخ والدعجة والرمث والشعير الأسود وزيت الزيتون .
- ٥٣- التيه : نسميها اليوم «تقلص عضلي موضعي» يعالج بمرهم نبات عود

الهوى جوه مضافاً اليه النعناع البري .

٥٤- النشطة : مرض يصيب الساقين وهو عبارة عن تقلص اعصاب الساقين او الذراعين يعالج بنبات «الطريع» مع عود الهوى جوة .

٥٥- البجل : مرض كان واسع الانتشار ، وكانوا يعدونه من الأمراض الخطيرة وكانوا يعالجونه بالكى بالنار ، ونبات اسمه «الكفشة» حيث تسحق اوراقه وازهاره وتوضع على موضع الألم ، أو قبعة ثمرة الباذنجان توضع على دمل البجل .

٥٦- ام اللعبان : مرض نسميه «التقيؤ» ويعالج بمسحوق زهر نبات يسمى «الكبلة» تخلط مع قليل من لبن الكيس المالح الذي يسمونه «الخرياطي» .

٥٧- الزريبة : مرض نسميه اليوم «الزنتارية» بنوعيتها -الباسلية والأميبية ، ويعالج بخليط من نبات الشيح والدعجة والملح ، أو بقطعة من فخار تحمى على الجمر وتلف بخرقه مبللة بالماء ، وتوضع على فوهة الشرج .

٥٨- الشريحطة : مرض نسميه الخناق يصيب الأطفال ، يعالج بزهور نبات الحوذاق والكفشة مع قليل من العسل الطبيعي ، ولشفاء هذا المرض عندهم اعتقاد بأنه يمر الجزار بالطرف الآخر من سكينه على حلق المصاب ثلاث مرات .

٥٩- حرك الليل : وهو مرض يصيب الجلد بشكل طفح الحروق ، ويعالج بدهنه بمركب نبات عود الهوى جوة ، وبرماد الموقد مضافاً اليه قليل من اللبن الفرز .

٦٠- العوايا : مرض يصيب الاطفال نسميه «السعال الديكي» ويعالج بنبات النعناع البري مع نبات «الخرنق» وبعضهم يعالجونه بشرب حليب «الآتان» انثى الحمار .

٦١- الجزة : مرض نسميه اليوم «الكزاز» يعالجونه بالكى بالنار بواسطة لذعات خفيفة متعددة على كافة أنحاء الجسد ، مع وضع جنزار بمقدار حبة الذرة البيضاء بقليل من حليب الناقة ، مع وضع العناية العشبية على الفك الأسفل .

٦٢- الحدكدكة : وهي عبارة عن دمامل صغيرة ، تصيب جفون العين تعالج بدقيق نبات يسمى «مخزك» أو بالاثمد مضافاً اليه قليل من السمن العربي ، ولشفاء هذا المرض عندهم اعتقاد بأن تداويه بلعابها المرأة التي تتزوج من ابن عمها ويطلقون على هذه الطريقة في المداواة «الجيسة» .

٦٣- العلة : وهو مرض يقولون بأنه عبارة عن جسم غريب ينمو بالمعدة وهو

عبارة عن كتلة من اللحم قوامها قاس ، اسفنجية الشكل ، حجمها بحجم كرة المضرب ، يعالجونها بالجنزار والصبر ، يتقيؤها المريض ، بعد أن يبلع كمية من هذين الدوائين .

٦٤- الطرفة : وهي مرض يصيب جفن العين «التهاب حاد» يعالج بنبات الخوين الأحمر وبقليل من مركب نبات الصبر الأخضر .

٦٥- الغشاوة : مرض يصيب البؤبؤ يسمى البياض ، ويعالج بماء الصفراء «مرارة الثعلب و مرارة السمكة» .

٦٦- التماطر أو العمشة : مرض يصيب العين ويسمى «الرمص» وهو سقط شعر الأهداب عن الجفون ، يعالج «بالأثم» الكحل ، والجايفه «الحتحيت» وعصير البصل المجفف .

٦٧- الدالف أو الدلف : وهو نسبة الى الجرح الذي لا يلتحم اي مرض السكري إنهم لا يعرفونه بالسكري يسمونه «النكف» ويعتقدون ان جرح مريض السكري دمه فاسد ، ويعالج بالبطم الأخضر مع نبات «الرمكة» ومسحوق السبته .

٦٨- العيب : مرض نسميه «البواسير» يعالج بجذور نبات الحلفا بعد غليها بالماء يضاف اليها زيت الزيتون .

٦٩- أبو فريوة : مرض نسميه «البروستات» يعالج بالكي بالنار فقط ، ونبات السمرة المر .

٧٠- الحصبة والجدرى : وهما مرضان معروفان ، والحصبة يسميها بدو الرقة «جيزة» وعلاجها عزل المصاب ، وتلقيح الآخرين من قريح الجدرى ، يأخذ من المصاب أما الحصبة فتعالج بشرب الدبس الأسود ممزوجاً بالماء وشرب اللبن الفرز .

٧١- الشطفة : وهو مرض يصيب قزحية العين : نتيجة العطش الشديد ، فتحمر وتلتهب وتعالج بالكحل والملح واللبن الفرز .

٧٢- العصيب : مرض نسميه «الزهري» وهو مرض يصيب الجهاز التناسلي ، يعالج بمزيج نبات عود الهوى جوه .

٧٣- الشركه : مرضى يسمى «البحة» أيضاً ، وهو مرض يصيب الأوتار الصوتية يعالج بالعسل والبيض وزيت الزيتون ومنقوع ورد الوحواح البري .

٧٤- المشك : وهو مرض يدمي بشدة الجلد ، وخاصة بشرة جلد الساقين نتيجة

الخوض المتواصل بالماء البارد، وعلاجه بالملح والزبدة الطبيعية .
٧٥- فيض المرارة: مرض نسميه «الصفراء» يصيب المرارة، يعالج بالكى بالنار
وشرب عصير نبات الخنظل الأخضر .
٧٦- الخطف: مرض يصيب الأطفال ونسميه «شلل نصفي» ويعالج بالكى بالنار
فقط .

٧٧- الدكرة: وهو ما يصيب الأظافر من تشقق والتهاب، ويعالج بالبصل المشوي
والتمر وزيت الزيتون .

٧٨- الجوبشيك: وهو مرض «احتشاء القلب» يعالجه بربط الكتف اليسر
للمريض واعطائه اكبر كمية من البصل والثوم، والخبيزة والبقدونس .

٣- معالجة التسمم:
التسمم الغذائي بشكل عام يعالجه بشرب الحليب الطازج والترياق والحليب
يغسل المعدة وينظفها من السموم الغذائية .
اما السموم التي تكون نتيجة لسعة العقرب او الحية او الدبور، فتتم معالجتها
كمايلي:

أ - امتصاص موضع اللسعة من قبل مختصين بهذه الطريقة، وهي طريقة فعالة .
ب- شرب الحليب الطازج، والحليب كما يدعون يمتص السموم من الجسد .
ج- وضع مادة الشناظر كما يسمونه وهو مادة «النشادر الكيميائية» التي يستعملها
الرباب وهي علاج حديث تقريباً .
٤- يضعون على موضع اللسعة «البيلون» .

٥- وهناك طريقة لمعالجة لسعة الافعى، بشكل خاص وهي كالتالي: يسلخون
موضع بطول ستة سنتيمتر من ساق الجدي، وهو حي بعد ربطه على عمود البيت او
السيباط، ثم يضعون موضع اللسعة ملاصقاً لما سلخوه من ساق الجدي، ويحكمون
ربطه بحيث لا يدخل عليه هواء، فيمتص جسم الجدي كل السم الذي دخل الى
جسد الملدوغ ويقولون . . يتنفخ الجدي ويصبح لون لحمه أزرق، ويبقى يصيح طيلة
الليل، حتى يموت الجدي، عندها يشفى المصاب حتماً، وهذه الطريقة يجب ان
تكون سريعة، وفور حدوث اللدغة وكما يقولون هذه الطريقة فعالة ومضمونة
النتائج .

٤- معالجة الحروق :

وتتم بواسطة مداد الحبر الأزرق ومصل اللبن المفرز الذي يخلط مع قليل من الزيت الحلو ومسحوق ورد الجوزان الاصفر، واخيراً عالجوا الحروق في منتصف القرن العشرين بعصير البندورة المجفف .

ج- الامراض العظمية «الكسور» :

لقد برع اهل الرقة في معالجة الكسور العظمية، وقد عالجوا كافة انواعها، ويسمى طبيب الكسور «مجبّر» وقد عاصرت طبيبين على مستوى المنطقة، وقد ذاعت شهرتهم وهما : محمد العيسى الشعيب وصالح الخلف الشام .

لقد تحدثت شخصياً مع هذين الطبيبين، وبالمصادفة حضرت بعض اعمالهم في تجبير الكسور، ولاحظت الثقة التامة بخصوص مهنتهم، هذا وكل مايتعلق بالضمانات التي ترافق تجبير الكسور تكون على حساب هذا الطبيب بالمجان، وبدون مقابل وطبيب الكسور الشعبي يقوم بتجبير كافة كسور الجسم مهما كانت وكان يعالج او يخطط جروحها .

ومنهم من يجبر كسور الحيوانات، وفي هذا الشأن نادرة، وهي عندما تكسو ساق الكلب، لم يستطع المجبر تضميد ولف ساحة لكثرة حركة الكلب، فيأتي المجبر بزرع صغير ويلفه حول عمود البيت ويربطه بشدة بضماط على العمود ويتحرك الكلب طليقاً يعرج حتى يجبر كسره تلقائياً هذا ماكان يعتقداهم، من هنا جاء المثل الشعبي الرقي الشهير، لعدم الترابط بين امرين «اجبار الكلب عالعمود» .

د- مسببات في اعتقادات مرضية وعلاجها :

هناك معتقدات، يؤمن بها اهل الرقة، على أنها تسبب امراضاً وهذه الامراض لا علاج لها، وعندي ان هذا الاعتقاد جاء من جهل هؤلاء الناس وعدم قدرتهم على مكافحة هذه الأمراض وركزوا على هذه المسببات واعطوها حجماً كبيراً في أذهانهم فشاءم الناس منها وتطيروا وأهم هذه الأمراض هي :

١- الإصابة بالعين : ويقول اهل الرقة عن المريض «مصيبوب بالعين» وهو أن بعض الناس يمتلكون عينين قتاليتين، وهؤلاء ينعنونهم «بالحساد» فكانوا يخافون الحسود على الزرع والضرع وكذلك الاغنام والبقر والابل والخيول، والحمير والدجاج والسواقي واللباس والاواني والدور والاشجار والمزروعات، تصاب كلها

بالعين ، والاصابة بالعين ، إما أن تقتل على الفور وإما أن يمرض المصاب مريضاً شديداً ، وعلاج مريض العين بسيط جداً وهو أن يأتوا للمريض من الذي اصابته عينه بالحسد شيء من «اثره» كما يدعون والاثرة بكسر الراء - قصاصة من لباس الحسود بدون ان يعلم بها ، ثم يحرقوا هذه القصاصة بالنار ويبخروا بها المريض فيشم المريض رائحة القماش المحترق ويشفى على الفور ، هذا العلاج في اعتقادي لا يحمل اي صفة علمية كدواء طبي فلو سلمنا بأن بعض العيون تطلت اشعاعات قاتلة كأشعة اللايزر مثلاً ، وهذا افتراض فإن هذه الاشعة إذا سلطت على شيء ما ، ستفتك به ، لكن إذا قلت لك أن هذه العين لم يقع نظرها على ناقة مكتنزة السنام ، قوية البنية ، وماتت هذه الناقة في المراعي ، نتيجة لوصف احدهم لها ، فقد قال احدهم : جاؤوا بأحد الحساد المشاهير الى إحدى مضافات بيت الشعر ، وقالوا له ان هناك ناقة في المرعى تخص فلان من الناس وضعها كذا وكذا ، فقال لهم اصنعوا لي سنامها من الوحل وصنعوه أمامي ، ففعلوا ونظر الحسود الى السنام المصنوع من الوحل بتركيز شديد فانشط سنام الوحل الى نصفين ، فقال لهم الحسود : اذهبوا الى ناقتكم في المرعى لقد انشط سنامها وماتت ، وعندما ذهبوا وجدوا الناقة ميتة ، كما أخبرهم بها الذي يصيب بالعين هذه حكاية من حكايات الاصابة بالعين ، وهي قصة لا يمكن ان يصدقها العقل ، والأكثر من ذلك العلاج المضاد ، كالحرق التي ذكرناها ، أو «الخضرمة» وهي عبارة عن خرزة زرقاء لاتغني عن شيء .

٢- التابعة : وهي أحد الامراض التي يعتقدون انها لاتعالج لان سببها لايمكن الوصول اليه وهذا المرض الاعتقادي يخص النساء فقط ، ويحدث عادة عند الولادة ، فالبعض من النساء تلد صغيرها ميتاً ، وعندما تتكرر هذه الحالة عدة مرات يسمون هذا بسبب «التابعة» ويؤمن بهذا جمهور النساء ، والتابعة هي انثى الجان ، تخنق المولود باعتقادهم قبل أن يرى النور .

ويعتقدون ان بين المرأة التي لايعيش لها مولود والتابعة انثى الجان عداوة ، والسبب هو «النذر» اي ان المرأة لم توفي بنذر لها ، وحين توفي المرأة النذر ، يتعري هذا الاعتقاد واسبابه الوهمية ورغم ذلك يبقى العداء محتدماً بين الانثى ، انثى الجان وانثى الانسان ، وهنا يدرك الانسان الواعي ان هذا الاعتقاد وهمي لا أساس له من الصحة ، وهذه الحالة تتعلق بتكوين جسد المرأة والجنين معاً وتعالج الآن في

الطب الحديث بكل بساطة .

٣- ربط الأسنان :

أو بلفظة أهل الرقة (ربط السنون) وهذه حالة مرضية تصيب الأسنان وهو التهاب باللثة ويعتقدون ان السبب هو أكل اللحم الحرام أو الخبز أو غيره .

وعلاج ربط الأسنان كغيره من العلاجات الوهمية ، وهو جلب عيدان بطول ١٥ سم من شجرة العوسج الفراتية ، ويرسم الذي يعالج هذه العيدان بعدد الأسنان التي يتألم فيها المريض ، وتبرى رؤوس عيدان العوسج ويرسم الذي يعالج هذه الحالة خطوطاً وحروفاً على الأرض ، ويدق العيدان على الأرض فوق الحروف ، وكلما دق عوداً ، يقول للمريض امسك على سنك حتى يأتي على كافة الأسنان المصابة ، وهذا علاج وهمي ، لا علاقة له بالشفاء من المرض .

واختيارهم لعيدان العوسج النهري لأنها قوية ولها اشواك قاسية ، يعتقدون انها تتحول الى قوة الاسنان .

٤- الرعاف : وهو مرض معروف يطلق عليه أهل الرقة (رعاف) وهو نزيف من الأنف ، يزعج المريض ، وينهك الجسد إن استمر ، ولما عجزوا عن مداواته ، ذهبوا الى الاعتقاد بأن سبب الرعاف هو «حفة جان» أي أن الجان لمس رأس المريض وسبب له هذا المرض وعلاجه لا يمكن أن يكون إلا بطرد هذا الجان ، أو بالقضاء على المرض والاثر الذي يتركه ، فابتدعوا علاجاً لمرض الرعاف ، وهو بيضة دجاجة يكتب على قشرتها بعض الكلمات والحروف ثم تلق بخارقة مبللة ، تغمس في الجمر حتى تنفخ ، فيتناولها المريض ويأكلها ويشفى .

والسبب الذي دفعهم الى أن بيضة الدجاجة توقف النزيف ، هو ان عرف الديك بالأصل تكون نتيجة نزيفه من رعاف ، ثم توقف هذا النزيف وتجمد عندما أكل الديك بيضة انثاه ، وهذا اعتقاد لا أساس له من الصحة .

٥- اللوى : وهو أحد الأمراض التي تصيب الوجه وخاصة «الفم» ينحرف الفم من نتيجة المرض وتتهدل الشفاه وتزور عيناه ويعجز عن الكلام ، واعتقد ان هذا المرض هو نتيجة ارتخاء عضلات الوجه بشكل عام ، ويحدث هذا المرض كثيراً وسببه كما يعتقدون «الجان» أما علاجه فطريف ، وهو أن هناك اناسا معينين لعلاج هذا المرض ، يأتيهم المريض فيمسك المعالج فردة الحذاء ، ويلطم به المريض لطمات

قوية على خده، من ثم يسمح المكان بيده، ويدلكه بالزيت الحلو، أما دور الحذاء في هذا العلاج، اعتقادهم أن الحذاء قذر متسخ والمسبب لهذا المرض أي الجان قذر أيضاً، وهذا اعتقاد لأساس له.

٦- الفالج: وهو مرض معروف منذ القدم لكنه يدخل من خلال علاجه في الأمراض الاعتقادية عند أهل الرقة، ومرض الفالج نسميه اليوم «الشلل النصفي» الذي يصيب الكبار والصغار معاً، ولصعوبة معالجة هذا المرض، اعتقدوا ان علاجه يكون مطابقاً لسببه.

فسبب مرض الفالج باعتقادهم ان المريض قد دخل على قرية من القرى التي يسكنها الجان، وبطبيعة الحال هذه القرى وهمية خيالية، رسمها في اذهانهم العجز عن اكتشاف الدواء الحيوي المادي لهذا المرض، فانقلب الى اعتقاد، وقرى الجان عند أهل الفرات بشكل عام والرقة بشكل خاص تكون في أي مكان، شرط أن يكون هذا المكان بعيداً عن مواطن تجمع البشر، أما مدن الجان كما يعتقدون فهي الخرائب أي آثار المباني القديمة بمعنى الأمكنة الاثرية وما أكثرها في منطقة الرقة، واعتقد حسب ما فهمت منهم ان عاصمة الجان في منطقة الرقة هي «هركله».

وعلاجه بالأحجة والابخرة المتعددة والزيت، لطرد الارواح الشريرة، وهذا أيضاً اعتقاد خاطئ لا أساس له من الصحة.

٧- الهبال: وهو مرض سببه اعتقادي وعلاجه اعتقادي وهو شيخ الأمراض التي يسببها الجان كما يعتقدون والهبال مرض يصيب العقل فيعطل بعض وظائفه ويسمونه مرض الجنون نسبة الى الجان، عاجلوه كغيره من الأمراض الاعتقادية بالحجاب والابخرة المتنوعة والتعاويد.

أما المضمون الحقيقي لهذا المرض، فهو مرض يصيب وظائف الدماغ من خلال مسبب مادي أو فيروس أو جرثوم فأوجد له الطب الحديث علاجاً وربما يكون مرضاً نفسياً صرفاً، وقد أعطاه اعتناءً زائداً، ووجدت له علاجات متعددة واجهزة ومختبرات متطورة كلها تنفي الاعتقاد الخاطئ عند الاقدمين بأن سببه الجان.

٨- الكحصة: وهو مرض يصيب الأطفال في سن مادون العاشرة من العمر، يصيب الطفل بالخوف وترتعد أوصاله، ويقل نومه وطعامه، ويقلق الأهل عليه، وهذا المرض سببه لمسة خفيفة يقوم بها الجان على رأس الطفل كما يعتقدون.

والحقيقة ان هذا المرض يفاجئ الأطفال احياناً، نتيجة لارتفاع درجة حرارة اجسادهم، وربما يكون نتيجة حالة نفسية كما في كتاب «علم نفس الطفولة والمراهقة» وعلاجه كغيره من الامراض الاعتقادية، بالحجاب والابخرة والاهم من كل ذلك معالجته عن طريق «طاسة الرعبة» وهي عبارة عن طاسة نحاسية صغيرة تعلق على أطرافها ما يسمى بـ«الشناشل» لاتضر ولاتنفع بشيء يسقونه الماء بهذه الطاسة، فيعتقدون بشفائه.

٩- ابو عمايا: وهو مرض نسميه اليوم «سرطان الثدي» يعتقدون ان سببه حيوان «الخلد» وهو أن هذا الحيوان ينفخ على صدر المرأة، أثناء العمل في الحقل بدون أن تشعر فيصيبها المرض، وعلاجه ان يمسحه رجل سبق له أن خنق حيوان الخلد بيده حتى الموت، فتصبح تلك اليد شفاء لهذا المرض.

١٠- البرص: وهو مرض جلدي خطير، يتطير منه الناس جميعاً، وهو مرض وراثي في اغلب الاحيان ويعتقدون ان سببه حيوان «أبو بريص» ونسميه بالرقعة «البريصي» بتبول هذا الحيوان بملح الطعام، فتأكل منه الأسرة فيأتي نصيب أحدهم الجزء الملوث ببول أبو بريص، فيصاب بمرض البرص الجلدي، يعالج هذا المرض بقشور القمح ودم أبو بريص يدهن به الموضع، لكن لافائدة من هذا العلاج لأنه علاج اعتقادي خاطئ.

١١- التتبه: وهو مرض يصيب العضلات بتشنج موضعي يحس به المريض اثناء عملية الشهيق والطب الحديث عالج هذا المرض وذلك بتدليكه بالمراهم العلاجية وزواله فوري واكيد، لأن سببه احياناً تمزق عضلي، إنما اعتقد اهل الفرات وخاصة اهل الرقة ان سببه هو غضب احد المشايخ «ال دراويش» على المريض، فطعنه بالسرة، وسبب له هذه الوعكة الصحية، وحياناً يستدلون على موضع الألم «التتبه» بأن لونه ازرق، بشكل بقعة تكون على الجسد، فيؤكدون طعنة الشيخ هذه.

والبقع الزرقاء على الجسد الادمي تأتي نتيجة صدمة يتعرض لها، بسبب عصا أو غصن شجرة أو وتد أو عمود أو حجرة صغيرة ينام فوقها من يصاب بالتتبه، تكون تحت الفراش حسب طبيعة المكان في الريف والبادية، او نتيجة لركلة قدم أو لكزة اصبع، ولها مسببات عديدة، وتخضع لظروف العمل داخل الحقل والاحراش وفي بيوت الشعر والسيابيط، أو الارتقاء من على ظهور الخيل والابل والحمير وغيرها.

وعلاج التنبه يتم بواسطة معالجين خاصين بها، يقبض المعالج سكين بيده، ثم يضع حد السكين على موضع الألم، ويقرأ بقلبه مايشاء، ولانعرف ماذا يقرأ فهو لايعطي لأحد.

ووضع السكين على التنبه يسمونه «اتننغز» وباعتقادهم ان السكين تشفي ألم التنبه لأن سبب المرض هو طعنة سرية من سكين الشيخ الذي غضب على المريض، وهذا علاج خاطئ ومعتقد خاطئ لا أساس له.

الاعتقاد والشعوذة الطبية :

المعتقدات الطبية أخذت دورها الكبير في حياة الشعوب منذ آلاف السنين، ووصلت الى مرحلة خطيرة هي العجز التام امام فتك الأمراض بالبشر، وعدم ايجاد العنصر المضاد الذي يستطيع ان يحمي الانسان من شرورها، ونتيجة هذا العجز وقف الانسان في حيرة من أمره، لكن حب ودوام البقاء يدرك ويتصور اشياء نافعة ممكن استعمالها في دفع الامراض عنه وللأسف كانت هذه الاشياء والتصورات وهم وبلاذة وخطأ قاتل روضه المعتقد الذي افرز الدجل والشعوذة.

بماذا نعرف الشعوذة بمفهومهم الحقيقي الذي طبع في اذهان أهل الفرات خلال القرون التي عاشوها والشعوذة في الطب هي طريقة معنوية وهمية في الاستطباب، لاتستند الى قاعدة علمية مادية ملموسة، فماذا تعني نفخة يرسلها شخص ما من فمه على رأس مريض، هذه الوصفة السحرية العجيبة التي لاتحتاج الى جهد أو مشقة تعطي المريض اعتقاداً بالشفاء، فقط، أما مايجول في نفس الطبيب الذي أعطى هذه الوصفة أهو اعتقاد أم دجل هذا التقييم نقوم به نحن من خلال تجاربنا حين نتجرد لمعرفة الحقيقة من الاعتقاد والوهم فالطبيب هذا نحكم عليه بأنه دجال، وهذا يقودنا الى معرفة هذا الطبيب وعلاجاته الطبية «الوصفات».

١ - طبيب الشعوذة الطبية :

لو وضعنا طبيب الشعوذة هذا في الميزان لوجدناه دجالاً وأفakاً، استناداً الى أبسط قواعد السلوك البشري ولأسباب اهمها :

أ - وصفته الطبية لاتعطي مدلولاً علمياً ملموساً يعطي القناعة التامة للناس كي يزيل الشك عن نفوسهم والحقيقة ان الشك لا يوجد في أذهان البسطاء وان وجد يكون بنسبة ضئيلة وهذا ما جعل هؤلاء الدجالين يهيمنون بأفكارهم على البسطاء

من الناس والشك لجام العقل المفكر الذي يحركه كيف ما يشاء لمعرفة الحقيقة، وكلنا يعرف القول الشهير في القرآن الكريم للنبي ابراهيم عليه السلام «ولكن ليطمئن قلبي» في حقيقة الروح والبعث والنشور.

ب- كل الأطباء الشعبيين لا يتقاضون أجوراً لاتعابهم الطبية باستثناء أطباء المعتقدات، فإنهم جشعون ويريدون من المريض الكثير لقاء لشيء، وهذا يدرج تحت عنوان الكسب غير المشروع والذي يأتي بدون جهد أو تعب أو اختصاص.

ج- السيطرة التامة على عقول البسطاء، من خلال اقناعهم بأن هناك أرواحاً شريرة لاترى بالعين هي التي تسبب الامراض.

د- ادعاء الطبيب المشعوذ بقدرته الفائقة على دفع هذه الارواح الشريرة عن المرضى، بطريقته الخاصة وهي معرفته البسيطة بالقراءة والكتابة في مجتمع يطبق عليه الجهل والتخلف.

هـ- تقديم ما لا يضر وما لا ينفع للمريض، لوضعه في حيرة كي لا يصل الى نتيجة ككتابة ورقة او قصاصة صغيرة، خطت بحروف مبهمه غير واضحة، وهذا دليل تام على جهله ودجله، او شربة ماء كأي ماء عادي ولو أراد تحريك شيء من اليقين في عقول مرضاه الجهلة، لوضع شيئاً من السكر أو الملح أو ألوان لأصبغة متعددة، أو نبات يجعل المريض يقنع أن هناك شيئاً ما في هذا الدواء، يمكن أن يكون علاجاً فالماء إن كان من بئر فهو ماء بئر وإن كان من نهر فهو ماء نهر والغدير كذلك.

و- قراءة الغيب والمجهول، وهذه ذروة الدجل لأن لا العلوم الدينية ولا الدينية منذ وجود الخليقة وصلت الى كشف الغيب والمجهول، أما الطبيب الدجال فقد وصل الى كل هذا بسهولة ويسر من خلال هيمنته التامة على عقول البسطاء، علماً بأن التعاليم الدينية أوضحت ذلك، والغريب في الأمر أن طبيب المعتقدات الدجال هذا ينطلق في استطبائاته من مبدأ ديني.

ز- أطلق هذا الطبيب على نفسه لقب «الساحر» كي يختص بالمجهول والروح وأمراض العصب وأمراض النفس «الفسانية».

٢- علاجاته الطبية:

تعتمد علاجات الطبيب الدجال والذي يسمونه أهل الرقة والفرات بـ«السحار» الذي يدعي انه يسخر الجان لمصلحته في الاستطبائات وتقريب الناس لبعضهم

البعض من خلال امتلاكه للجن والعفاريت وتكون وصفة السحار هذا واحدة تسمى «السحر» وربما كان السحر في نشأته الأولى احد العلوم الدينية المسخرة لخدمة الإنسان في إدراك المعاني السامية في السلوك الاجتماعي فقط ، أو دفع الظلم عن البشر .

لقد اختص به الأنبياء ، أو بعضهم . وكحالات طارئة اقتضتها ظروف المضطهدين في الاسراع بتخليصهم من الضلال والجهل ، وتخضع لتعاليم عليا محددة ودقيقة جداً ، نوهت عنها سورة سبأ في القرآن الكريم : «ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ، واسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات» وقصة عفاريت الجن بين سليمان وبلقيس ودورهم في ذلك الشأن وفي سورة الأنبياء «ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره . . ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين» .

إذاً سخر الله سبحانه وتعالى الجن للنبي سليمان فقط ، وبأمره وبدون أن يعلموا شيئاً عن عمله وخاصة علم الغيب فكيف تسخر لهؤلاء المشعوذين الذين جعلوا انفسهم بمصاف النبي سليمان ؟ .

فهؤلاء السحرة يقولون : ان الجن يعلم الغيب ومن خلاله هم يعرفونه ايضاً ، فالجان يعلمهم على اسم المرض والمريض وشكله ومسببه وعلاجه ، ومضاعفاته المستقبلية ، متخذين من قصة النبي سليمان وبلقيس وطائر الهدهد ذريعة لبث شعوذتهم ودجلهم بين الناس ، فقد قضا على هذا الطائر الجميل في منطقة الفرات ، لكثرة استهلاك دمه كمداً لا قلامهم ودق لحمه وريشه وعظمه ومنقاره للاستطباب ، فهلك منه الكثير وما تبقى منه هاجر الى بلاد لا يؤمن اهلها بالسحر والشعوذة وحرمونا متعة النظر لهذا الطائر المتوج الجميل .

وعلاجات هؤلاء السحرة اغلبها تختص بالامراض العصبية والنفسية لانها تكون دائماً مبهمه ومتقلبة الامراض اي نكرة على الناس وهذا دليل آخر على أن هؤلاء المشعوذين هم أيضاً نكرة .

ومعروف عنهم انهم دائماً يغوصون بالمجهول التقليدي بما يتفق ومعتقدات ترسبت في أذهان العامة ، ليوازنوا في التطابق بين المنهج والتطبيق فالحجاب سيد

العقاقير وشعر الرأس وعظم الكلب، والابرة وريش الهمدود ودمه وعرف الديك ولحد القتيل ودم الافعى وشيبة العجوز وعود العوسج والرمان وسن الذئب وثدي الضبعة وصوف الكباش وقرن الثور وتراب القبر، وأثر القدم، ولباس الجسد ولبان البطم، وحب الشعير، ورماد الموقد، وحافر الحمار، وكعب الغزال، وأنواع الخرز، وخيط الوبر، وعين التيس، ورأس السمكة وغيرها.

هذه الأشياء التي يضعها الطبيب الساحر مع الحجاب، يستعملها لمداواة ومعالجة مرضاه، نلاحظ ان هذه الاشياء غير متجانسة، وعندما يقرأ أحدنا هذه الوصفات يتشتت تفكيره، ويتساءل عن علاقتها بالمرض سواء كان روحياً أم عضوياً أم نفسياً. والساحر هذا لا يطلع أحد على أسرار مهنته الكاذبة، وأردت عرض بعض الوصفات التي تكون ١٠٪ من الوصفات الكثيرة، لكن لي عليها تعليق يتفق ومصلحة هذا المشعوذ الدجال، فهو أولاً يضع المريض في رعب مائل، يتكلم له عن الارواح الشريرة والموت والمجهول والظلام والقبور والنفاريت والافاعي والرياح والخرائب وهنا يقع المسكين فريسة لطمع هذا المشعوذ، فيقيد تفكيره في دوامة من الرعب، ويتنعه أن علاجه على يده بوصفة سيوصفها له، ويشترط عليه ان يتأكد هو من الوصفة، فيصف له مثلاً لبان البطم وسبعة حبات من الشعير الأسود، وعين التيس، وعلى أن يقدم المريض هذه الوصفات من ماله الخاص بدون ان يستعيرها من غيره، وان استعارها من أحد يبطل علاجه في هذه الحالة يريد المريض النجاة من المرض الخطير الذي شخصه له الساحر الدجال، فلا يغلو عليه شيء، فيأتي له بلبان البطم وتنكة شعير، لكن بيت القصيد، التيس يأتي له المريض بتيس كي يقلع عينه، وبالطبع يتنازل المريض عن ماجاء به، بما فيه التيس الذي يكون مكسباً للساحر، الذي بدوره يبيعه تماماً بدون ان يقلع عينه فيكذب على المريض، ويعطيه بعد بضعة ايام الحجاب ومحتوياته الأخرى، فإن خاف من أحد أن يطلع على الحجاب أفهم المريض أن هذا الحجاب، لا يتم العلاج به إلا بوضعه في مكان بعيد، لا يطلع عليه أحد كي لا يفسد فعله، يعلق في غصن شجرة مثلاً، أو يوضع في ماء ساخن في الظلام كي لا تقع عليه عين المريض، ويدعك في الماء، ثم يحرق في النار بعد تجفيفه، أما الماء فيغتسل المريض به بعد الغروب، أما اللبان وعين التيس المزعومة والذي يضع بدلاً منها ثمرة صغيرة ويلفها بقماشة ويخيطها بالابرة باحكام ويوعز للمريض بأن

يدفنها في التراب بمكان قصي وبعمق ويستحسن أن يكون هذا المكان في الخرائب ، لأن الخرائب غير مأهولة ليطمئن على اخفاء جريمته. القذرة ، وهكذا يصنف شيئين أو ثلاثة مع قرن ثور كي يحصل على الثور ، وكعب غزال كي يحصل على غزال ، وحافر حمار كي يحصل على حمار ، وتصل به الدناءة الى اقتناء الابرة عندما يحتاجها ، هذا هو اللغز الذي نجده في وصفات العلاج التي يصفها المشعوذ . ولردود الأفعال النفسية عند المشعوذ يحيط نفسه دائماً بهالة من التقى والوقار والورع ويتدجل على بعض الفقراء المعوزين ، ليجعلهم أبواقا تبث له الدعاية الكاذبة .

تطور مهنة الطبيب المشعوذ :

في بادئ الأمر كانت مهنة المشعوذين ، مقتصرة على الطب ، واعطاء المرضى علاجاتهم الوهمية ، ومع ازدياد الوعي لدى أهل المنطقة ، ونتيجة التجارب الفاشلة التي لاتعطي أي مردود طبي ، تجرباً بعضهم واسمع هؤلاء الدجالون رأيه فيهم ، وزالت نتيجة ذلك الهيبة والعظمة ، عن شخصياتهم المزيفة ، فأقلعوا عن مهنتهم الطبية ، وأخذوا يمارسونها في الخفاء ، بعيداً عن أعين الساخرين منهم ، لكن بطريقة جديدة ابتدعوها خاصة بين جمهور النساء ، وأخذو مهنة «السحر» الذي نعرفها اليوم ، وهو البحث في شؤون الأسر وتسوية خلافاتهم العائلية ، وتقريب المحبة بين العاشقين ، وأصبح الساحر في هذه المرحلة «علام الغيوب» وصانع الحظوظ ، وابتعد عن مهنة الطب التي فشل بها .

وقد أصبح لهؤلاء شأن كبير عند النساء في منطقة الفرات وخاصة في القرن العشرين ، حيث تشابكت الأمور الاجتماعية خاصة في منطقة الرقة ، وتعددت الزوجات وكثرت الخلافات العائلية وتعددت الأهواء وخرج هؤلاء المشعوذون السحرة من أوكارهم وأخذوا يقومون بأعمالهم هذه بشكل علني ، بدون احتراس أو خوف ، وأصبحت لهم القاب ، اشتهروا بها مثل : ابو جدايل ، وابو مندل ، وابو صحن ، والاشقر ، وأبو التابعات وغيرهم ، ونلاحظ أن هؤلاء لا يعلنون عن اسمائهم الحقيقية بل ألقاب يطلقها عليهم الناس في المنطقة ، وهذا الأمر له دلالات اجتماعية تخص هؤلاء الدجالين يجب بحثها .

واللافت للنظر أن هؤلاء السحرة لا يخالطون الناس مطلقاً ، ونراهم بانزواء تام

دائماً يحبسون أنفسهم في بيوتهم والبيت الذي يسكنونه يكون في ركن شبه مهجور بعيداً عن الضوضاء وعندما يسألون عن هذا التصرف يجيبون بأنهم والجان اعداء، فلا يستطيعون الخروج خوفاً منهم لأنهم يأسرون عندهم عناصر من الجان لخدمتهم، وهذه إحدى أكاذيبهم الكبيرة، وثمة أمر آخر يتعلق بتصرفهم فهم لا يستقرون بمكان معين مدة طويلة، بل ينزحون الى مكان بعيد بدون علم أحد، وذلك خوفاً من كشفهم وتعريتهم على حقيقتهم من قبل بعض الناس الذين خدعوهم وابتزوا اموالهم.

هذا وقد استفاد جمهور المشعوذين مما يصيبهم من القضاء والقدر، فعندما مات أحدهم بسكتة قلبية وهو «الاشقر» بثوا جماعته دعاية، روجوا لها ومفادها بأن الاشقر قتلته «الجان» إذ وقع بينه وبينهم خلاف شديد، أدى الى هجومهم عليه وقتله على حد زعمهم وطبعاً جمهور البسطاء اول من صدق هذه الاكذوبة الطريفة، وعللوا ذلك بأن الاشقر اشتكى لرفاقه السحرة قبل أيام من الخلاف الذي وقع بينه وبين ملك الجان المسمى «الازرق» والذي يسكن في جزيرة نائية في عرض البحار وسيرسل له من يقتله إن لم يطلق الأسرى الذين هم من رعايا مملكته، هذه الحكاية الخيالية، استفادوا منها وبرمجوها لترسيخ ودعم صحة عملهم المنكر هذا.

لقد كان هؤلاء السحرة وباءاً على المنطقة، عاثوا فيها الفساد، وزرعوا بها بذور الجهل والتخلف، والمؤسف انهم يدعون الورع والتقوى والصلاح.

الأدوية الطبية الشعبية عند أهل الرقة:

وتقسم الى ثلاثة أقسام: الأدوية المركبة - الأدوية العشبية - الأدوية المتنوعة . .

أ - الأدوية المركبة: استعمل أهل الرقة الأدوية الشعبية المركبة، من الاعشاب وبعض المواد الأخرى وأول دواء عندهم هو البخور أو البخورات وهي كثيرة واهمها نبات الحرمل المعروف، حيث يخلط مع بعض المواد ويعجن ويتبخر به المريض، والبخورات لها أنواع عديدة، مركبة وغير مركبة، ومن هذه الادوية ايضاً:

١- الكحل: وهو الأثمد المعروف يخلط مع السمن ويغلى بالنار وهو دواء للعيون.

٢- الصبر: وهو مادة عشبية مركبة مع بعض المواد الأخرى، ويستعمل كدواء للطعم.

- ٣- الجنزار : وهو صدى بعض المعادن ، وخاصة معدن النحاس ، يستعمل كدواء للمعدة والأمعاء في حالة الامساك .
- ٤- الجايقة : وهي دواء مركب من عدة مواد تستعمل بالشرب أو التبخير .
- ٥- مرمكة : وهي مادة مركبة من الأعشاب وبعض المواد وتستعمل ضد مرض النزيف .
- ٦- لبان : وهو مادة البطم يضاف اليه حبة البركة وبعض المواد الأخرى للاستطباب .
- ٧- الشب : وهو مادة كيميائية «أملاح الكالسيوم» وتستعمل لكثير من الأمراض .
- ٨- الشناظر : وهو مادة كيميائية «النشادر» تستعمل لمعالجة لسعة العقرب وغيرها .
- ٩- الكريكشة : وهي مادة فطرية تطفو على أرض بادية «الشامية» قوامها كالنظر ، حباتها صغيرة بحجم حبات الذرة البيضاء ، تجفف وتخلط مع دمن الغزال ، وتطحن وتنخل حتى تصبح ناعمة كالحناء وتستعملها النساء «كالبودرة الطبية» للاطفال ضد التسميط وتشقق واحمرار جلد الطفل .
- ١٠- الصفاج : وهي مادة مركبة من قشور الجلد «نطاق السبته» بعد تجفيفها وسحقها مع ملح الطرفاء وقليل من رماد الموقد والذي يسميه أهل الرقة «سر الموكد» وتستعمل لوقف نزيف الجرح .
- ١١- الورقة : وهي مادة مركبة من الودع ، وهو محار بحري ، يدق ويخلط مع البيض والليمون ويداوى به الربو .
- ١٢- السكو : وهو مادة مركبة من عشبة الدفلة ، والخرنث والحناء تخلط بعد طحنها ، يتداوى بها مريض البطن .
- ١٣- القطرانية : وهي مادة مركبة من القطران والشب وزهور نبات الحمحم ، تخلط ويتداوى بها الجرب والامراض الجلدية .
- ١٤- المغز : وهو مادة مركبة من زهور شقائق النعمان مع البيلون الأحمر وقليل من الشب ويتداوى بها مريض التحسس الجلدي الذي يسمونه «الشوى» وهي من أهم الأدوية المركبة التي كان يستعملها أهل الرقة ، وهي نواة لكافة الادوية الشعبية المركبة ، التي جاءت فيما بعد واقدّمها على الإطلاق حسب ما روى عنها أطباؤهم الشعبيون .

ب- الأدوية الشعبية النباتية :

وهي خليط من نباتات طبيعية، منها الزهرية ومنها العشبية ومنها الشجيرات البرية ومنها الحشائش النهرية، وتستعمل في الطب الشعبي مباشرة بدون تركيب، تقطف من الأرض مباشرة، وتستعمل في الاستطباب، او تغلى على النار، او تجفف لوقت الحاجة او تجفف وتسحق اوراقها او ازهارها او جذورها او سوقها او بذورها او تخلط الاوراق مع الزهور للنبتة الواحدة، او الجذور لوحدها، حسب حاجتها للعلاج.

وبادية الرقة غنية جداً بالأعشاب والنباتات البرية، فهي كثيرة الاصناف والألوان وأنت عندما تزور بادية الرقة بشطريها «الشامية والجزيرة» في فصل الربيع، خاصة في المواسم الخصبة، ترى مزيجاً من النباتات ومزيجاً من الروائح العطرة تحملها النسائم العليلة، فتحس وكأنك في الجنان، وعندما تستنشق هواءها العليل تشعر وقد خمدت كل آلامك وأوجاعك، هذا قبل ان يقتلها المحراث الآلي اللعين، الذي اقتلع جذورها، واستبدلها بجذور نبات الشعير الأسود القاتم الحزين.

لقد استعمل أهل الرقة باديتهم المعطاء كصيدلية ضخمة تحتوي على كافة اصناف الادوية الطبيعية المفيدة وعالجوا امراضهم بالاعشاب البرية والنهرية، واجروا عليها تجارب عديدة، وذلك بسبب حاجتهم الماسة للدواء، وحفظ اطباؤهم الشعبيون اسماء الأعشاب وسموها بأسماء تميزها عن غيرها من الأعشاب الأخرى كي يسهل عليهم معرفتها من بين مئات الأصناف النباتية الأخرى، واجروا عليها تعديلات كثيرة قبل تصنيفها واخذوا اهمها، وحذفوا الباقي.

والأعشاب التي سنأتي على ذكرها هي بمثابة الأدوية العلاجية الفعالة آنذاك والتي لاتخطئ الهدف في القضاء على المرض والدواء الواحد منها او العشبة الواحدة تعالج عدة امراض وهذا ما جعلها اقل من عدد الامراض، ولها علاج رئيسي لمرض ما، وعلاجات ثانوية لأمراض أخرى ومن أهم هذه الادوية النباتية العشبية :

١- عود الهوى جوه: وهو شجيرة برية لها اوراق عريضة وطويلة تلامس الارض مباشرة وتنمو بشكل دائم في فصل الربيع، تميل الى اللون الاخضر القاتم، وتعتبر من أهم الشجيرات الطبية ولايستعمل في الاستطباب الا جذورها فقط، وهذه الجذور حمراء اللون، توضع على النار وتغلى بالماء حتى تتخثر وتصبح كالمرهم بلونه

- الأحمر ، يستعمل لكافة الامراض الجلدية والدمامل والجروح .
- ٢- الدوآدي : وهي شجيرة ذات أوراق صغيرة ، لونها اخضر فاتح ، أوراقها شبه عشبية ، تنمو على حافة الوديان البرية ، تستعمل جذورها بالاستطباب بعد تجفيفها وطحنها ، تداوى بها القرحة المعدية وبعض الجروح الملتهبة ، وغيرها .
- ٣- الخمشة : وهي نبات عشبي بري أخضر اللون ، أوراقه تشبه أوراق نبات السوس ، ساقه طرية ملساء يستعمل للاستطباب الفوري ، او يجفف لوقت الحاجة ، طعمه يميل الى الملوحة والمرارة ، يسلق بالماء ويوضع على الأورام ، وخاصة مرض الجعيم «أبو كعب» .
- ٤- العصلك : وهو نبات عشبي ، له جذر يشبه الجزرة ، تفرم جذوره وتغلى على النار حتى تصبح بيضاء اللون ، ويصفى ماؤه ويستعمل هذا الماء في مداواة الالتهابات الجلدية ، وقشرة الرأس .
- ٥- امخزك : وهو نبات عشبي أوراقه خضراء قائمة تشبه أوراق شجرة الفلفل يعيش في السهول البرية وخاصة في التربة التي تحتوي على الكلس يسمونها أهل الرقة «الجبان» . وتستعمل في الاستطباب أوراقه فقط ، تجفف وتطحن وهي علاج ضد التراخوما والتهاب الانف .
- ٦- الجرن : وهو نبات بري بشكل شجيرة عشبية صغيرة ، أوراقها خضراء قائمة ، زهورها صفراء اللون ، تقطف ازهار هذه النبتة ، وتهرس على الفور ، يعالج بها مرض التحسس ، وتنقع زهوره بالماء وتوضع على النار ، يشربها مريض الكبد .
- ٧- الدعجة : هي نبات بري عشبي ، لونها اخضر غامق ، تخزن وتجفف لوقت الحاج ، يتداوى بها اكثر الناس ، وهي من الادوية الشعبية الشهيرة في منطقة الرقة ، ولايزال طعمها مرشدة ، وهي علاج لاحتشاء القلب واضطراب المعدة والامعاء . . وارتفاع مرض السكري ، وتدخل في تركيب عنايا الجروح والدمامل ، وتدخل في تنقية حليب الأم .
- ٨- الشيخ : وهو شجيرة برية لونها أخضر باهت يميل الى البياض ، وريقاتها ناعمة ، ورائحتها زكية ، وهي من النباتات الطبية الشهيرة في منطقة الرقة ، معروفة لدى الجميع ، تستعمل في علاج الجهاز الهضمي والدمامل وآلام الرأس ، وتنقع بالماء ويشرب نقيعها لامراض آلام الكبد والرئتين «النزلة الصدرية» .

٩- الكريص : وهو نبات عشبي يشبه الى حد كبير البقدونس ينبت في البادية والسهول الملاصقة لنهر الفرات والبلخ «بشأن القريص في الطب» المواد الفعالة فيد : مواد سامة ، تلهب الجلد ، وتدر البول وتليف الامعاء وتنقي الدم . استعمالها طبيياً :

أ- من الخارج : لوقف الرعاف (نزيف الانف) كذلك تعالج الحروق الجلدية فقط ، وتفيد في حالات الشلل .

ب- من الداخل يؤكل الجزء الغض من عشبة القراص مع السلطة ، أو يعصر ويشرب عصيره ، لتنقية الدم ، وتجديد شباب الجسم والجذور تعالج فقر الدم والنزيف الداخلي في الرئة والجهاز الهضمي «القرحة المعدية والمعوية» أو البواسير او الجهاز البولي «الحصى» او نزيف الرحم وتصليب الشرايين وزيادة ضغط الدم والمغص الكلوي .

١٠- الوطيفة : وهي نبات عشبي يشبه الخبيزة ، يعيش في البادية يستفاد من جذوره واوراقه واغصانه وتستخرج منه مايسمى بـ«الجايقة» الختحتيت ، يعالج به مرض الجهاز الهضمي .

١١- البابونج : وهو عشبة زهرية معروفة لدى الجميع ، تعالج بها امراض الحمات الراشحة .

١٢- النعناع البري : عشبة لونها أخضر باهت ، لها أزهار صغيرة ، بنفسجية اللون ، رائحتها عطرة تستعمل في علاج النزلات الصدرية ، والتهاب القصبات ، وتذلك به الأكزمة الجلدية ، ايضاً ويفيد في علاج الأمعاء الدقيقة والتهاب المعدة .

١٣- القريرة : وهي نبات عشبي بري اوراقه مستطيلة صغيرة ، يميل بعضها الى اللون السمني سوقها رفيعة ، تميل الى اللون الابيض ، طعمها يميل الى الملوحة يغلى بالماء حتى تنحل المادة الخضراء التي في ساقه وأوراقه ويشرب نقيعها ، ويفيد في علاج مرض التشنج المعوي والمعدي .

١٤- عود الكبر : وهو شجيرة خضراء لها أوراق متوسطة الحجم له زهر جميل بلون برتقالي أو زهري ، ينبت في فصل الخريف ، تقطف زهوره وأوراقه وتغلى بالماء ويشرب المريض ماءه ويفيد في علاج الأمراض العصبية ، ومخلفاته تذلك بها مواضع الآلام العصبية ويفيد ايضاً في حالات الاسهال .

١٥- الوحواح : وهو ورد ينبت في فصل الخريف وفي أماكن محددة في بادية الرقة، لونه زهري ويطلقون عليه اسم آخر «ورد الخشوف» والخشف صغير الغزال، وسبب هذه التسمية ان الأطباء تفتطم صغارها في فصل الخريف، حيث ينمو ورد الوحواح فتأكل الأطباء الصغيرة من هذا الورد، ويسبب لها التهابا حادا في السنتها، فتمتنع الصغار عن الرضاعة لعدة أيام، وفي هذه الفترة يجف ضرع الأم، ويفطم صغيرها تلقائياً «ولله في خلقه شؤون».

ورد الوحواح يفيد في علاج تشقق الشفتين واللثة والأمراض الجلدية، بعد تجفيفه.

١٦- ورد الحوذان : وهو ورد عشبي، أصفر اللون «برتقالي» رائحته زكية ولونه زاه يفيد في علاج امراض ضغط الدم، وبعضهم يخلط فتات الورد بعد تجفيفه بالدخان العربي ويدخنه بالسيجارة ويزعمون انه يخفف من وطأة النيكوتين.

١٧- الحنظل : عبارة عن نبات عشبي، سوقه متسلقة، يشبه البطيخ الاحمر، وله ثمرة كثمرة البطيخ، ينبت في فصل الصيف في الوديان، يستفاد من ثمرته المرة الطعم في معالجة اوجاع البطن بشكل عام، ومرض ارتفاع السكر في الدم.

١٨- الكندس : ونسميه شجرة الدفلة التي تزرع للزينة، طعمها مر، تعيش ايضاً في البادية بحجم أصغر لحاجتها للماء الدائم، وتفيد في امراض التسمم، وغسل المعدة مع الحليب.

١٩- العصما : وهي نبات نهري متسلق، تؤكل أوراقه وأغصانه، طعمه يميل الى الملوحة يفيد في معالجة امراض عسر الهضم، ويرطب الأمعاء، ويفيد في حالات الإمساك وهو من الأدوية الشعبية المجربة.

٢٠- ملح الطرفة : والطرفاء شجرة الفرات المعروفة، تعيش بكثرة في «الحوائج» على نهر الفرات، أما في البادية فتكون نادرة الوجود، إلا من بعض الشجيرات التي تعيش في الوديان الرطبة ذات التربة المالحة، ولهذه الشجرة ملح يسمى «ملح الطرفة» ويفيد في استطباب الجروح، وتشقق الجلد، وآلام الأسنان وتدخل في تركيب «العنايا الطبية».

٢١- الحرمل : وهو نبات بري على شكل شجيرة خضراء قائمة لها ورد أبيض يشبه ورد البرتقال، ويستفاد من ثمره الذي يشبه الحمص، في امراض ضغط الدم

والاسهالات ويكون احياناً على شكل بخور ويعيش في أماكن تجمع المياه في السهول البرية .

٢٢- الزفرة: وهي نبات عشبي بري لونه اخضر فاتح، سوقه طرية ورخوة، أوراقه مستطيلة الشكل، ينبت في السهول البرية، ولا تأكله الحيوانات، يفيد في علاج الروماتيزم .

٢٣- الزريجة: وهي عشبة برية، لونها أخضر غامق، في نهاية دورة حياتها، في أواخر شهر أيار تحمل أجراساً صغيرة، خضراء اللون، تجفف وتدق وتطحن أجراسها وتعالج بها امراض الجهاز التناسلي والعقم وتنبت في التلال والسهول معاً .

٢٤- الكفشة: وهي نبتة عشبية برية كثيفة الأوراق، وسوقها رفيعة، تنبت في السهول لونها أخضر فاتح، لها ورد أزرق غامق، لونه زاه ورائحته زكية عطرة وجذابة هي اشهر النباتات في مفعولها الطبي عند أهل الرقة فيما مضى، يخلط ورقها وزهرها معاً ويسحق بعد أن يجفف، تعالج به القرحة المعدية وامراض جهاز الهضم .

٢٥- البكلة: وهي نبتة عشبية برية لونها اخضر غامق لها ورد أصفر زاه، يجفف هذا الورد ويسحق ويشرب ضد مرض البلهارسيا كما يقولون «بول الدم» ويخلط بالعسل وتعالج به امراض نسائية .

٢٦- الودينة: وهي نبات عشبي، له أوراق صغيرة على شكل الأذن، لونها اخضر غامق، تنبت في التلال والسهول، تدخل في تركيب «العنايا الطبية» تدق وهي خضراء وتوضع على آلام المفاصل والظهر وتقلص العضلات .

٢٧- الرمث: وهو شجيرة برية معروفة لونها أخضر باهت، تعيش في السهول في بادية الشامية لها رائحة غير زكية، مميزة، يعالج بها الجرب والأمراض الجلدية، وينقضي على القمل والصئبان بعد ان يغلى بالماء جيداً، وتضع منه مادة «الجلو» المعروفة للتنظيف .

٢٨- الخرنت: وهو نبات يشبه البصل الأخضر، يعيش في السهول، رائحته كريهة فيه مادة لزجة على أوراقه، علاجه فوري بالذلك للأمراض الجلدية .

٢٩- كريض عنه: وهو نبات عشبي بري، يشبه النعناع لكن رائحته ليست كرائحة النعناع ينبت في السهول البرية، يفيد بعد غليه بالماء لامراض المجاري البولية

والتقلص الكلوي .

٣٠- الفجيلة : وهي نبات بري ، يشبه الفجل ، جذوره كجذور الفجلة الصغيرة لكن لونها أبيض مشوب بحمرة بسيطة ، عصيرة ينيد في علاج التهاب الاذن وتنظيفها .

٣١- السمرة : وهي نبات من فصيلة الحشائش الطويلة التي تعيش على ضفاف الانهار في منطقة الرقة ، وخاصة نهر البليخ ، تقطف اجراس هذا النبات وتغلى بالماء جيداً حتى يصبح لون الماء اسود ، طعمه مر جداً لا يطاق ، يعالج به امراض المجاري كالرمل والحصى والالتهابات التي تصيبها ومازال بعضهم يتداوى به حتى الآن .

٣٢- الجدحة : وهي عشبة صغيرة بساق واحدة ، وورقة واحدة ، طول العشبة ٧سم تقريباً ، وهي من الاعشاب النادرة وتنبت في السهول مع مزيج كثيف من الأعشاب الأخرى ويتعذر العثور عليها ، لأنها تشبه الاعشاب الأخرى التي تختلط معها تقريباً ، ولا تكتشف الا في الليل ، إذ تحمل شحنة كهربائية فهي عشبة نادرة لذا سميت بالجدحة لأن الجدحة في لهجة اهل الرقة «وميض النار» وتكشف هذه العشبة الطيبة في الليل بواسطة حديد الفرس ، الذي إذا احتك أو لمس العشبة ، صدر منها وميض ناري .

تفيد في علاج الديدان والطفيليات وبعض السرطانات كما يقولون .

٣٣- اخمحم : وهو شجيرة برية ، يكتمل ثمرها في شهر أيار ، لها ازهار ذات لون بنفسجي تفيد ازهاره في معالجة امراض الدورة الدموية «الدوخة» ومعالجة فقدان الشهية للطعام .

٣٤- الديباجة : وهي عشب بري ، لونه أخضر فاتح طري ناعم الملمس تجفف اوراقه وسوقه يفيد في الاسهالات ووجع البطن عموماً .

٣٥- عالج الغزال : وهو عشب بري أخضر اللون فاتح ، أوراقه صغيرة ، وسوقه دقيقة له رائحة يجفف ويطحن وينخل ويوضع على الجروح الملتهبة .

٣٦- القليس : وهو نبات عشبي أخضر اللون يميل للحمرة ، طعمه كالسبانخ ، يفيد في تقوية الدم «فقر الدم» ، يؤخذ طازجاً ، ولا يفرط الإنسان في تناوله .

٣٧- الخبيزة : نبات معروف يؤكل من قبل أهل الرقة والفرات بعد طبخه بالماء ، يعالجون به الجروح والدمامل وحالات الإمساك لكن وهو طازج قبل الطبخ .

ج- الأدوية المتنوعة :

هذه الأدوية قليلة وجاهزة للاستطباب وهي :

الجايقة - كبدة الذئب - الجلو - العصفور - البيضة - لبان البطم - الصابو - السيلون - زيت الزيتون - العسل - الهبرة - حليب الماعز - حليب الإبل - الكحل - الودع - السلا - حليب الاتن - حليب المرأة - الزبدة - الدباغ - دبس الحنطة - الدبس الأسود - دودة الندى - العلك .

- البول : واهل الرقة استعملوا «البول» وخاصة بول الأطفال منذ القدم لوقف نزف الجروح ، ونستغرب من هذا المظهر الذي يحتوي على الكثير من السموم والحموض والاملاح المضرة ، لكن كان لهم كالكحول .

وتحت عنوان : وصفة خبير هندي لاطالة العمر جاء فيها «ذكر طبيب خبير هندي أنه يمكن علاج بعض الامراض المعدية البسيطة التي تصيب العين ، عن طريق الاستخدام المنتظم للبول الطيب ، شندراسنغ - من الغال بولاية ماينور - يشير الى أن الاختبارات التي اجريت على العديد من المرضى الذين يستخدمون البول الخاص بهم ، قد اثبتت نجاح ذلك العلاج في غضون خمسة أيام ، ومع ذلك فإن هناك شرطاً واحداً هو أن لا يستخدم سوى بول الصباح وخمس مرات في اليوم الواحد . ويعتقد العديد من الهنود من ذوي التفكير التقليدي ان استخدام المرء المنتظم لبوله كوسيلة للنظافة الذاتية ، يعد بمثابة ضمان لاطالة العمر وموراجي دبساي رئيس وزراء الهند الأسبق يشرب بوله بانتظام ، ويتعدى عمره الآن التسعين عاماً ، ويتمتع بصحة جديد» .

الأدوات الطبية عند أهل الرقة :

استعمل أهل الرقة أدوات طبية ، فلكل اختصاص طبي ادواته الخاصة :

آ - ادوات الجراحة وهي : الموس والسكين والابرة والخيط والملقط وسيخ الفضة .
ب - ادوات العظمية «الكسور» وهي : المعاضد - خيط المذيع - الرفي - الزرب - اللبادات - السياخ .

ج - ادوات الامراض الداخلية - لا توجد إلا الزبيب والتمر والتين بداخل كل ثمرة منها توضع بعض المساحيق المرة ليسهل بلعها بمثابة كبسولات طبية .

د - ادوات الكي بالنار وهي : المخاط - المنجل - السكين - عود العوسج - الفخار -

المسمار - قصبة الزل - الحصوة - دمنة البعير - وأهمها العطبة والعطبة : أكثر أدوات الكي استعمالاً ، وهي عبارة عن خرقة صغيرة بطول ستة سنتمترات بعد لفها بقوة ، وتكون من قماش الكتان الأزرق .

ويستعمل طبيب الكي بالنار العطبة في امكنة متعددة من الجسد ، أو وضعها على موضع الألم حتى يصل نسيjs النار الى الجلد ، ثم تكويه وتحرقه ولها مساوئ عديدة ، فهي تتلف خلايا الجلد ، وتفتح به ثغرات تؤدي أحياناً الى الدمايل والخراريج وتؤدي الى امراض أخرى ، وأحياناً تقضي على بعض الانسجة في الجهاز العصبي ، فتشل حركة بعض الاطراف ويعزي اطباء الكي بالنار هذه الحالات الى الاخطاء التي يقعون بها ، وذلك نتيجة عدم الاستدلال على موضع الألم في الجسد .

تطور الطب في منطقة الرقة :

تطور الطب في منطقة الرقة ، في نهاية الربع الأول من القرن العشرين ، بالاطباء الخريجين من ابناء الرقة ، وأول طبيب رقي لم يكمل السنة الأخيرة من دراسته الجامعية بسبب أحداث سياسة ضد الاتراك ، فطرد من جامعة الاستانة التركية ، وفيما بعد عدلت شهادته الطبية في الاستقلال الوطني بـ «وكيل طبيب» هو الطبيب فؤاد أيوب رحمه الله ، ولد بالرقة عام ١٨٧٥ م وتوفي بها عام ١٩٥٧ .

وكان طبيب بالاربعينيّات يعمل في بلدة الرقة ، لكنه من مدينة حلب ، اسمه مصطفى عيسى ، إلا أن أول طبيب خريج من ابناء الرقة هو الدكتور عبد السلام العجيلي ، وهو أول طبيب رقي تخرج من جامعة بلاده «دمشق» وزاول مهنة الطب منذ عام ١٩٤٨ ولا يزال قائماً على رأس عمله الى الآن ، وفي النصف الثاني من القرن العشرين ، تناثر الأطباء في المنطقة ، وباختصاصات متعددة وبحلولهم اندثر الطب الشعبي ، وخاصة طب المعتقدات الخرافية .

الصيدلية :

تكلمنا عن الصيدلية الطبيعية ، وهي الأرض وأدويتها واعشابها ، ولم يكن هناك صيدلي معني بجمع الادوية وبيعها ، إلا أنه كان هناك أحد الارمن من أهالي الرقة ، يمارس مهنة الصيدلة بالتمرّن كان يركب بعض الادوية البسيطة ، وربما كان أمهر الاطباء غير الرسميين على الصعيد الشعبي ، ومتطوراً أكثر من غيره ، فكان ماهراً في زرق الابر ، ويستطيع تشخيص بعض الادوية المضادة لبعض الامراض كان ذلك قبل

تخرج الدكتور عبد السلام العجيلي ، وعندما بدأ الدكتور العجيلي ممارسة مهنته كطبيب ببلدته الرقة ، أخذ هذا الأرمني يعمل عنده كمرض ، وصيدلي بآن واحد واسمه «تيتوز» ويسمونه أهل الرقة «طاطوز» وكانت له شهرة بينهم ، علاوة على مهنته كمرض بارع كان ذا روح مرحه وحاضر النكتة يرسلها بلباقة وذكاء بالرغم من عرييته المكسرة ، ويعتبر أول صيدلي في مدينة الرقة في ماضيها ، صيدلي بالممارسة بدون شهادة صيدلة رسمية .

الأمسيات الشعرية

لقد كان الشعر حاضراً بقوة في فعاليات المهرجان، فقد شهدت صالتا المركز الثقافي بالرقعة ودار الأسد بالثورة أمسيات شعرية حضرها جمهور كثيف أعاد للشعر حيويته ومكانته وجمهوره.

فقد أنشد الشعراء للفرات والأرض وللإنسان، عبرت أمسيات تناوب عليها الشعراء، وهم :

فايز خضّور - وليد مشوح - حسين حموي - فاديا غيبور -
ابتسام الصمادي - مفيد خنسة - عبد اللطيف محرز - مجيب
السوسي - عبد القادر الأسود - رجا القاضي - عبد اللطيف
خطاب - ابراهيم الزيدي - حمود خلوف - سهى الصوفي -
حسام الرفا.

إضافة لشعراء الشعر الشعبي بالرقعة منهم :

محمود الذخيرة - شلاش الحسن - عبد الكريم الجوهر - نجم
الدرويش - خلف الكريدي - عبد الكافي خلف - موسى الحمد -
خليل عباس - أحمد رشاد.

توسلات قطري

بن الفجاءة

شعر: وليد مشوح

٧٤٢

٢٠٢٢

توسلات قطري بن الفجاءة

فاتحة :

نحنُ غادرناكَ يا وطنَ الشعالبِ
خارجينُ

نحنُ في عزِّ الظهيرة
خيّلنا عبرتُ بحارَ الرملِ
في عزِّ الظهيرة، منك هاجرنا
إليكُ

كُنْتَ تغفوا!!

عجباً تغفوا، وكلّ مليحة قد
ناحتُ عليكُ

ما شهدنا بك قبلَ اليوم رجساً
ها . . ما حداً ممّا بدأ؟؟؟
ويُلي عليكُ

لم يبق إلا الطيفُ
والوجه الذي غادرني
والأساطير
وشعر

والذي كان هنا أمس
كذا كنتُ ناء
ومثلي مصادرة ضفتيه
أنا مغرب الحزن . .

يا مَنْ رأى مشرقه؟؟

أجيءُ، أروحُ

أروحُ أجيءُ . .

كمثل الذي ضيّعته الدروب

كذا يَسْتَبِي الحزنُ إشراقتي

وأفنى !

يظلُّ الفراتُ شهيدَ الغيوب

تمرينُ سيدة الحزنِ مثل اليمام
المهاجر

تمرين مسكونة بالجراحُ

تمرين طيف اقتحامي

أقبلُ فيك دلال العذارى

أصلي . .

وبعد التوحد كان انتشار

وفي السوق زاحمني الصحب

زاحمتهم

ولما تذوقتُ طعم المزار

بكيّت

همستُ وداعاً

أنا راحلُ

فلا الماء مائي

ولا البئر بئري
ولا السوق سوقي
ولا منه اشتريت

وأخرج...
أرتد!!!

وجهي لكم، وهوى ناقتي
أحب الفرات، عجاج الفرات
أحب الصبايا ذوات العباءات،
العيون البواكي

الجميلات اللواتي يردن غراماً
خلال سبات الفرات الطويل

فصبر جميل
أمن أجل هذا اغتربت
تُرى لو منحت الصخور عيوني
أبصر غيري بريق النجوم
لذا زاحموني، لذا دافعوني،
لذا قاذفوني

لذا - كنت - عنها جلوت

أمانا...
أمانا، إذا مُت في غربتي يارئام
الفرات

فلا تبتسن
لأنني سأصبح للعاشقين شريعته
وحق اللواتي بكين قراراً
سأحصد ما أثمرته بذور القطيعه

رئام الشام اللواتي عشقتُ

إليكن آتي كليما، غريباً
أعاني جفاف الفرات، موات
الغصون
أعاني اقتحام خفايا الزهور
الصغيرة

وحين يشاقي الفرات ربيع
الجزيرة

الأمس في القاع قلبي
وأجذل تاجاً لرأس الأميره

أجيء مع الصبح إشراقة
ألم ازدهار الحنين لديها
وهذي الجراح بقلبي تغني
فما طائر غلبته الرياح على وكره
بأضيع مني
فياطير... ياطير... يا...
طير

هيا... اعرني جناحيك
أو ريشة منهما
أعود بها فرحاً للمدينة
أصيح بأسواقها: يا صبايا
الفرات تعالين،
عندي لكن تميمه
وللنهر عندي رقيه، تبيع لكن
جنونه

أيا غرب النهر (١)
أسدل غصونك في خاطري

أرحُ في جفوني ركابك . . يانهرُ
وخذ رافديك عيوني
فبالله من هجروك على عجلٍ
لقد هجروني

سأنشرُ ناري على لجتيكُ
وأغسلها فيك سبعاً كما علموني
وأحفر سري على ساق
صفصافة

وأبقي وحيداً على ضفتيكُ
تنوح علي . . . أنوحُ عليكُ
وها مقلتي ظلامٌ كثيفُ
أعرني ، أعرني سنا مقلتيكُ
عجيبُ أراك غنياً بخيلاً
أعرني رذاذاً أبوسُ يديكُ
أعرني سلاماً وبعض أمان
فقلبي هباءً على ضفتيكُ

سألتك يا نهرُ لو طيفُ وكرٍ
ألوذ به
لألبس ثوب السماء حنينا
وأركبَ ظهرَ الشموسِ هوادج
فإن هدني الحزن يوماً
سأتيك شوقاً ووجداً
أعقرُ وجهي على راحتكُ
سأتيك حتماً وذا موعد
لتبكي علي ، وأبكي عليك

ألا يا أبعد الأجلين . .
علي غفلة أنت / والطرقات
تُفتحُ أبوابها
وتعبر خيل الغزاة

ووجهك يبقى على السور
يفحص كل وجوه السبايا
ويبحث عن وجهه نورا ،
ويشحب مثل وجوه السبايا
على موعد أنتما

وللأرض بوابة أغلقوها
وصاغوا مفاتيحها حلية
لساحرة راودوها
وأنت على السور وجه يعلق في
قبضة الريح

نادت عليه الصحارى : ترجلُ
فوجه الحبيبة يهفو إليكُ
تعذبه اللمسات الغريبة
وأنت شرودُ
وأنت جليدُ
وأنت مليكُ
فيانهرُ مرنا
أشر بيديكُ

ترأنا سراعاً نخفُ إليكُ
صوارمنا كلها منجل
وكل القلوب على ضفتيكُ

تَرَجَلْتُ !!
ويحي . . فخل اللجام

فما عادَ للسباحات مجالُ
ترجلت
وا... ه فإن الطريق إليك محالُ
وهذي دمّشق أعانقها في
الصباح

وفي الليل أهجرها
وأركبُ متنَ الرياح
وأُنزل فوق شواطئ الفرات
لأقطف من مائه زنبقه
أزواجه بدمائي
وأرحلُ
زوادتي الشوق في الهدب
والحزن في القلب
والبشر في الوجه
والدمع في العين
فيا نهر كنّا شتاتاً
وعدنا . .
فقبلُ بنا جذوة العائدين
أترضى؟؟
ونحن الذين فقدت قديماً

أتبكي؟؟
ونحن الياس الذي كُتتهُ
وتزعم أنا حصدنا المشيب؟؟
إذن نحنُ عدنا
فقتلُ . . . ياهلا

لرملك يانهرُ قلبي سفينه
فإني تركتُ لهم في الشواطئ
خبزَ الرضا، وبعضَ السكينة
وراءك يانهرُ نارُ
قضيت لها أبعدَ الأجلين
وجئتُ يكابدني طيف نورا
عليها تلوح لي النظرات الحزينة
وقلبي على موعدين
لاسمع في الغيب صوتاً يغني:
«ياعاقد الحاجبين
على الجبين اللجين
إن كنت تقصد قتلي
قتلتني مرتين»

(١) الغَرَبُ: شجيرة تنمو على شواطئ الفرات وهي من الرخويات .

إنهم ينهبون الحياة

شعر: فايز خضّور

إنهم ينهبون الحياة

«إلى فرات الحضارات : فرات الماء والأحياء»

فرات .
أحييك باسم طيور الظمأ .
وأنخو هياج الهدير المصفد، في
عزلة الضفتين .
إلى أين ينأى بك الغمر يا أبتـر
الساعدين :
مصباً ونبعاً .؟! أسائل عنك
سجايك ،
بين اللقي والطواطم .
بين حطام الحضارات
والأبجديات .
بين البلاد العريقة ،
والطارئات من الدسكات التي
طوبوها ،
لهم «وطناً» ،
وهي مستوطنات . . !!
ويعرف لؤم التجاهل ،
آية معمورة في براريك ،
تنداح عبر العصور السوالف :
أفقاً فسيحاً ،
وذاكرة للبرايا ،

فرات
سلام ، من الغسق اليعربي الى
رعشة الفجر ،
طارت به قافلات الحجيج -
التوابيت ،
من طور سيناء حتى حواكير
مكة ،
مسعورة بانفجار «النبأ» :
(سيُبعث من رمّة الرمل وهم
الشتات .
ويجلى عن الحقد والسيف
والصولجان ،
حصارُ الصدا .
وتنهض أسواق «خير» صحابة
البشر .
يزهو صيارفة القتل ،
باللؤلؤ الأعجمي .
وتخضل سود البساتين ،
حول صحارى «سبأ» .
ويجثو على الأمم الباقيات رهانُ
السبات .)

وعدلاً حميمَ الشرائعِ

- عينٌ بعينٍ،

وسنٌ بسنٍّ،

ولا رأفةً بالجناة.

ويعلم حشدُ النبينَ والتابعينَ،

وشتى الغزاة،

بشرحِ الفروقات،

ما بين أرضٍ بشعبٍ،

وما بين لصٍّ بمستعمراتٍ . . !!

فرات .

هل الشرقُ جافاك

أم ظنك التُّركُ إرثٌ بغاء

العقائد،

«دوغماء» هليلة الغرب . ؟!

والظنُّ إثمٌ جمامٌ،

برغم تجهم «تبعيضم»

في مرايا الملاء . . !!

لعل الخلائط فاضت بعقل

الطواويس،

حتى تراءى لها،

أنَّ تشريعها المذهبيَّ قديرٌ،

على فطم نهر جليل،

وتغريبه عن سرير الطبيعة .

أو فصم نشوته - حلمه،

عن ولوج مَصْبَّاته

الدافئات . . !!

فرات

تُراك تخيَّلت - شرواك - نهراً

عظيماً،

من الوجع الآدمي:

نخيلاً وورداً،

ورزقاً حلالاً

يهجرُ طيَّ الأنابيب،

- محمولة -

في سكير الفلاة . ؟!

لمن يا فرات . ؟!

لمن يلعنونك سراً وجهراً

ومن يلعنون أهاليك

صوماً وفطراً،

وحجاً،

- زكاة الى الله -

فجراً وصباحاً وظهراً وعصراً .

مغيباً، عشاءً، مساءً التراويح

قبل وبعد وضوء الصلاة . . !!

سماسرة الزيت ورم أوداجهم

بطر الملك،

فاستعذبوا أن تتم مقايضة القار

بالماء .

ما همهم، جاع من جاع .

أو مات من مات

ما همهم عطشُ الحق والغيم

والكائنات

عقالاتهم والطرابيش . ترفو

عُراها،

أواصر «دين حنيف»

دعا للأخوة بين مريديه :

جنأ وإنساً،
 طُهوراً ورجساً.
 جنوباً، شمالاً،
 وأدنى وأقصى الجهات . . .
 فيا سائق الغيث، كيف تناسلت
 فيهم،
 ونصبت من سفلس الوافدين،
 حُماة الحرامات .
 كي يعبثوا بالودائع والربع
 والمكرّمات . ؟!
 لعل الجناية فيمن تغاضى عن
 الذل،
 أو أسلس الظهر بين المطايا،
 وعلّق بلواه في مشجب الحظ،
 والقدر اللايرد
 وأودع شكواه في قمقم الغيب،
 والفرج المجتبى بالدعاءات،
 فاستضعفته البهائم،
 والوحش والطير
 والزاحفات . . .
 لعلّ النوايا المريضات،
 قد كشفت عورة الراضخين،
 على درب غرغرة الموت .
 وانزاح ستر السماوات،
 عن مقبل ممحل،
 أمرد العشب .
 والشوك قهقهه يختال غنجاً،
 بمضمار سيل الحفاة . . !!

أخصي ويبغي مصاولة الفحل،
 قولاً وفعلًا . ؟!
 ويشحدُ منا «شهادة صدق» ؟!
 أمّا ضاقت النفسُ
 بالمهزلات ؟!
 فرات .
 أسائلُ عنك حنينَ القرايين :
 من نسوة عاقرات .
 ومن نسوة متّمات .
 ومن نسوة عاشقات :
 تمادى بهن التظهرُ من عفة النار،
 فانسبنَ يمرحن في عَسجد
 القاع،
 يغسلن عن روحهن غبارَ
 التقاليد،
 والأولياء الظلومين،
 والقهر، والشائعات . .
 عذارى، ويحتربُ البرقُ
 غيران،
 من جمرهنّ المراريء في واجف
 الموج .
 يشتجرُ النجم والبدرُ من عريهنّ
 المكابر .
 تسهو المجازيفُ عن طلب
 الرزق،
 تُفلتُ منها الأكفُ،
 لكتم الضرّاعات
 يتهجّ النهر،

يمنح أحلى طقوس ضيافته،
 والها،
 لاحتضان عروساته
 الوالهات . .
 يقينا سخي العذوبة،
 أن الخلائق من مضغة الطين،
 دبّت على الأرض .
 إلا صباياك،
 من نطفة الماء والضوء
 مستولدات . . !!
 فرات .
 تنفست في رئة الكون مجدداً،
 يضوي حدائق بابل بالسحر .
 آشور بالفتح .
 سومر بالوعي .
 أغويت عرش أثينا وطرودة
 الحرب،
 بالحب والفكر .
 فتحت أبواب حلم الممالك
 غنيت قبل ابتكار المزامير،
 أنشودة الخلق .
 سارت بصيتك حممة الخيل
 والريح
 والمركبات . . .
 فوافتك من كل مصر وخارطة،
 نخبة تنهل الزاد،
 متخمة بالنوايا النقيضات،
 منهوكة باحتمال الهبات . . !!

هي الأرض تُعلن أسرارها .
 من سحق الدهور،
 إلى الأمس واليوم،
 والمرتجى في ضمير السّعة .
 فرات .
 تناهى الى مسمع الوقت
 - في صاحب الطوف -
 أن امرأة
 تعنت، مخيرة، أن تحيئك:
 رمداء، حتى تخوم العمى
 المدلهم .
 فجاءتك من ها هنالك
 - من أرض أوديب
 جاست بقرطاجة العشق،
 مرت بقبرص،
 مرت ببيروت،
 مرت بعمرية،
 مرت بشمرا .
 ومرت . . ومرت . . وممرها
 اللوب .
 ناءت بمركبها هيبه الموت .
 أوحى لها النوء
 - شط بها -
 لارتشاف شفاء العماية،
 من نبع كيليكيا المستبأة . . !!
 فمن يغسل العتم عن طفلة،
 شردتها السنون العقوقات،
 واليتيم والخوف والهمز والنهي

والشعور ذات
هي الآن في واحة العشق،
ترفض عرافة الغيب،
«والعارفين النصوحين» .
تخرج ظبياً حنون المدامع
تلهو حواليك أمانة الخطو .
فامن عليها بغصن طري
الأصابع
وامسح رماد الكوي المطفأة .
هلاك مريع، تقمص فيها
ربيعاً،
وأسرى بها،
من شطوط التغرب،
حتى خفافيك:
توقاً لهوف الشرايين .
وعياً جسوراً، عصياً على
الهتك .
لاذت بخصبك يسانة الخلق،
إني أعوذ بنسغك من ظبية
ظامئة:
تبارت بترويعها، في فنون
القنيص، كلاب
الطغاة . . .
فرات .
أجرهما من اللعنة اللاحقتها .
وكفكفت عذاب قرون،
تشرش فيها المطامع:
جيلاً يورث جيلاً من الحقد،

والجشع العالمي المموه، باليقظة
النهضوية،
والثورية،
والنور،
والرافة البشرية،
والروح
والشكل،
والتسميات . . .
هي الآن في طلقها الموسمي،
تكابد أفراسها الموجعات،
وتعلن فصيح الكُماة .
تري غاية النهج من خلجة
الحبو .
تكبر . . . تكبر ما بين أحفادك،
- المؤمنين بحتم الحضارة -
أترابها القاحمين قلاع المعادن
والذعر،
في «مقدس الشام»،
والسافحين دماء الوديعة للوطن
الأم،
والمشدين ولادة حب جديد،
أصيل الصفات . . !!
فرات .
سلام البراءة من صبية .
يرفعونك في راية الحق،
وردأ عقيقاً،
من القبو،
والسهل،

وسلامُ الشهادة من فتية،
صدّعوا جرة النوم،
بالزغردات المهيبة،
يستنفرون الكواكب للموسم
الأرجواني .
مستلهمين شموخ الإرادة،
مستبشرين، وهم يلهجون،
بعزة مسراك:
«ويل»، وأكوان ويل،
لمن ينهبون الحياة . . .» .

والسفع،
والجلجلات . . .
سلامُ الشراسة من صبية،
يكتبونك في القلب،
نقشاً بهي التصاوير،
غبّ الذي كابدوه من الغشّ
في دفتر الحاكمين الغشومين،
بعد فساد الصحائف والنطقِ
والمحبرات . . .
فراث

نقطة عند وطن الشوق

الشاعرة ابتسام الصمادي

٢٨٦

نقطة عند وطن الشوق

إلى الوطن الذي أتى رحلت أجده قد سبقني

لا . . ما بُعدنا،

بل تماهينا

وغاب الصمت في لجج العباب

ما كان أخضر كالمنى

بل بكر ألوان

وقاموسي سرّاب .

لم أدر . . كيف تشكّلت

أعلى . .

يдай

من لمسة عرجت بخاطر لهفتي

عبرت مناي الى صداي . .

لم أدر . . كيف بهمسة

اسمي همى

معزوفة أضحي وناي .

هيا تعال . .

فمدائن الأوجاع أسئلة

تفتش عن معالمها

وتحشد في شراييني

ألوفاً من بوارجها

ووحذك أنت مرساتي

وسارية السؤال . .

انظر . .

على مهل

تمر أمام أعينتي . . الطفولة

تمر أمام أحزاني . . الكهولة

تؤرقني وتهجرني

وأنت بصيفك الحالم

تلوح لي . . وعن بعد

تواعد هديبي النائم

سنابل موسم قادم

فلا ليل يغطيني

ولا أصبح أعاتبه

ولا موت يلاقيني

حذار يوم تكتبني

تحاول أن تعريني

فشعري . .

غلة الروح

وشعري . .

بردة البوح

وشعري دون أقنعة
يريدك سيد الكون . .

ألا . .

فلتستمع يا بن الكرام
يا أيها البدوي
يا الوطن المثلث بالحضارة
والشام :

في معانيك صلاة؟

أنت أصدق

في بواديك فرات؟

أنت أعمق

في روايك كروم؟

أنت أعتق

في شواطيك نجوم؟

نورس القلب

لأعشق

كل مايدنو لسحرك

أو يجول بقرب وقتك

أو ينام بصمت كفك

حيث ينتحر الكلام

يا أيها الحضري . . يا النسر

المعطر بالسنابل والشام

إني أخاف عليك من عشقي

إذا التهم السلام

فضاء أجنحة

اليمام

فلن تنام ولن أنام

وتريد أن آتي إليك؟

أتيك أنهاراً وخضره

أسطورة بكر

من كل آداب الشعوب
الغاضبة . .

والمستقرة

لتعيد تهذيبي

وتشديبي

وتقديمي

قراييناً ونذرا

وتحطم الإزميل في لحظ اكتمالي

ثم تصرخ في جنون الفن :

«إني أنطق الحجر»

تدري؟ سأتي :

صفحة بيضاء

مامسني قلم ولا حبر

وجزيرة عذراء

مامسني طير ولا بشر

هل يرتقي هذا المجيء إليك؟!

فأنهض ليل أيامي

وأربط خيل أحلامي

أمام خيام شمسك في رقي

يديك

الملم همسي
ودقة حدسي
أسمسم نومك
أهدهد صحوك
أمد دعائي
أشد غنائي
غطاء - يا صديق - عليك
وأحنو . .

وأحنو ثم أثم وجنتيك . .
أهديك . . ما أهدي؟!!

قارورتي تحوي
مطر الشمال

ولفح أنسام الجنوب
من شرقها أو غربها
صبح البلاد

وليلها أنى يؤوب

إذ ليس يتاع الهدايا والعطور

من نصفه - معك - الشروق

ونصفه الثاني غروب

فلأنت في عمري

حديث الرافدين

القهوة المرة . .

محماستي، هيلي،

مضافة جدي الحرة

ما استشعرت أصداء خيل

القادمين

لم أدر قبل اليوم
أنك واحتى
شجر الجميل
زهو النخيل
كيما أسند في الدجى
رأسي عليك وراحتي

كيف القصائد يمت شطري
يديك؟

والزهر أقفل عائداً

من لوزه يعدو إليك؟

كيف الطيور استبدلت أعشاشها

بالأغنيات

وعششت فوق القلوب؟

صرنا نغني العشق مثل سهولنا

وبلهجة القمر الجنوبي

لم أدر قبل اليوم

أنك وشمي العربي

وعروبة الوشم . .

ماكان صوتك شرقاً

أو كان وجهك شوقاً

أو كان زندك رقا

ماكان قلبك عرساً

أو كان نبضك قدساً

أغلال قيدك عتقا

بل كنت ما لا يخطر

يوماً ببال

ياسيد الألوان
يالون الشفق؟
أفلا تعود بنضرتي
وتدفقي
من ناضب الوجدان
في زمن الغرق؟
إذ كيف يا . . .
ياسيد الأوطان
يا عطر الحبق
أتلوك أنت . . ولا
أعود بصدقك الريفى من
كذب الورق؟؟!

متسامقا تتبخترُ
فوق المحال
* * *
وأنا أتيت
كما تشاء . .
منحوتة في الصخر
كالبتراء
لاحت يصابحنى
أو يعتري وجهى مساء
شامية كالتوت
بدوية كالماء
أفلا تعود بتربتى

جَمَلُ «الواسطي»

شعر: عبد اللطيف خطّاب

٢٨٧

جَمَلُ «الواسطي»

يفجؤني «الواسطي» بالريشة المستريبة،
واللوحة المستراب بها،
وتصويرة الطير على مشكل الله،
أو خلقه الكون،
ويفجؤني «الواسطي» بالجمال الحزينة، على سدو «قاشان»،
سجادة الفرس،
وتعشيقه «الجامع الأموي»
زخرفات العصور الوسيطة،
ويأخذني يديه، يجعلني مقصد الرسم، أو نوبة للفنون الجميلة،
أو مسحة للجمال الشجي،
فأرنو «جنونا» إلى فنه،
وأصغي - شجوان - إلى وقع ترتيله السومري،
وأسمع ترنيمة للصلاة،
جمجمة المؤمنين،
أدعية الثاكلات،
أسمع طرز المحبين،
وأوغل في مهمه البدو،
آه . . . يوم كنا جميلين كالله،
ومتعبن كالرقيم القديم،
يوم نرسم ترنيمة «للبلخ» المجاور،
نرسم مذبحه «الليلة الألف» .
يؤطرها «الواسطي» بدمع الدساكر،
وترسم الخيل،

قاب موتين أو . . .
آه . . . يوم كُنَّا صغاراً يا «الواسطيُّ» ،
نَعْنِي شهوة المسلمين ،
جمالُ الفتوحات ،
يوم كُنَّا نُقدِّمُ أضحيةَ العيد ،
نفدي الرقابَ بكبشٍ عظيمٍ ،
وندعو إلى الله ربي ،
«كن فيكون» ،
نكون مطايا شعوب تفحُّ وراء السراب ،
آه . . . يوم كُنَّا بالريشة المستريية ،
وَاللُّوحَةُ المستراية ،
يرسمنا «الواسطيُّ» الجميل

❖ مقطع من قصيدة طويلة عنوانها «الغرنوق الدنف» وهو اسم الديوان الشعري
الثاني للشاعر

الفرات يقرأ كفي

شعر: مجيب السوسي

٩١

الفرات يقرأ كفي

وأوجاع نبضي القتيلة
 يمضغني الذعر مثل الكوايسِ
 يشبع مني جهارا
 بكتني تلال المشاوير
 بواكير عطر الصباحات
 حطت على غصن حزني مودعة
 وصديقي الفرات ينوح
 مشى نبضه باتجاهي . .
 وعانقني
 كان زاهراً من الذكريات يفوح
 أصيل نهار تخضب دمعاً
 أميراً
 وقد عاد منكسراً
 من حروب العشائر،
 هذ الفرات الرزين أكتئاباً
 يضمّد من موجه جرحه . .
 ويواسي صباي الجريح
 فتى من بلاد (النشامي)
 يشيل الهموم العصية
 يمسك ألا ييوح بأسراره غير
 لي . .
 وكه . .

يهيمُ الفراتُ . .
 وأخذائه تتكي
 عند أضلاعه الراعشات
 وفي حارة البدو نهْدُ يَرْجُ . .
 صدى دبكة
 ويفيق السحابُ
 وتمشي الهوينى الغزالاتُ
 آه . .
 ينوحُ الفراتُ
 فتقفز أشجانُ قلبي إلى شاطئيه
 وطيف الحبيبة عني توارى
 وصار ملاذي
 الشهيقُ
 وقبعةُ الحشرات الأليفة
 يلبسني الدمع من واسط القلب
 إن الشرايين بي كالحيارى . .
 تنزّ حيارى
 وطيف الحبيبة حين توارى
 أغارت عليّ جنود من الحزن
 والغمّ
 صار النهار يسير على جثتي
 والظلام يجوس قفاري

ولبعض الحزاني
صديقي الفرات
وأسندتُ رأسي على كتفيه
ومرّ قطع من الأنجم الزهر
مرت
كثير من العصافير
مرّ بنا القمر المستنير . .
وما قد رأنا
تعال بنا يا صديقي إلى حارة
البدو ننسى قليلاً . .
من الهم
حيث تدور الهموم على دبكة
ويعجّ الغبار . .
فتنسى قليلاً
هو الماء . .
ماؤك ،
عذب ،
دواء

وسحرك عايشته سلسبيل
تقرّيت بي يا صديقي . .
وهادي . .
سفوحى . .
قرأت
خطوط يدي جيداً
ثم نصّبتني عاشق الحزن . .
هل مسك الحزن يوماً؟ . .
بلى . .
إن أضلا عك الراعشات
تُكدس أحزانها وترددُ
صبراً جميلاً
بلى يا صديقي الفرات
بعينيك حزن جميل . .
وصبر جميل
وفي نبضك الآدمي . .
بكاء
أحس البكاء طويلاً

اشتعال الصمت

شعر: ابراهيم الزبيدي

٢٩٥

اشتعال الصمت

للروح نافذة الكلام/
للروح أغنيتي الأخيرة، علّها
تشق من وجع الروي سلافة/
وتفيضُ عشقاً، وانسجام.
للروح ذاكرتي القديمة/
والجديدة..

واشتعال الصمت في لغة
الرخام..
يا أيها الخالون من وجد البلاد:
تعللوا..

فالصحو نهر..
والقصيدة بيدر..
والشمس.. تلك الشمس،
وجه حبيتي/

والنخل قامتها المديدة في
الزحام.
يا أيها الوله المسافر في، قد
أيقظتني!!

والناس.. كل الناس في وطني
نيام!!
يا أيها المنشق عن وجع
القصيدة/ كلّها

سقط السلام من السلام!!
لم تبق أغنية تؤرجح سدره
الموتى..
وتندّر آخر الغاوين ثانية/
وتمنح غانيات الشرق عذراً في
الختام.

لم تبق بينَ البين فاصلة!!
تؤجج طلقة عمياء..
تخرق الظلام.
سقطت جهات الشرق من لغة
العروبة، قبل أن:

ترتاح فوق الضاد نقطتها!!
وعرج بالذي لا بدّ، صمت..
أيقظ الكلمات..
أسرجها..

وعتق بين شذيقها لجام!!
يا أيها اليقظان، حد السيف..
كل سيوفنا: كذبت..

وأرقنا الخصام!!
خمسون عاماً/
والسلام خرافة..
والأرض بين اثنين/

يعبرُ ظلّها رمحٌ . .
يقطرُ من دم الشهداء فاتحة
الغرام .

خمسون عاماً/
والعروبة تنحني . . !!
للشرق أغنية!!
وللغرب احترام!!
خمسون عاماً . .
من بقاينا انتشلنا/
عزة جوفاء . . شعراً بارداً
الكلمات/
وثق نصرنا الهزلي تاريخاً،
ونام!!
يامن يعبرُ النهرَ طعمَ فرائه؟
وصلاته؟
والله أكبرُ فوق مئذنة العروبة
تستوي . .
لحناً/
يهزُ صباة العشاق من وجد
المقام .
تاھت بأغيتي الدروبُ

وشردت صمت الفصول،
فصولها . .
وتوسدت روح الأريج سلافة
صهباً/
سجن رضاها، شفة يعتقها
القطام .
خذني إلى امرأة تدوزنُ
خاطري . .

تمضي على عجل/
وتترك قبلة في الباب
عنواناً ليوم آخر . .
فنجان قهوته . .
ونصف رسالة، عفوية الكلمات
بين دفاتري/
تغتال ظلّ الخوف بين قصائدي
تستنهض الأحلام في عيني
ثانية/
وتمشي . .
أو: تخبُّ غزاةً/
وتطيرُ إن شاءت حمام .

ياشجون الصمت

ودّعت الشباب

الشاعر الشعبي: محمود الذخيرة

ياشجون الصمت ودعت الشباب

ياشجون الصمت شل عني اكتئاب ما بكالي شي من ود الحبيب
داي كلبي ممعن ماله طباب ماينفع استطباب لو مات الطبيب
ياشجون الصمت ودعت الشباب ومن نفاه الشيب يدخله المشيب
ياعزيز النفس لاتظن وتناب الحواري ما بعد شبهك تجيب
إن عدلت الكلب عن حبك يذاب وان عدلت الروح طيفك ما يغيب
جرعتني الآهات مع كثر الأسباب أتريك سكوم في ليل عصيب
ما بكا جفني يطالبني بثواب حنين وجدي لك بالدمع الضبيب
شلون أنام الليل وبكلي اضطراب واتذكر زاهل الجعد الخصيب
ما هكيت إنك بخيل كالسراب يخدع الضميان ويجوفو لهيب
وما هكيت إنك تخاف من الصعاب ولا هكيت إن بقرارك تستريب
مسافر لولاك مايرجي الآياب وما بري من شوك مفتونك صويب
حيرتني وياك حيرة مستهاب حيرة الغصاة بعيون الكظيب
وش جزاة اللي بحبك يستجاب هو جزاة العود للماء العذيب
أنا أحبك حب مابعدده استعاب حب الوطن لي شاح بظنون الغريب
خذ عني اللوم وخلي لي العتاب واعطني مابقي من عمري الشذيب
أنت عندي حساب مافوكه حساب وأنا عنديك ياترى لي نصيب
ما فكرت يوم تهجرني بالعذاب ولا تذكر بيوم كنت إلک حبيب
ياعزيز اللام بعيونك شهاب تحرق الأحلام في كلبي الصبيب
يوم كنا نرتشف حم الرضاب كرتشاف الأفق لي شمس المغيب
ويوم كنا الروح من شوف تهاب تحتسي البسمات مع وشي الحصيب
ويوم فقنا القدر كشر الناب وش رجانا زوع في رمق كطيب
وكذك المياد زوله كالضباب من جني عبقار بالثوب القشيب

أنت كلمة أوف تاهت بالكتساب
الفرق ما بين كففك والخضاب
ماريد منك لاقوا في ولا جواب
أودعت أنا روحي وروحك بالسحاب

عجيب لي صديت بوصالك عجيب
كالبرق ما بين حایل والخصيب
أريد همسة حب من فمك الرطيب
وارجا هتيف الغيث يرحمني بصبيب

«العنودة»

الشاعر الشعبي : عبد الكريم الجواهر

«الحنودة»

ويضيع عكلي وياج . .
عينج تذوب الصخر
ما كدرت اعرف اللون
نظر تج تلهب جمر
سبحان رب الكون
الخالكك غير البشر
مدري سواج شلون
ياربي مالي عذر
استغفرك ماخون
إن حجيننا تختصر
ابتعد ما ينطون
خايف عليك تمرمر
لاجلج عذابي يهون
كرمال عين الكمر
تكرم مروج عيون
تعبت كافي صبر
ماكدر على فركاج
كلما اشوفك اشتعل
ويضيع عكلي وياج . . .
مامرة حظي كعد
عالدوم جان ينام
ولامرة مال السعد

كلما اشوفج اشتعل
ويضيع عكلي وياج
ارجف اكنتم وانفعل
والحك هذوب خطاج
اتحدى كل البشر
وعيون كل الناس
الكال آني الشرر
واللي شديد الباس
اللي ما عندو نظر
والصاح آني الراس
الصاحي واللي سكر
والضرب كاس بكاس
والكال من ضيعتي
وصابو مرض وسواس
والكال من ملتي
وخايفني أهدم الساس
إنت عمري وسلوتي
إنت لحن لغنوتي
إنت سلوى بخلوتي
كانت حياتي حلم
مالو طعم لولاج
كلما اشوفك اشتعل

يبي أنا المنضام
اجباري خنت الوعد
المجبور ماينلام
لا تكولين ابتعد
بكربج يجي الالهام
مويدي لمن ارتعد
وافرح عند ملكاج
كلما اشوفك اشتعل
ويضيع عكلي وياج . . .
خليني امتع ناظري
كبل مايحين الوداع
لحظة تشفي خاطري
ماتنشري وتنباغ
من الصبح أسري سري
هيما أنا وملتاغ
حبي لك عودو طري
يبحر بدون شراع
تأيه ذبحني الهوى
وقلبي تعبى أوجاع
شلون باجر نفترك
أموت وأبد ما أنساج
كلما أشوفج اشتعل
ويضيع عكلي وياج . . .
تمنيج كصيدة شعر
أرتبها بوسط ديوان
أغازلها بكلام الحب
أزفها بأجمل الألحان
أو كفها بنص الدرب

أنا تايه أنا هيما
تمنيت إنني ريشة طير
ترسم أجمل الألوان
ترسم بسمة الشفة
توصف منظر العفة
تجسد مشية الخفة
تمنيت اصطبغ فنان
فنان ارسم عيونج
ساحر يمسخ ظنوج
اكشر بيدي خدودج
مثل تفاحنا الشامي
وأهدد بيدي جفونج
على صدري بعجل نامي
واتحدى موج البحر
واتحدى كل البحر
واكعد عالشط استتاج
كلما أشوفك اشتعل
ويضيع عكلي وياج . . .
تعال لي حاجة كبرى
آني الذبحني الهوى
أخافن جرحي مايري
خاف آني دون المستوى
خلينا للخلك عيرة
نعيش نموت نطل سوى
نفترك روحين بجسد
شوكة بعيون الحسد
ذراعي لج أحلى وسد
أدفيج بلمسة حنان

والأكيج بسمه أمان
وأكولج مرحبا
وياميت هلا
يا أحلى ريم الفلا
بالصبح طلّج حلا
وبالمسا يسعد مساج
كلما أشوفك اشتعل
ويضيع عكلي وياج
إنت أروع ماشافت عيني
وإنت ألطف من كل نسمة
إنت أجمل لحظة بسني
شوفج يضيفي لي البسمه
بوكت الشدة إنت تعينيني
يا أجمل صورة ورسمه
ما أظن بيوم تصدينيني
إنت لي حظ وقسمه
يكفي رعب ويكفي خوف
حاجة نلعب بالعواطف
حاجتنا نسفط بحروف
وآخرنا تجربنا العواصف
إنت لي آخر أمل
بالسما بدر اكتمل
ماظني منج أمل
سبحان الرب السواج
كلما أشوفج اشتعل
ويضيع عكلي وياج . .
كل ما أشوفج أنسى حالي
واختلج وأفرح وأجن

مالي من بعدج غوالي
صدكيني بس لجأ أحن
بسمتج دوم على بالي
همستج بأذني شجن
طيفج يموج بخيالي
إنت لي ملجأ ووطن
شرد أكولج
ها . . يا عمري اللي فقدتو
وأصبح بالسما عالي
ها . . يا نوري اللي زرعتو . .
وضو عتمات الليالي
شرد أكولج
غير أحجج
وانظر طيفج
من الصبح حتى المغيب
واشفي بصوتج عالجيني
صدرني مايشفيه طبيب
تعالى بمشية الهيبة
تعالى يا أروع حبيبة
نبحر لدنيا بعيدة
نحيا حياة رغيدة
واللي يسألني أكولو
ماعشكت إلا العنيدة
وعمري مايسوى بلاج
كلما أشوفج اشتعل
ويضيع عكلي وياج
أرجف أكتم وأنفعل
وألحك هذوب خطاج

ابن الحمولة

الشاعر الشعبي: شلاش الحسن

ابن الحمولة

اش لهّاك ياكلب عن اللي تحبّه
مخولك من عم مصلصل النسبه
أنت جبير الوزلي كاد سربه
غيث ومطر نيسان لكيعان جذبه
لا تصدك الصدك يصير جذبه
لكل أصيل كبوه تجيه حصبه
وحصبك يا حرّ لو حانت بغضبه
ما يعيبك إلا اللي مأكوله كسبه
عند كلمة الحق خلّيك حربه
وخلّيك وكت الضيق مفرج الكربه
سهيل ونجمة الصبح للضاع دربه
وتعال مع البجال اللجرح عطبه
وفجوة التجيب الريح والريح نكبه
ولا تشتري الباعك بفلوس حسبه
ولا تعوف حليب النوك واللّبه
واخذ الأصيله لو حانت الحدبه
هلاية للضيف عا الضيم صلبه
ما همك رسمها والشكل خربه
باجر حلاها يزول وللطبع غلبه
خليك عود النخل بطروف صعبه
وما يصح ألا الصبح لو طال دربه
ومهما عشت رحال مناحر الغربه

وآني اعرفك زين محدّ يلّهيك
طيب الجذرين عارب البانيك
وأنت الجليس الحلوة معانيك
وأنت بس الله يدري مساعيك
ولا تظن العفن يكدر يباريك
مرة بالعممر تمر وتجا فيك
ادفنهّا مع اللي نحريم تواليك
والمينا طك حامض يسميك
إليها رفعه الراس وبيها معاليك
لكل من لفي محتجّ ليه الرجى بيك
لولك عنده ثار بس انتخى ليك
وابعد المضمك الهمة يسليك
سدها وكت المرّ لوها تحليك
وتبيع اللي جان بالروح شاريك
وتلحق حليب مهدرج ينهيك
واترك غزالة ساسها يشنيك
مهرة هذوبة سبق تعلّي مراجيك
ملقى للغربان وبومه حواليك
والمايونّي يغرق نسيت ماتحميك
لاتنحني للريح تغدر وترميك
تلكاه فقع الجما يزهي بمراعيك
ارجع لدار العز المنها غواليك

وادي الفيض

الشاعر الشعبي : أحمد رشاد

وادي الفيض

صباح العيد
مايين ولا نور
شبه مفطوم
بس يشلع
تراني آني
على صدك
طريح فراش
جاتلني
عطش تموز
مايروي
وبرد كانون
بس يكرص
حسافة
غيمنا عاجر
شجرنا مات بالحسرة
ولا حتى الغصن أزهر
يهل عطرك
مثل ريح الهيل
واشهى
مثل وضح الدلال
فاحت
ارتجى الكمكوم عالموكد
بجى المحماس من كتر
علامك شاييل الماشة

نهر حزني
على راس القلم
يكطر
صحارى العمر
لو دفتر
جرى سيل
وكسر سدنا
معد ينفع
يالوعدنا
ترى طير
السعد وكر
من بعدها
ولا فرفر
يهل بعدك
على حلقي
جما الخنجر
طبك سنتين
وآني انظر
عسن بالعيد ونشوفك
ترانا
انصير لك مجند
سلاسل فضة بسيوفك
يهل وجهك
خبز أسمر

اتلكت من جمر قلبي
اشتيت
انذ وكلك شفة
رفعت الجف للدة
ارتقى الفنجان واتكسر
يهل صوتك
رزيز حجول
توالي الليل فزني
اشكر منك
شفت قسوة
ولا ترحم
علي بالحيل يا ظالم
يدوم الدوم
تاذيني ولا ترأف
جما الليمون
من خوفي
انقطع قلبي
وانت سجين
علي الجنين حزني
علي دحك بعينك
طففت ناري
أمانة كوم
بس وزني
يهل حجيك
مثل دفتر شعر عذري
علي حروفي
طغى حسنك
اشكر ماخذ
غوى منك
يا هل جنك

ريم فارع
رحت عني ولا أندك
صرت
ورآد عالشاطي
أصباح
كل شمس تطلع
عسى إني
التي بظلك
يهل أسمك
عذب وأحلى
فرا تي والهوى غربي
النهر والصور والقلعة
تقاسمت نبض قلبي
اشبكال عادي من حالي
توالي عيون
رمدانه
صحيح الغري لينسم
يهيض جروح ملتمة
وصحيح الشمس ليغابت
تساوى العين والظلمة
وصحيح إنك
علي قاسي
طمعتي بيك
بس شوفة
بعدها اشماردت
سوي
تري دنياي ماتسوى
بحسبتي وياك
بس ضمة
أريدك دوم لي جاني

وأشوفك
فوك بالقمة
ياوادي الفيض
ماتدري
على الزينين حسرتنا

ياوادي الفيض
وإن طالت
مدى الأيام غربتنا
تراها تعود هاللمة
وطمعتي بيك بس ضمة

يبقى الفرات ودرته..

في القلب دائماً..

الشاعر الشعبي : عبد الكافي خلف

يبقى الفرات وكرته.. في القلب دائماً..

والركه بيها بدور
كحيلات شبه الكمر
مثل الورد منشور
ماحل عليهن عفن
وهمومي بيهن تنجلي
زغرد يابارود اهلي

وفراتنا ميه صفا
مشروب كل عطشان
سلطان طبعه الوفي
كحل لجفن رمدان
مايوم صد بجفا
مايوم رد انسان
مشروب كاسك هنا
يل جيت منه تمتلي
زغرد يابارود اهلي

الرصافة سولافة دهر
تاريخ لو يمضي
والسور زينه وفخر
سلسال من فضه
وجعبر حد النهر

زغرد يابارود اهلي
خنجرنا مروود للكحل
وسيوفنا ماس وحلي
وعيوننا تلهب شرر
وكلوبنا نار تغلي
ماعرفنا ضيم ولا ظلم
يشهد زمانني الأولي
زهرد يابارود اهلي

الركه نار من الغضب
مرة ضواريها
سم لعداها يهب
عوذه يا عاديها
معدنها صافي ذهب
خصبه كواعيها
الركه فنجان انسكب
بضيوفها تهلي
زغرد يابارود اهلي

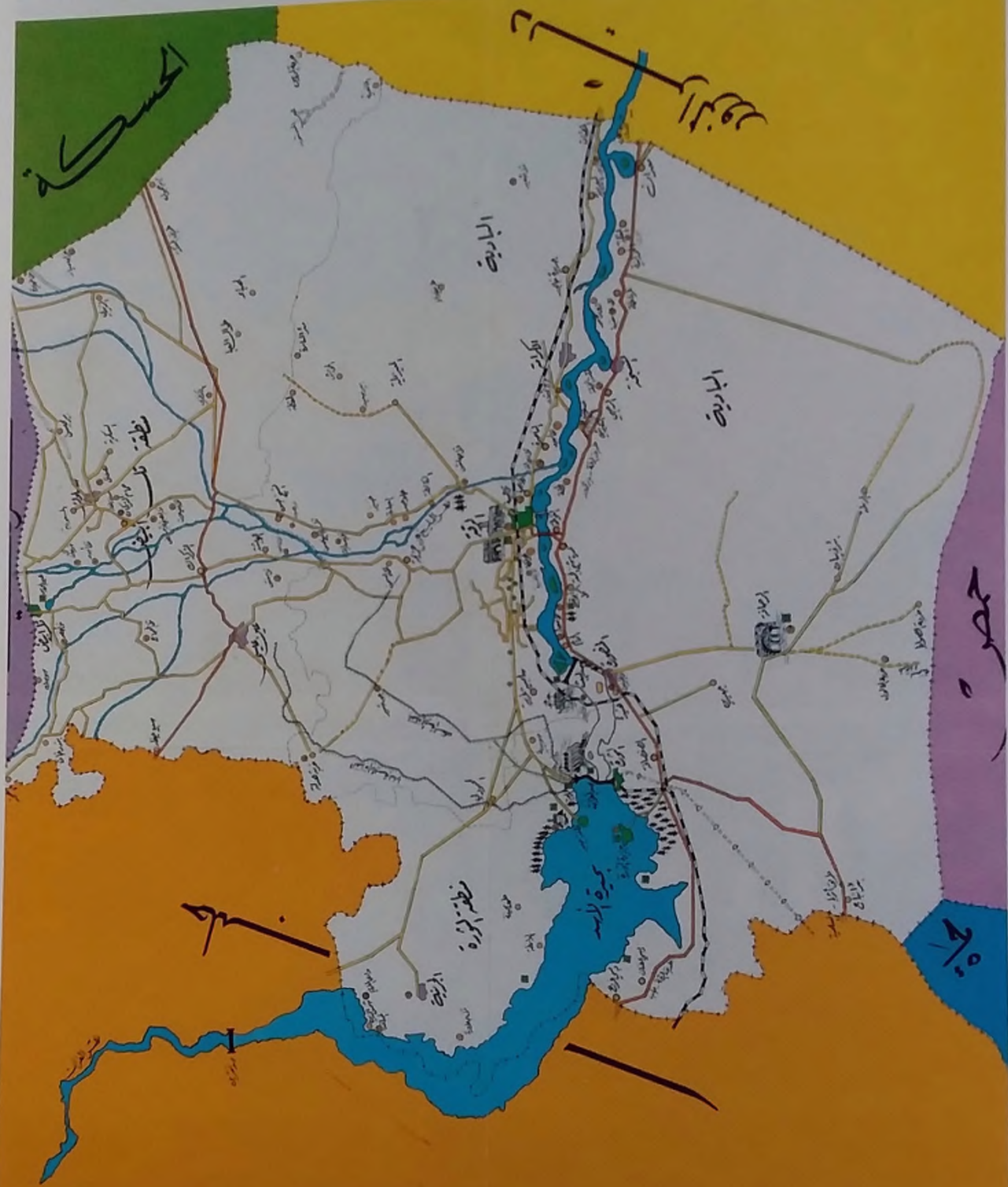
الركه أحلى من السما
بيها البنات الحور
بالسما يطلع بدر

بس المجد ترضى
وكصر البنات بفرح
يغني يادنيا هويلدي
زغرد يابارود اهلي

الركه دار الضيف
تشهد عليها الدلال

ترس وغمد للسيف
عز ومجد ينكال
كمره ليالي صيف
بدر وسما وهلال
لو تتخيها الزلم
ما أحد عليها يعلي
زغرد يابارود اهلي

تنويه : لم نتمكن من نشر كامل القصائد بسبب عدم التزام بعض الشعراء بتزويد
اللجنة بالقصائد التي ألقيت ، ولذا أقتضى التنويه .



محافظة الرقّة

الرموز

حدود دولية	+++++
حدود المحافظة	-----
حدود إدارية	-----
طريق رئيسي	=====
طريق فرعي	=====
طريق ترابي	-----
خط حديدي	-----
نهر	~~~~~
قناة ري	~~~~~
خط نفوس	~~~~~
مسيل مائي	~~~~~
حديقة	~~~~~
بلدية - بلدية	-----
موقع الشري	●
موقع سياسي	■
موقع نفوس	+++
مزرعة	●
مزرعة السالك	●
جسر	-----

المسافات من الرقة

حلب	١١٥ كم
إدلب	٢٤٥ كم
حماة	٢٤٥ كم
دمشق	٢٩٠ كم
القنيطرة	٦٠ كم
درعا	٦٥٥ كم
اللاذقية	٤٠٠ كم
طرطوس	٤١٠ كم
المسكنة	٢٥٠ كم
دمشق الزور	١٤٥ كم
السويداء	٦٧٥ كم
الوكال	٢٢٠ كم



المعارض التاريخية والأثرية

بآخر اكتشاف أثري تم العثور عليه في موقع تل الصبي الأبيض .
وعرضت لوحات للرقم الطينية التي تحكي قصة الكتابة عبر مراحل التاريخ بدءاً من استخدام الرموز والأشكال للتعبير مروراً بالكتابة المسمارية والكتابات التي تلتها من خلال الرقم والمكتشفات التي اكتشفتها البعثات الأثرية التي تنقب في منطقة وادي الفرات .

شاركت وزارة الثقافة ممثلة بالمديرية العامة للآثار والمتاحف بمعرض اللقى الأثرية حيث عرضت لوحات تصوير ضوئي للمكتشفات الأثرية والمواقع الأثرية في محافظة الرقة، وقد عبّرت اللوحات المعروضة عن المكانة التاريخية والتميزة لمنطقة الفرات واسهامها في ركب الحضارة العالمية، من خلال عرض أول مسكن للإنسان في التاريخ في تل المربيط وانتهاءً



سباق الخيول والفروسية



شهدت مدينة الأسد
للفروسية بالرقعة سباقاً
للخيول العربية الأصيلة
وسباق قفز حواجز
حضره جمهور كبير من
المواطنين وذلك في
الساعة الرابعة من يوم
الثلاثاء الواقع في ١٩
أيلول ١٩٩٨ .

وقد قام الرفيق
جاسم الموسى أمين فرع
الحزب بالرقعة والأستاذ
محمد أحمد نفاخ
بتوزيع الكؤوس
والميداليات على
الفائزين الأوائل .

ويقول الفارس
مازن قدور الذي حقق
المركز الأول في سباق
١٠٠٠م إنه يعتز بهذا
الفوز ويهديه الى بطل
تشريني التصحيح
والتحريير سيادة الرئيس
حافظ الأسد .



معارض التصوير الضوئي



وفي صالتي المعارض بدار الأسد بالرفقة والثورة تم افتتاح معرض التصوير الضوئي المتنوع الذي أقامه نادي التصوير الضوئي شارك فيه: حمزة الحسين - سلمو سلمو - حسين بعاج - أحمد البدران - أحمد البكار - جمال الشعيب وعبد القادر شعيب وضمت أعمالاً فنية ضوئية تجاوز عددها ٥٠٠ لوحة توزعت بين رصد معالم الحياة اليومية في الريف والمدينة وعلى شواطئ الفرات، وبعض اللقى والمكتشفات والمواقع الأثرية المنتشرة في أرجاء المحافظة متناولين زوايا تصوير مختلفة كحالة رصد أكثر

دقة وأكثر شمولية محاولين إعطاء صورة واضحة عن هذه المحافظة. وهناك بعض اللقطات تبين البعد الثالث في العمل الفني ضمن تقنيات حديثة كحالة وضوح الرؤية ضمن الكادر وعمقه.



الأمسيات الفنية

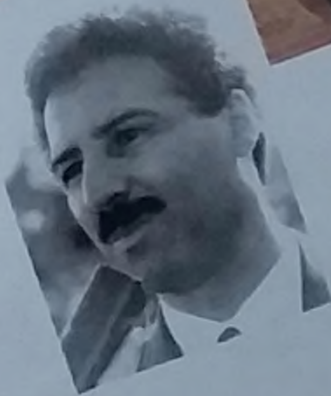
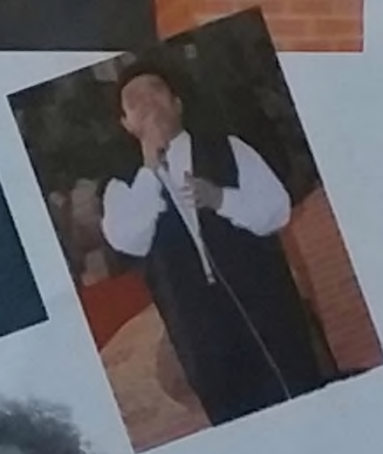


شهدت الصالة الرياضية بالركة وبحضور الآلاف من المواطنين ولثلاثة أيام متواصلة حفلات غنائية تدل على طرب أصيل انتظرت الرقة طويلاً.

فقد أحيا الفنان رضا الخياط والفنان علي حليحل والفنانة الطفلة سهى محفوظ الحفلة الأولى امتدت اغانيهم حتى منتصف الليل.

وفي اليوم الثاني قدم الفنان حميد منصور والفنان قاسم رحال حفلة غنائية متنوعة قدم الفنانان فيها أحدث اغانيهما.

أمام مسك الختام فكان مع الأستاذ الفنان صباح فخري حيث عاد بنا الى أيام الطرب الأصيل واستمر حتى ساعات الفجر الأولى وسط حضور متميز من جمهور الرقة لم يشهد له مثيل.



معرض الزهور



وللزهور لغة اخرى يتسابق القلب والعين
لالتقاط مفرداتها من خلال معرض الزهور
المتنوع الذي اقامه مجلس مدينة الرقة في
حديقة الرشيد بالركة .

وهذا المعرض ساهم في اعطاء صورة
جلية واضحة عن بعض النباتات والزهور
البرية منها المنثور البري والسوسن وشقائق
النعمان وعين القط واللوتس والليلاس
(البنفسج البري) والقندريس .

وقد تم رصد هذه اللوحات من خلال
التجوال والبحث في كافة ارجاء المحافظة
التي هي غنية بأنواع عديدة من النباتات
والزهور والأعشاب الطبية .

وأقيم في المعرض جناح خاص للصور
الفوتوغرافية المتخصصة بالزهور ضم ١٠٠
عمل فني حاكى هذه الطبيعة واسسها عبر
الصورة ونأمل بجولات اكثر تعمقاً ورصداً

عبر اللقطة الفنية التي تتحف العين بجمال
أخاذ لم تتح للمشاهدين رؤيته، وشارك في
المعرض جمال الشعيب - حمزة الحسين -
عبد القادر الشعيب - حسين بعاج - محمد
البيج - يوسف دعيس - سلمو السلمو .



مسابقات التزيين

وانتخاب ملكة جمال الفرات



شهدت صالة فندق الكرنك السياحي بالرقعة مساء الأربعاء ١٦ / ٩ / ١٩٩٨ مسابقات قص الشعر والتزيين تبارى من خلالها العديد من اصحاب صالونات الحلاقة والتزيين الرجالية والنسائية في ابراز اجمل قصة شعر وأجمل تسريحة وسط حضور كبير من المهتمين في هذا المجال.

كذلك الأمر شهدت الصالة عروض ازياء محلية برزت من خلالها معالم اللباس الرقي الفراتي التراثي تبارت من خلاله العديد من الفتيات الرقيات.

انتخبت في نهاية الحفل ملكة جمال الفرات وقد فازت بهذا اللقب الأنسة هناء الجعبر.





سوق الحرف التقليدية

لقد كان افتتاح سوق الحرف التقليدية الحرف اليدوية التي لاغنى للمواطن في ظاهرة ايجابية ابرزت تطور الصناعة هذه البلدة عنها من صنع اللبايد الى اليدوية في الرقة منذ القديم ، فقد تعددت التطريز ونسج البسط وتحضير «الشعرية»

وضم المعرض ١٤ مقصورة توزعت على أربعة أقسام رئيسية:
القسم الأول: حرف وصناعات تستمد موادها الأولية من حاصلات زراعية ومواد نباتية.
القسم الثاني: حرف وصناعات تستمد موادها الأولية من منتجات حيوانية.

القسم الثالث: حرف وصناعات تستمد موادها الأولية من مواد معدنية.
القسم الرابع: حرف وصناعات رقية تمثل خصوصية الرقة.



لجان المهرجان

اللجنة العليا لمهرجان الفرات للثقافة والتراث

- ١- السيدة الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة رئيساً
- ٢- الرفيق جاسم الموسى أمين فرع الحزب بالرقعة عضواً
- ٣- الأستاذ محمد أحمد نفاخ محافظ الرقة عضواً
- ٤- الأستاذ علي القيم معاون وزيرة الثقافة عضواً
- ٥- الدكتور عبد السلام العجيلي عضواً
- ٦- السيد مروان حداد المدير العام للمؤسسة العامة للسينما عضواً
- ٧- د. سلطان محيسن المدير العام للآثار والمتاحف عضواً
- ٨- السيد أسعد فضة المدير العام للمسارح والموسيقا عضواً
- ٩- السيد طارق الشريف مدير الفنون الجميلة في وزارة الثقافة عضواً
- ١٠- السيد محمد نجاح المرادي أميناً للسر

اللجنة الفرعية المشرفة على المهرجان

- ١- الأستاذ محمد أحمد نفاخ محافظ الرقة رئيساً
- ٢- الرفيق عبد الله عميرة نائب أمين فرع الحزب عضواً
- ٣- السيد العميد عبد الحميد الصباغ قائد شرطة المحافظة عضواً
- ٤- السيد عادل القاسم نائب رئيس المكتب التنفيذي عضواً

- ٥- السيد هيثم مشوح عضو المكتب التنفيذي لقطاع الثقافة عضواً
٦- السيد جمال الحاج صالح معاون مدير الثقافة أميناً للسر

اللجنة الإعلامية

- ١- الرفيق محمد العماش عضو قيادة فرع الحزب رئيساً
٢- الرفيق حبيب البشير أمين شعبة المدينة عضواً
٣- الرفيق علي غنوم أمين شعبة الثورة عضواً
٤- الرفيق عبد الرزاق سفاف أمين فرع الشبيبة عضواً
٥- الرفيق حسين المرعي مدير مدرسة الإعداد الحزبي عضواً
٦- السيد عبد الرحمن حاج عمر مدير الثقافة عضواً
٧- السيد زياد مالود مدير المكتب الصحفي عضواً
٨- مراسلو الصحف «البعث - تشرين - الثورة» أعضاء

اللجنة العلمية

- ١- الرفيق خلف المفتاح أمين شعبة التربية رئيساً
٢- السيد سارح الحنظل مدير التربية عضواً
٣- السيد خليل جاسم الحميدي رئيس فرع اتحاد الكتاب عضواً
٤- السيد مرهف الخلف مدير الآثار بالرقعة عضواً
٥- السيد اسماعيل العجيلي رئيس فرع نقابة الفنانين عضواً
٦- السيد مصطفى سليمان رئيس فرع نقابة الفنون الجميلة عضواً
٧- الدكتور علي شواح الشعبي باحث عضواً
٨- السيد محمد عبد الحميد الحمد باحث عضواً

اللجنة التنظيمية

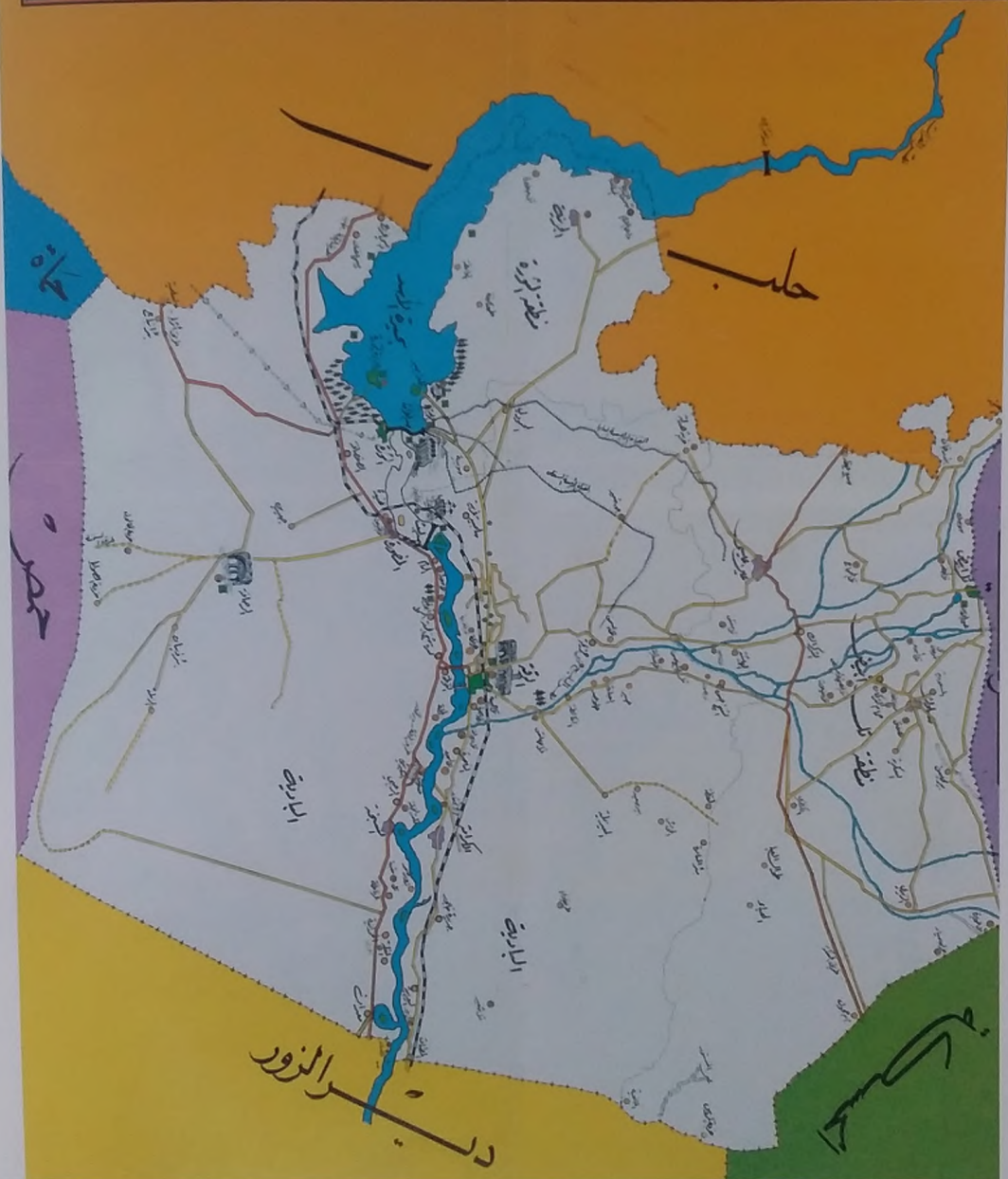
- ١- السيد العميد عبد العزيز الشيخ طه معاون قائد الشرطة رئيساً
- ٢- المهندس جمال عبدو رئيس مجلس مدينة الرقة عضواً
- ٣- المهندس عبد الحنان المحمد رئيس مجلس مدينة الثورة عضواً
- ٤- الرفيق عيسى الخليل أمين فرع طلائع البعث عضواً
- ٥- السيد ابراهيم الأحمد مدير السياحة بالرقة عضواً
- ٦- السيد حمود العجيلي رئيس غرفة تجارة وصناعة الرقة عضواً

محافظة الرقبة

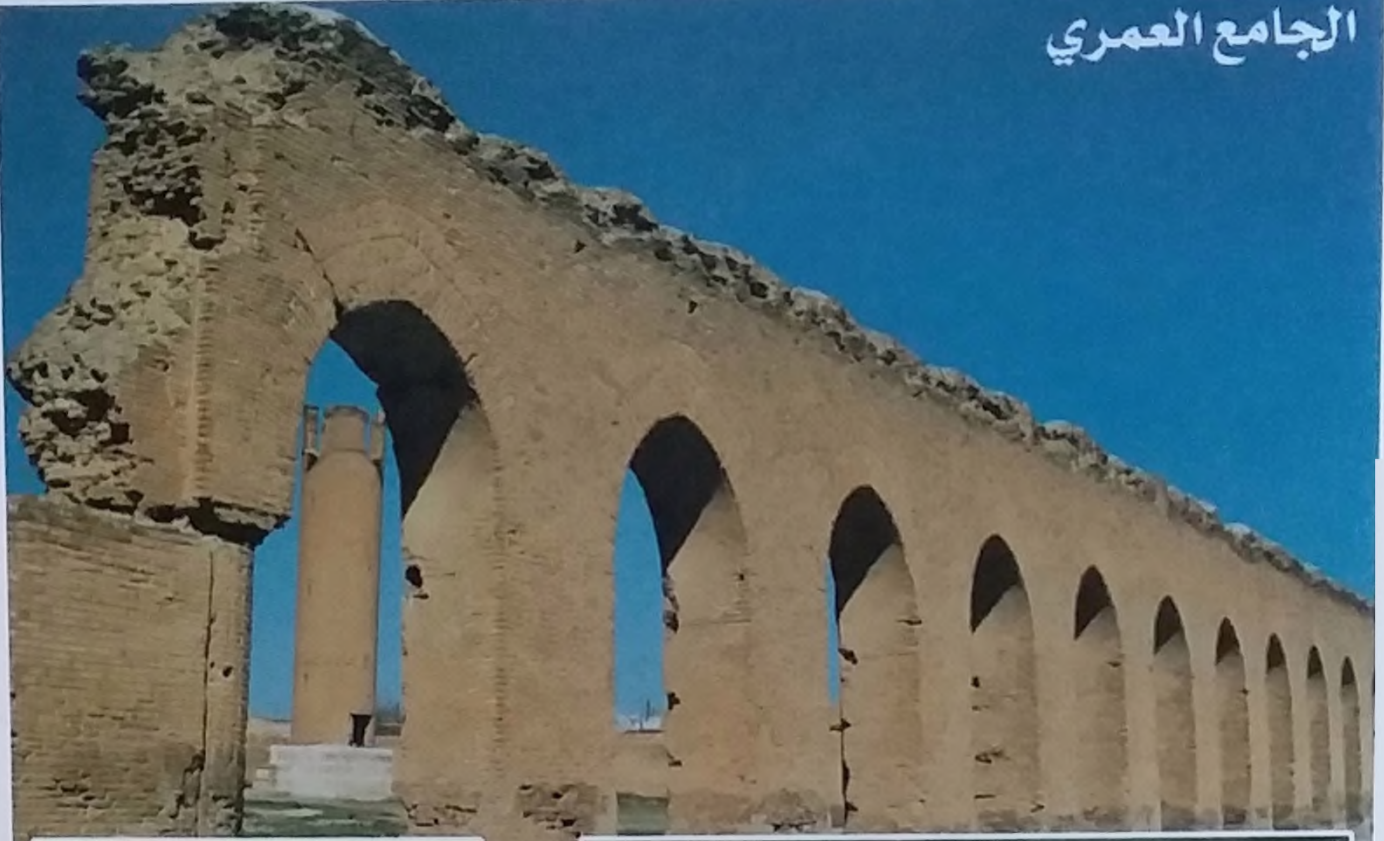
2500

[illegible]

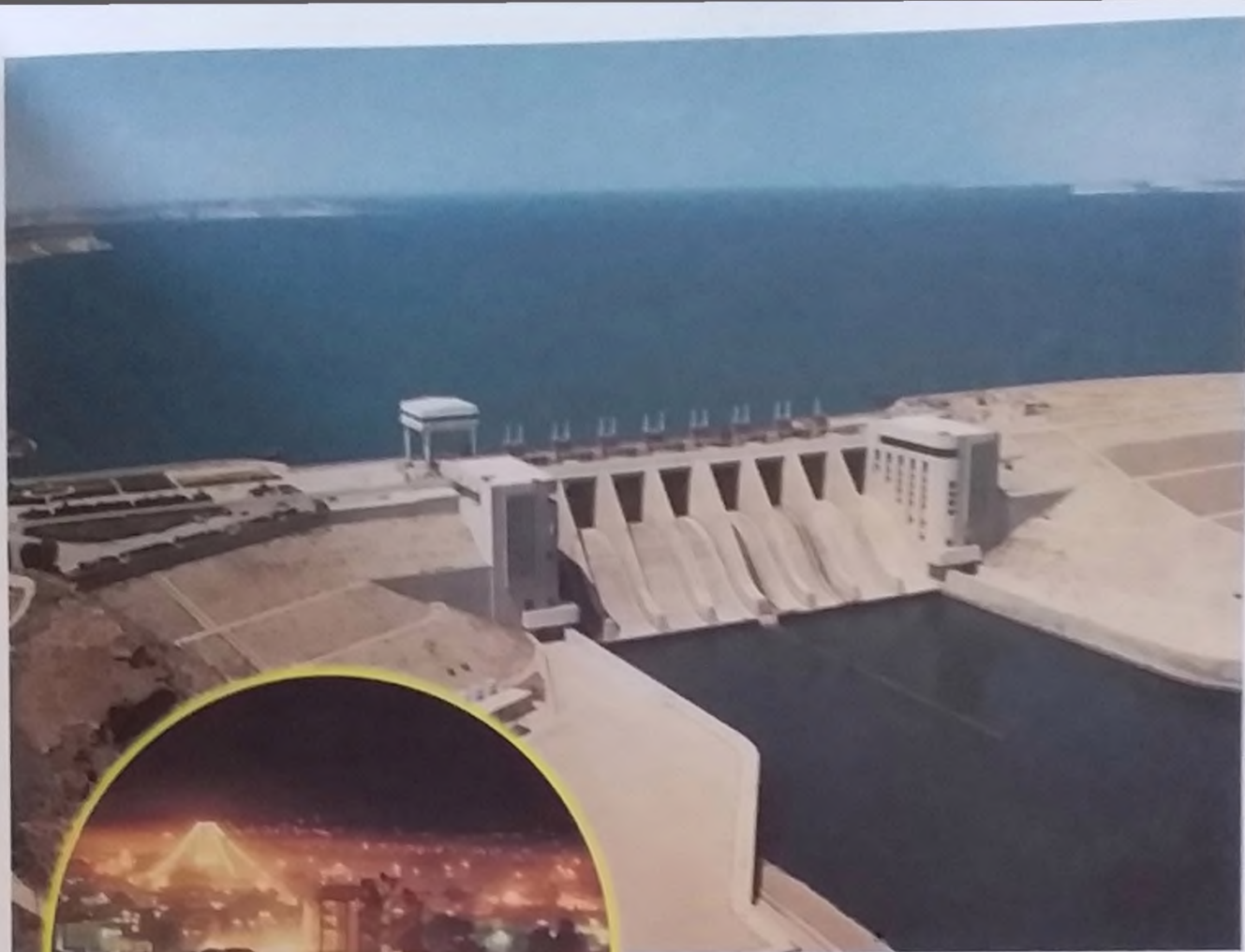
الزيتون	حلتب	١٩٠ كم
الاصحاح	٢٤٥ كم	
حصن	٢٤٥ كم	
حصن	٣٩٠ كم	
حصن	٥٦٠ كم	
حصن	٢٢٠ كم	
حصن	١٥٥ كم	
حصن	٤٠ كم	
حصن	٤٠ كم	
حصن	٢٧٠ كم	
حصن	١٤٥ كم	
حصن	١١٥ كم	
حصن	٣٧٠ كم	



الجامع العمري



مقام وابصة الأسدي





قصر البنات



فارس الرقة



د . جولييان هندرسون



لقى أثرية



الرافقة



الرقعة على ضفاف الفرات

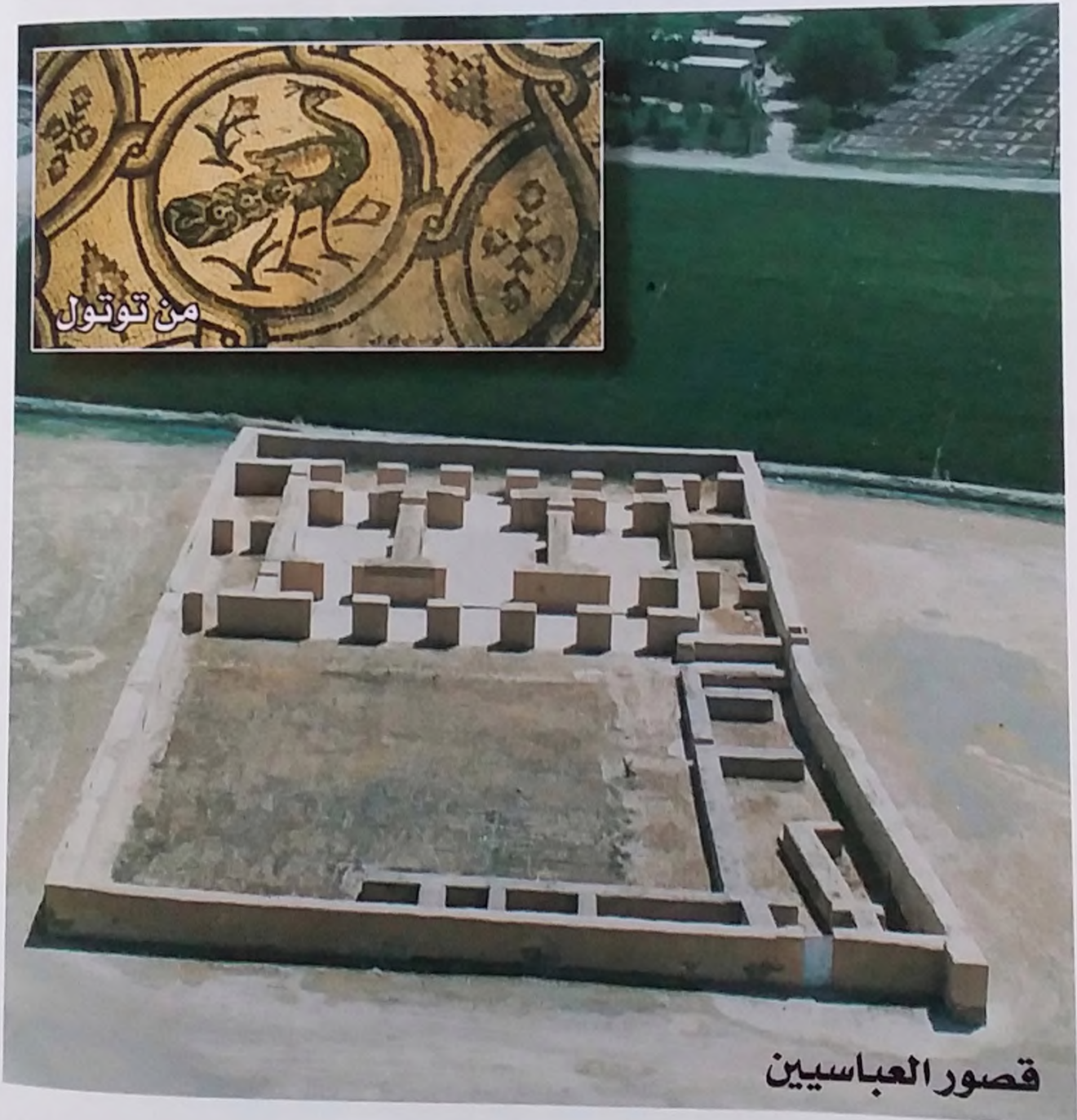


سد البعث

مكتشفات أثرية



من توتنول



قصور العباسيين



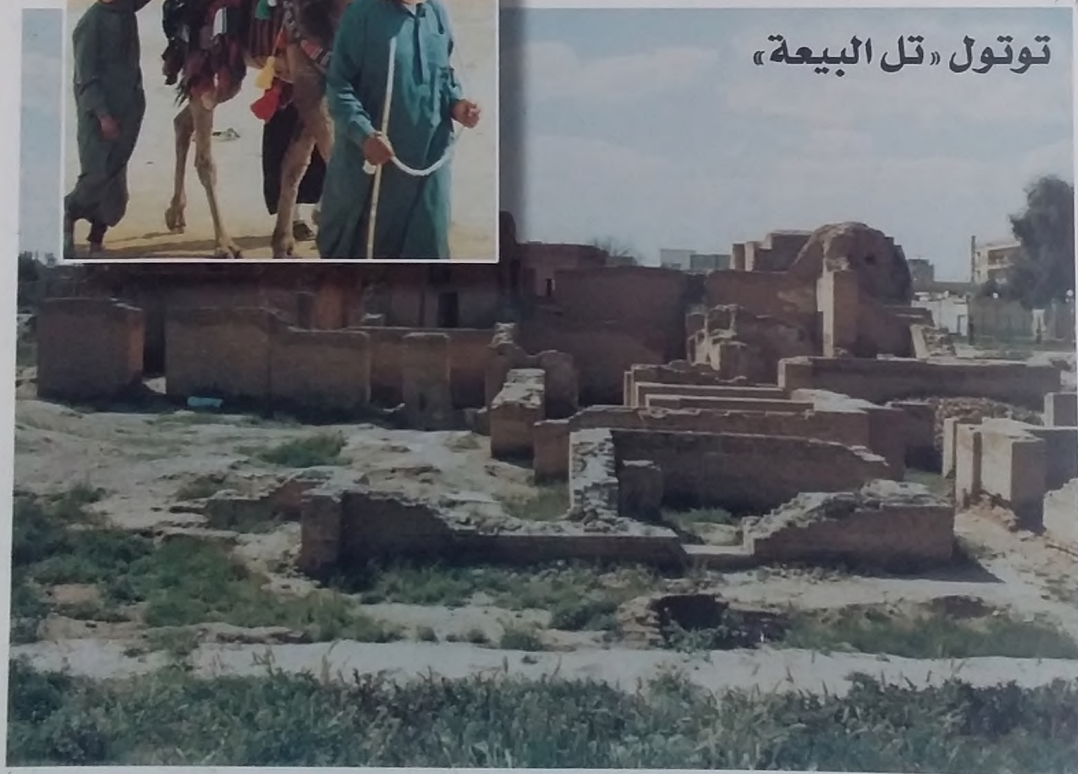
فرقة الرقة للفنون الشعبية



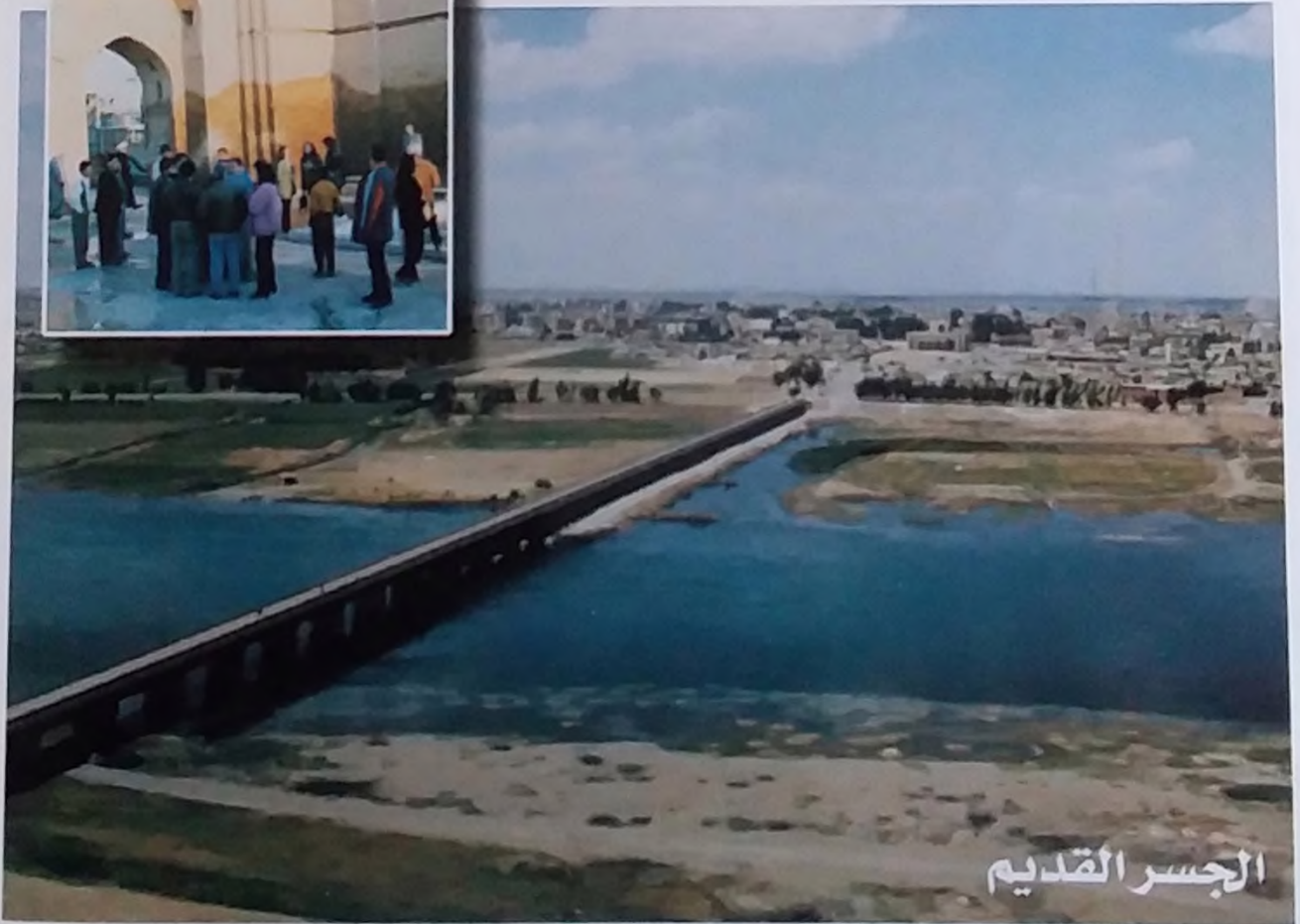
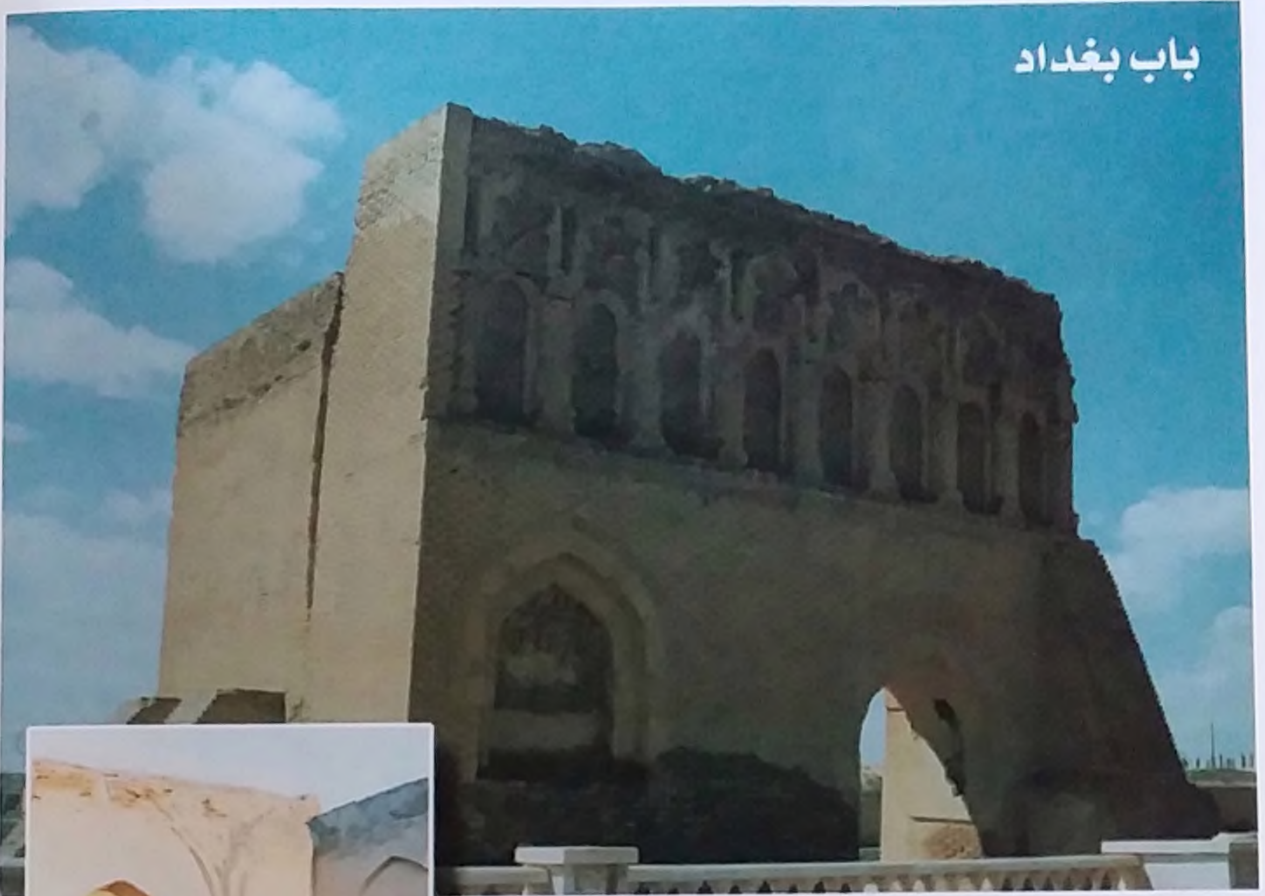
قصور البنات



توتول «تل البيعة»



باب بغداد



الجسر القديم



رصافة هشام بن عبد الملك





القصور العباسية

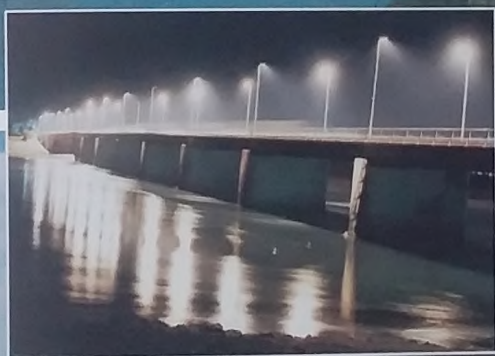








ساحة السيد الرئيس



الرقعة من الجو

